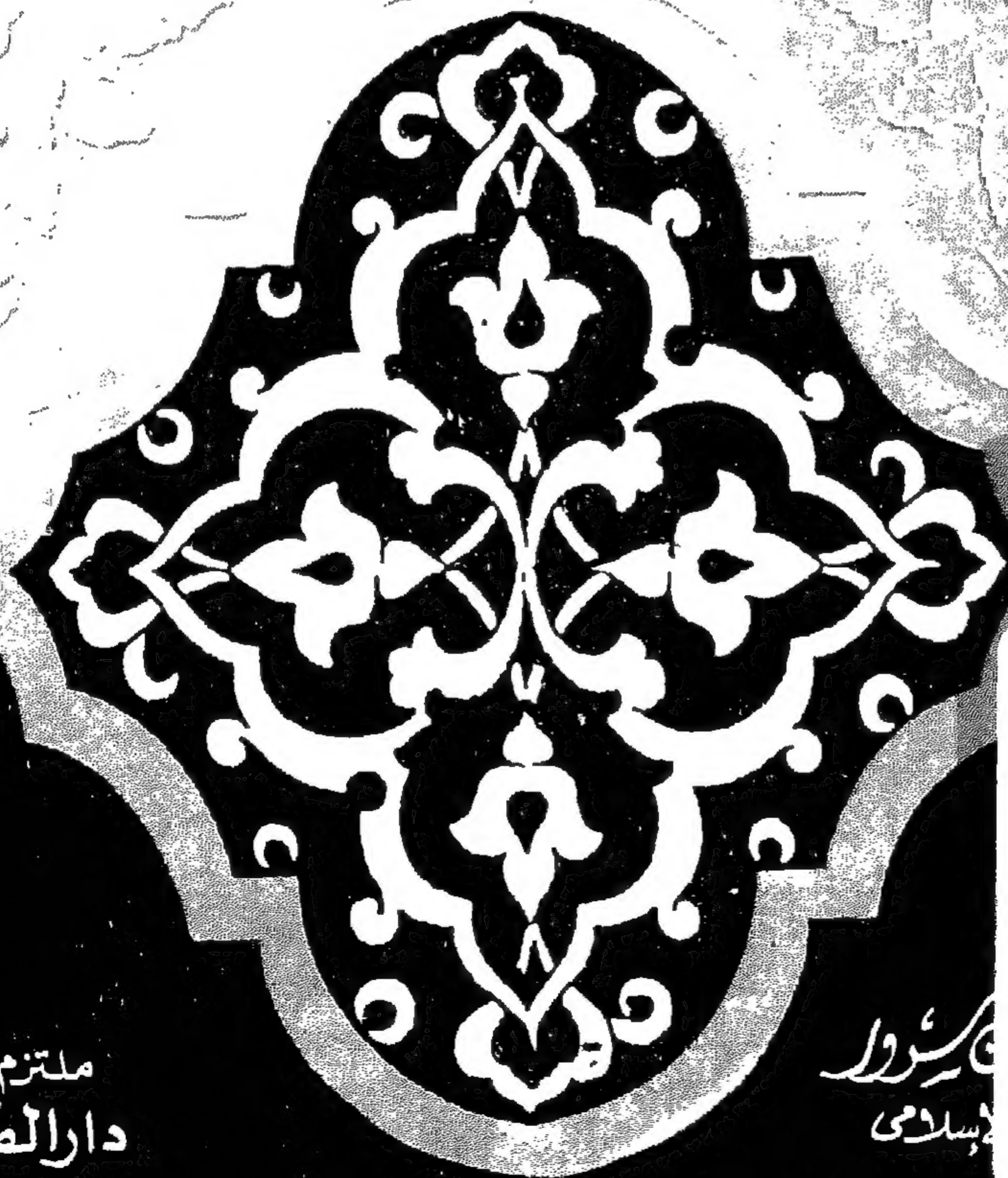


سياسة الفاطميين الخارجية



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مكتبة
عبدالله



سياسة الفاطميين الخارجية

تأليف

دكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامى

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٥٣,٠٧٣٨ محمد جمال الدين سرور.
٢٢ س س سياسة الفاطميين الخارجية / تأليف محمد جمال
الدين سرور . - القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٩٤ .
٢٩١ هـ : ٢٤ سم .
هـ : [٢٥٣ - ٢٦٤] .
يشتمل على كشافات .
١- الدولة الفاطمية - العلاقات الخارجية.
١- العنوان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ،
وبعد ؛ فهذا كتاب يتناول سياسة الفاطميين الخارجية ؛ يتجلى لنا من ثناياها
تطلعهم إلى زعامة العالم الإسلامي ، التي كان العباسيون يحتفظون بها رغم
ضعف سلطانهم ، ومن ثم وجهوا اهتمامهم إلى توسيع نطاق دعوتهم ومد
نفوذهم إلى أراضى الدولة العباسية . فلما أصبحت القاهرة مقر خلافتهم
أطلعوا إلى بسط سلطانهم على بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام
العالم الإسلامي ؛ ذلك أن السيادة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة
صار ينظر إليها على أنها من مستلزمات الخلافة ، وأن من يظفر بها يعتبر
خليفة المسلمين الحقيقي .

وعلى الرغم من أن الفاطميين واجهوا منافسة العباسيين لهم في بسط
سيادتهم على البلاد المقدسة بالحجاز ، فإنهم استطاعوا في خلال الفترات
التي استقر فيها نفوذهم بتلك البلاد ، أن ينشروا فيها الأمن ، كما أظهروا
قدرتهم على درء الأخطار عنها ، وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على
أرواحهم وأموالهم .

وكانت بلاد البحرين من بين أقطار جزيرة العرب التي خضعت لسيادة
الفاطميين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري . وقد حرص أمراؤها
من القرامطة على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين
بالمغرب . اسكن صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة ما لبثت أن تبدلت في

النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بسبب طموح أمير القرامطة الحسن ابن أحمد إلى استعادة سلطتهم على بلاد الشام وأدى ذلك إلى قيام العداء بين هذا الأمير ، وبين الفاطميين . ثم ضعف أمر القرامطة ببلاد البحرين بسبب الخلافات الداخلية بينهم حتى لم يبق لهم في أواخر القرن الرابع إلا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية .

ومن ولايات الجزيرة العربية التي انتشرت فيها الدعوة الفاطمية : اليمامة وعمان . وقد تولى نشر هذه الدعوة باليمامة دعاة الإسماعيلية باليمن أثناء قيام دولة بني الأخيضر العلوية بها . أما ولاية عمان ، فإن بعض أمراء الصليحيين باليمن بعثوا إليها بالدعاة لنشر الدعوة الفاطمية ، حتى أصبح بها عدد كبير من أنصار هذه الدعوة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .

وكانت بلاد اليمن موطن الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب فانخذها دعاة الإسماعيلية منذ أواخر القرن الثالث الهجري مقراً لنشر دعوتهم . وحرص هؤلاء الدعاة على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الخلفاء الفاطميين . وظل النفوذ الفاطمي في اليمن رغم ذلك ، يتأرجح بين القوة والضعف حتى قام بأمر الدعوة الفاطمية أمراء الصليحيين باليمن ؛ فبذل كل منهم قصارى جهده في سبيل توثيق عرى الصداقة مع الخلفاء الفاطميين في مصر ، مما كان له أثر كبير في احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز في بلادهم ، وبخاصة في عهد السيدة الحرة الصليحية .

على أن الدعوة الفاطمية في اليمن ما لبثت أن أخذت في الضعف بعد وفاة هذه السيدة ، إذ لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلفها وتسير سيرتها في نشر تلك الدعوة كما أن آل زريع بعدن الذين كانوا موالين للخلافة الفاطمية في مصر لم يتيسر لهم الاستمرار في الحكم

فترة طويلة ؛ فأخذت دولتهم في الانحلال منذ منتصف القرن السادس الهجرى . وأصبح النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن مهدداً بالزوال بعد أن ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مقاليد الأمور فى مصر ؛ إذ وجه اهتمامه إلى بسط سلطانه على تلك البلاد ، واستطاع فى فترة قصيرة أن ينضى على نفوذ الفاطميين فيها .

وكانت الضرورة السياسية والحربية تقضى على الفاطميين بعد أن وطدوا سلطتهم فى مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام ؛ لكنهم رغم نجاحهم فى مد سلطانهم على هذه البلاد واجهوا عدة صعوبات ، كان لها أثر بالغ فى عدم استقرار الحكم الفاطمى فيها ؛ فإلى جانب استياء أهالى دمشق من سياسة الفاطميين القائمة على التعصب للمذهب الشيعى ، قام قرامطة بلاد البحرين بدور هام فى مناهضة نفوذهم فى بلاد الشام ، كما أن الحركات الاستقلالية التى تزعمها أمراء العرب فى هذه البلاد أدت إلى إضعاف سلطة الفاطميين .

وكان لتضائل سلطان الفاطميين السياسى فى شمال الشام وجنوبه أثر كبير فى إتاحة الفرصة أمام السلاجقة للظهور على مسرح السياسة فى هذه البلاد ؛ فبذلوا جهودهم لبسط سيادتهم عليها . غير أن الفاطميين سرعان ما تاهبوا لصد غاراتهم وأصبحوا هم والسلاجقة فى أواخر القرن الخامس الهجرى يتقاسمون النفوذ فى بلاد الشام .

وكانت بلاد العراق محط أنظار الفاطميين على اعتبار أنها مقر الخلافة العباسية ، لذلك عهد الفاطميون إلى دعائهم بالرحيل إليها لنشر دعوتهم . وقد صادف هؤلاء الدعاة كثير آ من النجاح فى هذا السبيل ، كما لقيت الدعوة الفاطمية فى بلاد الفرس تأييداً كبيراً حتى أصبح بين صفوف جند بنى بويه

من الديلم والأتراك عدد غير قليل يميل إلى الفاطميين . وكان ذلك مما مهد السبيل لنجاح البساسيري في إقامة الدعوة الفاطمية من منابر بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري . غير أن هذه الدعوة لم يكتب لها البقاء فترة طويلة ؛ فسرعان ما دخل السلاجقة بغداد وأعادوا الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله .

وكان السلاجقة يدركون الخطر الذي يهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الشرق الإسلامي ؛ ومن ثم وجهوا سياستهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد إلى مناهضة هذا النفوذ ، كما اضطهدوا الشيعيين ، ووقفوا من دعاة الإسماعيلية الذين استفحل خطرهم في بلاد الدولة العباسية موقفاً ينطوي على الحزم والشدّة . وكان لهذه السياسة أثرها في وقف تيار الدعوة الفاطمية .

ولم تكن الظروف في مصر مهيأة للإبقاء على هذه الدعوة ؛ ففضلاً عن انقسام الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب في أواخر القرن الخامس الهجري ، شغلت الحكومة الفاطمية بالقضاء على الفلاقل التي أثارها أتباع النزارية بإيعاز من رؤساء دعوتهم في فارس ، كما انصرف فريق من وزراء العصر الفاطمي الأخير عن تأييد المذهب الإسماعيلي ، بل هب بعضهم السبيل لرجوع المذهب السني إلى مصر ؛ فكان ذلك مما مهد الطريق لسقوط الفاطميين ، واحتفظت الخلافة العباسية رغم ما أصابها من وهن وضعف بسيادتها على البلاد الإسلامية .

وكانت علاقات الفاطميين مع الأندلس ، يسودها التوتر منذ بداية العصر الفاطمي . فواجهت الخلافة الفاطمية في إفريقية عداء عبد الرحمن الناصر بالأندلس . واتخذ هذا العداء مظهراً قوياً في عهد المعز وخلفائه .

أما عن موقف أمراء بني زيري بالمغرب من الفاطميين بعد أن اتخذوا مصر مقرا لخلافتهم ، فإنهم ظلوا مواليين لهم ؛ واستمر النفوذ الفاطمي سائدا في تلك البلاد حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، حيث أعلن المعز بن باديس خروجه على طاعة الخليفة المستنصر بالله ، وأقام الدعوة للفاتم بأمر الله العباسي . وأصبح من المتعذر على الخلافة الفاطمية الاحتفاظ بنفوذها في المغرب بسبب الصعوبات التي واجهتها سواء في مصر أو الشرق الإسلامي .

وكان الفاطميون منذ أقاموا دولتهم في إفريقية يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على جزيرة صقلية لاتخاذها قاعدة لاسطولهم في البحر المتوسط لصد الحملات التي قد يوجهها الروم إلى سواحل دولتهم ؛ فاستمروا في إرسال ولايتهم إليها . لكن هؤلاء الولاة ، لم تتح لهم الفرصة للبقاء طويلا في ولايتهم بسبب المنازعات بين أهلها من المسلمين ، فضلا عن خروجهم على طاعتهم . كما أن هذه الجزيرة من ناحية أخرى لم تنعم بالاستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها . وأخذ النفوذ الفاطمي في صقلية في الضعف بعد أن انتقل المعز إلى مصر . وغدت علاقة الفاطميين بهذه الجزيرة مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شئونها ، كما ساد الاضطراب الجزيرة منذ منتصف القرن الخامس الهجري من جراء النزاع بين أمراءها المسلمين والحروب الداخلية مما مهد السبيل أمام الزماندين للاستيلاء عليها .

كذلك كان للفاطميين علاقات مع الدولة البيزنطية ، اتسمت بالتوتر في كثير من الأحيان . ويرجع السبب في ذلك إلى تهديد البيزنطيين الحدود الشمالية للشام ، واستيلائهم على بعض المدن الشامية . وظل النزاع قائما بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية حتى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله حيث عقدت معاهدة صداقة بين هاتين الدولتين . غير أن المعاهدة لم تؤد إلى استمرار

الوثام بين الفاطميين والبيزنطيين وصارت العلاقات بين الدولة الفاطمية في عهد المستنصر ، وبين الدولة البيزنطية لاتستقر على حال ، بل أن العداء بين الدولتين عاد سيرته الأولى في أواخر العصر الفاطمي .

وكانت المدن الإيطالية تحرص على إنشاء علاقات مع مصر والشام ؛ فعملت مدينة بيزا على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين ، كما تمت العلاقات بين مدينة جنوة وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى . وكذلك الحال بالنسبة للبندقية التى اهتمت بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين ؛ وصارت سفنها تنقل من موافى مصر منتجات آسيا إلى أوروبا .

وقد بدأت الكتاب بدراسة الوسائل التى اتبعها الفاطميون لنشر سلطانهم فى البلاد المقدسة بالحجاز ، وبينت كيف ناهضوا نفوذ العباسيين فى كل من مكة والمدينة ، وأقاموا الدعوة لهم فى مساجدها . ثم تحدثت عن عوامل ضعف النفوذ الفاطمى بالحجاز .

كذلك تناولت بالبحث قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين ، وولاء أمرائها للفاطميين واتحادهم فى سياستهم العدائية إزاء العباسيين ، ثم تحدثت عن العوامل التى بدلت صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وما تبع ذلك من ضعف السيادة الفاطمية ببلاد البحرين .

ولما كانت بلاد اليمن من أهم مراكز الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب ، لذلك وجهت عنايتى إلى توضيح السياسة التى اتبعها الخلفاء الفاطميون للإبقاء على نفوذهم بهذه البلاد ، كما بينت ما كان لتوثق عرى الصداقة بين

هؤلاء الخلفاء وبعض أمراء الصليبيين باليمن من أثر في احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز في بلادهم .

وُعُنيت أيضاً ببحث سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام، وشرحت الصعوبات التي واجهتهم في مستهل عهدهم بتلك البلاد، كما تحدثت عن النزاع بين السلاجقة والفاطميين على نشر نفوذهم في الشام، وبينت أثره في عدم استقرار الأمور في هذه البلاد، وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبي .

كذلك تناولت بالبحث سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمدن العراق؛ فكشفت النقاب عن العوامل التي حملت الفاطميين على إرسال دعايتهم إلى بلاد الشرق الإسلامي والوسائل التي اتبعها هؤلاء الدعاة لجذب المسلمين إلى الدعوة الفاطمية .

ولما كانت حركة البساسيري في العراق تعد من ثمار الدعوة الفاطمية في هذه البلاد، فضلاً عن أنها من مظاهر نجاح سياسة الفاطميين الخارجية، لذلك اهتمت بتوضيح الظروف التي هيأت السبيل لظهور البساسيري والقيام بحركته، وبينت موقف الخلافة الفاطمية منه .

وكان زوال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق من المسائل التي عُنيت ببحثها؛ فوضحت الجهود التي بذلها السلاجقة للقضاء على حركة البساسيري وإعادة الخطبة للخليفة العباسي، كما شرحت العوامل التي ساعدت على انحلال الدعوة الفاطمية في أواخر القرن الخامس الهجري .

ومن موضوعات السياسة الخارجية التي أوليتها اهتمامي : علاقات الفاطميين بالاندلس والمغرب؛ فبينت كيف واجهت الدولة الفاطمية عداء الخلافة الأموية بالاندلس، كما تحدثت عن موقف الزيريين في بلاد المغرب من الفاطميين، وعوامل ضعف النفوذ الفاطمي في تلك البلاد، وتبعت

إلى جانب ذلك علاقة الفاطميين بجزيرة صقلية منذ أن انتقلت إليهم السيادة على هذه الجزيرة في أواخر القرن الثالث الهجرى إلى أن استولى عليها النرمانديون في أواخر القرن الخامس الهجرى .

وكان للعلاقات بين الدولة الفاطمية ، والدولة البيزنطية ، والمدن الإيطالية نصيب وافر من عنايتى ، فوضحت المظاهر السياسية للعلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين ، كما وضحت مدى حرص المدن الإيطالية على توثيق علاقاتها مع مصر والشام فى العصر الفاطمى .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى لمتابعة البحث فى تاريخ الدول الإسلامية .

محمد جمال الدين سرور

القاهرة فى { ٣ ذو الحجة سنة ١٣٨٦ هـ
١٤ مارس سنة ١٩٦٧ م }

فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول

صفحة	الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز
١٩	تمهيد : بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين
١٩	دولة بني سليمان بمكة
٢١	العلويون في المدينة المنورة
٢٣	١ — السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز
٢٤	إقامة الخطبة بمكة والمدينة للمعز لدين الله
٢٤	عدم استقرار النفوذ الفاطمي بمكة والمدينة في عهد العزيز
٢٥	موقف أمير مكة من الخليفة الحاكم بأمر الله
٢٨	استقلال الهواشم بإمارة مكة
٢٩	٢ — ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز
٣٠	موقف أمراء الهواشم من الخلفاء الفاطميين
٣٥	حرص الفاطميين على الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الحجاز

الباب الثاني

	السيادة الفاطمية في بلاد البحرين
٤١	تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين
٤٤	١ — موقف أمراء القرامطة ببلاد البحرين
٤٦	ولاء قرامطة بلاد البحرين للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب
٤٨	تبدل صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة
٥١	٢ — ضعف أمر القرامطة ببلاد البحرين

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية في اليمامة وعمان

٥٥	دولة بني الأخيضر العلوية باليمامة
٥٦	نشر المذهب الإسماعيلي باليمامة
٥٧	إقامة الدعوة في عمان لعبيد الله المهدي
٥٨	محاولة البويهيين توطيد نفوذهم بعمان
٦١	حرص الفاطميين على نشر دعوتهم بعمان

الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

٦٧	تمهيد : بلاد اليمن في أواخر عهد ولاية العباسيين
٦٩	١ - جهود دعاة الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن
٧٣	وقوع الخلاف بين دعاة الإسماعيلية في اليمن
٧٤	ولاء بعض دعاة الإسماعيلية في اليمن لعبيد الله المهدي
	ارتداء بعض الدعاة عن المذهب الإسماعيلي وخروجهم على
٧٦	الدعوة الفاطمية
٧٨	الدعوة الفاطمية تستعيد مكانتها باليمن
٨٢	٢ - موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين
٨٣	على بن محمد الصليحي يقيم الدعوة للمستنصر بالله الفاطمي
	ولاية المكرم أحمد الملك باليمن ، وحرصه على توطيد علاقته
٨٤	بالمستنصر
٨٧	الدعوة الفاطمية باليمن بعد وفاة المكرم أحمد
٨٩	النزاع بين آل الصليحي وآل الزواحي
٩٢	السيدة الحرة الصليحية تدير شئون اليمن

صفحة

- ٩٢ تأييد السيدة الحرة خلافة المستعلي بالله
 ٩٧ الخليفة الأمر الفاطمي يرسل بعض دعااته إلى السيدة الحرة
 ١٠٠ ولاء السيدة الحرة للخليفة الأمر واعترافها بإمامة ابنه الطيب
 ١٠٢ عدم اعتراف السيدة الحرة بخلافة الحافظ
 ١٠٤ آل زريع بعدن يقيمون الدعوة للخليفة الحافظ
 ١٠٥ ضعف الدعوة الطيبية بعد وفاة السيدة الحرة
 ١٠٥ زوال النفوذ الفاطمي في اليمن

الباب الخامس

سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام

- ١١١ تمهيد : الحياة السياسية في بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمي
 ١١١ حرص الإخشيديين على توطيد سلطانهم في ولاية الشام
 ١١٢ تطلع الحمدانيين في حلب إلى انتزاع بلاد الشام
 ١١٦ تعرض بلاد الشام لغارات القرامطة
 ١١٧ ١ - الفتح الفاطمي لبلاد الشام
 ١١٨ حملة جعفر بن فلاح إلى فلسطين
 ١١٩ استيلاء جعفر بن فلاح على دمشق
 ١٢٠ عدم استقرار سلطان الفاطميين بالشام
 ٢ - الصعوبات التي واجهت الفاطميين في الشام من ناحية
 ١٢٣ القرامطة وأفتككين
 ١٢٣ مناهضة القرامطة النفوذ الفاطمي
 ١٢٤ حركة أفتككين التركي
 ١٢٩ ٣ - موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين
 ١٣٩ بنو الجراح في فلسطين

صفحة	
١٤٢	الحدانيون والمرداسيون في شمال الشام
	٤ - ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري
١٥١	تطلع السلاجقة إلى بسط سلطانهم على بلاد الشام
١٥٢	جهود الفاطميين للوقوف في وجه السلاجقة
١٥٦	الزحف الصليبي على بلاد الشام وموقف الفاطميين منه
١٥٩	عجز الخلافة الفاطمية عن استعادة مكائنها في الشام
	الباب السادس
	الدعوة الفاطمية في بلاد العراق
	١ - سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمدن العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجري
١٦٣	نشاط دعاة الفاطميين في نشر دعوتهم بالعراق وبعض بلاد الدولة العباسية
١٦٤	موقف البويهيين من الفاطميين
١٦٨	الدعوة الفاطمية في الموصل في عهد العزيز والحاكم
١٧٢	مناهضة القادر بالله العباسي الدعوة الفاطمية
١٧٤	انتشار النفوذ الفاطمي بالعراق ، وسياسة القائم بأمر الله العباسي في مناهضته
١٧٧	٢ - حركة البساسيري في العراق
١٧٩	حالة الخلافة العباسية في أوائل عهد القائم بأمر الله
١٧٩	جهود الداعى المؤيد في الدين في نشر الدعوة الفاطمية
١٨٠	الصعاب الداخلية التي واجهت القائم بأمر الله في منتصف القرن الخامس
١٨٣	

صفحة	
	ازدياد نفوذ القائد التركي أبي الحارث أرسلان البساسيري في
١٨٥	العراق
١٨٧	اتصال البساسيري بالفاطميين في مصر
١٨٨	دخول السلاجقة بغداد برئاسة السلطان طغرل بك
١٨٩	تأييد المستنصر بالله البساسيري في خروجه على الخليفة العباسي
١٩٠	مسير الداعي المؤيد في الدين من مصر لموازرة حركة البساسيري
١٩٤	حرص المؤيد على استمالة أمراء العرب بالعراق
١٩٦	وقوع الخلف بين طغرل بك وأخيه إبراهيم بن طغرل
٢٠٠	دخول البساسيري بغداد وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي
٢٠٢	رحيل الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى حديثة عانة
٢٠٣	انصراف المستنصر بالله عن معاونة البساسيري
	سعى طغرل بك لإعادة الخليفة العباسي إلى مقر خلافته ونجاحه
٢٠٤	في ذلك السبيل
٢٠٧	٣ - زوال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق
٢٠٧	ازدياد نفوذ السلاجقة بالعراق
٢٠٨	مناهضة السلاجقة النفوذ الفاطمي
٢٠٩	انحلال الدعوة الفاطمية في أواخر القرن الخامس وأسبابه
٢١٣	العوامل التي ساعدت على زوال الدعوة الفاطمية
	الباب السابع
	علاقات الفاطميين بالاندلس والمغرب وجزيرة صقلية
٢١٩	(١) علاقة الفاطميين بالأمويين في الأندلس
٢١٩	سياسة الأمويين بالاندلس في مناهضة الخلافة الفاطمية بالمغرب
	استمرار النزاع بين الفاطميين والأمويين بالاندلس حتى نهاية
٢٢٢	القرن الرابع الهجري

صفحة

- (ب) علاقة الفاطميين بالزيريين في المغرب ٢١٥
 أمراء بني زيري يتولون الحكم في المغرب بعد رحيل المعز إلى مصر ٢٢٥
 خروج المعز بن باديس على الخليفة المستنصر ٢٢٨
 (ج) الفاطميون وجزيرة صقلية ٢٣٠
 السيادة الفاطمية على صقلية ٢٣٢
 ضعف النفوذ الفاطمي بصقلية في أواخر القرن الرابع ٣٣٥
 استيلاء النرمندين على صقلية ٢٣٦

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية ، والدولة البيزنطية
 والمدن الإيطالية

- (أ) الفاطميون والبيزنطيون ٢٢٩
 البيزنطيون في شمال الشام يهددون النفوذ الفاطمي بتلك البلاد ٢٢٩
 الصلح بين باسيل الثاني والخليفة العزيز ٢٤٠
 معاهدة الصداقة بين مصر في أوائل عهد الحاكم ، والدولة البيزنطية ٢٤٣
 الصلح بين الخليفة الظاهر وقسطنطين الثامن ٢٤٤
 تحسن العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين في أوائل عهد المستنصر ٢٤٥
 عودة العداء بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية سيرته الأولى ٢٤٧
 (ب) - الفاطميون والمدن الإيطالية ٢٤٩
 مدينتا أمالفي وبيزا تحرسان على إنشاء علاقات مع مصر والشام
 في العصر الفاطمي ٢٤٩
 اهتمام مدينتي جنوة والبندقية بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين ٢٥٠
 مصادر الكتاب ٢٥٥ - ٢٦٤

الباب الاول

الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز

تمهيد : بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين

١ - السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز

٢ - ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز

الباب الأول

الدعوة الفاطمية في بلاد الحجاز

تمهيد : يملأ الحجاز قبل أنه بمنزلة إليها نفوذ الفاطميين :

كان العلويون في بلاد الحجاز كثيراً ما يشيرون الاضطرابات ضد العباسيين ، فلما قضى خلفاء العصر العباسي الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا ، وظل ولاية بني العباس يتولون الحكم في بلاد الحجاز حتى شغل الخلفاء العباسيون بالفتن والثورات التي أثارها الأتراك في أواخر القرن الثالث الهجري ، فاستغل هذه الفرصة بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ والسلطان من بني سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وعملوا على الاستقلال بإمارة مكة (١) . وسرعان ما تغلبوا عليها وأسسوا بها دولة السليمانيين وخلع أميرهم طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة سنة ٣٠١ هـ في خلافة المقتدر (٢) ، وقال في خطبة له بموسم الحج : الحمد لله الذي أعاد الحق إلى نظامه ، وأبرز زهر الإيمان من أكامه ، وكل دعوة خير الرسل بأسباطه لابني أعمامه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وكف عنا بركاته أسباب المعتدين وجعلها كلية باقية في عقبه إلى يوم الدين (٣) .

على أن دولة بني سليمان بمكة لم تكن من القوة بحيث تستطيع حماية الحجاج وحسد المغيرين عليها ، فقد هدها القرامطة في بلاد البحرين

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ١١ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج ٤ ص ٢٦٧—٢٦٨ .

(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٦٩ .

واستولوا عليها سنة ٣١٧ هـ ، وأقاموا الخطبة لعبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب ؛ وعلى الرغم من ذلك كله فلم يقض على سيادة العباسيين على مكة إلا فترة قصيرة من الزمن ، فقد شغل القرامطة عنها بالعمل على تحقيق أطماعهم في بلاد الشرق مما ساعد على عودة نفوذ العباسيين إلى مكة . فأقيمت الخطبة فيها للراضي بن المقتدر سنة ٣٢٧ هـ (١) ، بل إن هذا الخليفة أسند ولاية مكة والمدينة إلى محمد بن طغج الأخشيد وإلى مصر من قبله ، وأيد ذلك أخوه المتقي من بعده ، فضم الحجاز إلى محمد الأخشيد (٢) ، وصارت تقام له الخطبة مع الخليفة العباسي على منابر مكة والمدينة .

وقد نوّه محمد الأخشيد بتقلده مكة والمدينة في الكتاب الذي أرسله إلى رومانوس إمبراطور الروم . وكان هذا الإمبراطور قد بعث إليه كتاباً قال فيه : أنه لم تكن عادته أن يكتب إلا الخليفة والنفس تبادل الأسرى ؛ فكتب إليه محمد الأخشيد كتاباً أشار فيه إلى المكانة السامية التي يتمتع بها مدلا على ذلك بالبلاد التي في حوزته ؛ وبعد أن ذكر أن منها مصر وبلاد الشام قال : « هذا ما نتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالات الظاهرة ، فإننا لو لم نتقلدها لغيرها لمكانت بشرفها وعظيم قدرها وما حدث من الفضل توفى على كل ملكة لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام . ومنها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته وأنها مهبط الوحي ، وبهضة هذا الدين المستقيم الذي امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر والشرق

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٠ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٣ — ٥٤ ، أبو الحسن : النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة ج ٣ ص ٢٣ .

والغرب وصحارى العرب على بعد أطرافها وتنازع أقطارها وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها ، وعظمتها في وفودها ، وشدتها وصدق بأسها ونجديتها ، وكبر أحلامها وبعد مرامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى وشرد قيصر عن داره وعمل عزه ومجده بطائفة منها (١) .

ظلت سيادة العباسيين قائمة بمكة بعد أن تقلد ولايتها الأخشيديون في مصر ، فلما استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ شاركوهم هذه السيادة ، فأقيمت الخطبة بمكة للمطيع العباسي مع معز الدولة بن بويه ، ثم عمل البويهيون على ألا يكون للأخشيديين نفوذ في الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز ، وقام الخلاف سنة ٣٤٢ هـ بين أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي على الخطبة لابن بويه أو ابن الأخشيد ؛ وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما ؛ فلما انهزم المصريون أقيمت الخطبة لمعز الدولة بن بويه (٢) . على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الأخشيديين بمكة ؛ فقد ولي الخليفة المطيع كافور الأخشيدى بلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام ، وصار يدعى له بمتمضى هذه التولية على منابر هذه البلاد مع الخليفة العباسي (٣) . ثم دعى بعد وفاة للحسن بن عبيد الله بن طغج الأخشيد (٤) .

لم يكن اهتمام العباسيين ببسيط سلطانهم على المدينة المنورة أقل من حرصهم على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة . وكان العلويون قد اتخذوا المدينة مركزاً لإثارة الفتن في وجه الخلافة العباسية مما حمل بعض الخلفاء على إسناد ولايتها إلى وال مستقل عن والى الحجاز حتى يتفرغ للعمل على

(١) القلقشندي : ج ٧ ص ١٠ — ١٤ .

(٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٠ .

(٣) أبو الفداء : ج ٣ ص ١٠٧ .

(٤) أبو المحاسن : ج ٤ ص ٩ — ١٠ .

المقريزي : خطط ج ١ ص ٢٣٠ .

استقرار الأمور فيها والقضاء على ثورات العلويين ، ولما تقلد الأخشيديون بلاد الحجاز دخلت المدينة في حوزتهم ، فأبقوا للعباسيين سيادتهم عليها .

كان يقيم بالمدينة بعض أفراد من بنى الحسين بن علي بن أبي طالب ، أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال بولايتها كما فعل بنو سليمان بمكة ، لكنهم لم يكن لديهم القوة التي تساعد على تحقيق أغراضهم ؛ فلما قدم عليهم من مصر طاهر بن مسلم (١) من أحفاد الحسين ولوه أميراً عليهم ، ومالبت طاهر أن يستقل بإمارة المدينة سنة ٢٦٠ هـ (٢) . ولم تدم الخلافة العباسية بأى محاولة للوقوف في وجهه بسبب ما أصابها من ضعف .

(١) كان مسلم يدبر أمر مصر أيام كافور واسمه محمد بن عبد الله بن طاهر بن يحيى المحدث ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ابن حزم : جهرة أنساب العرب ص ٤٩) .

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٢

١ — السيادة الفاطمية في البصرة المقررة بالحجاز

ظل العباسيون يتمتعون بالسيادة على كل من مكة والمدينة لا ينازعهم فيها منازع حتى أقام الفاطميون خلافتهم في إفريقية وأخذوا يعملون على توسيع رقعة دولتهم وذلك باستيلائهم على مصر والشام ؛ فلما تم لهم فتح هذه البلاد وأصبحت القاهرة مقر خلافتهم تطلّعوا إلى بسط نفوذهم على الأراضي المقدسة بالحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي ويضعفوا من شأن الخلافة العباسية . ولم يدر بخاطر العباسيين بعد أن تقلدوا زمام الحكم أن الاحتفاظ بالسيادة على مكة والمدينة سيكون له أثر في وثوق رعاياهم من المسلمين بأحقيتهم في الخلافة ؛ فلما طمع الفاطميون في السيطرة على هاتين المدينتين ، ظهرت من ثنايا النزاع بينهم وبين العباسيين على امتلاك الأراضي المقدسة بالحجاز نظرية جديدة تتضمن أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين المكي والمدني . وكان العلويون في هذا النزاع على الأراضي المقدسة هم الخصم الثالث الذي يأتي أخيراً فيفوز بالغنيمة ، فاستقل أمراء الأشراف من بني الحسن بمكة ، كما استقل بالمدينة أمراء الأشراف من بني الحسين وأصبح هؤلاء الأمراء سادة الحرمين (١) .

بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمي فقد رأى هذا الخليفة على أثر ما بلغه من وقوع نزاع بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب أن يعمل على حسم الخلاف بينهم ؛ فأنفذ إليهم سرّاً مالا ورجالا سعوا بين هذين الفريقين حتى عقدوا بينهم صلحاً في المسجد

(١) منز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٥ — ٦ .

الحرام ، وقام رسل الخليفة الفاطمي بأداء دية قتلى بني الحسن سنة ٢٤٨ هـ مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم . ولما تم لجوهر الصقلي فتح مصر سنة ٢٥٨ هـ ، بادر حسن بن جعفر الحسني فاستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها ، فبعث إليه المعز من المغرب بتقليده الحرم وأعماله (١) .

كذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من مكة والمدينة (٢) ، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالأموال التي صار يرسلها إليهما . فقد أنفذ سنة ٣٥٩ - كما قال المقرئ (٣) - عسكراً وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع ، - وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز .

ظلت الخطبة تقام للمعز في كل من مكة والمدينة حتى توفي سنة ٣٦٥ هـ وخلفه ابنه العزيز ، فانقطعت الخطبة له في بلاد الحجاز ، فبعث إليها سنة ٣٦٧ هـ بإدريس بن زيري الصنهاجي أميراً على الحج ، فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة (٤) . على أن نفوذ الفاطميين رغم ذلك لم يكن مستقراً في مكة والمدينة طوال عهد العزيز ، فقد دعا أمير حاج العراق لعنجد الدولة بن بويه ، واضطر العزيز سنة ٣٨٠ هـ إلى إرسال حملة إلى بلاد الحجاز. ضيقت الحصار على أهلها ، وانتهى الأمر بإعادة الخطبة للعزيز على منابر مكة والمدينة ، وانقطعت الدعوة للعباسيين بهاتين المدينتين (٥) .

ظل طاهر بن مسلم - الذي يعد أول أمير من بني الحسين استقل

(١) المقرئ : اتعاظ الخنفاً ١٤٥ - ١٤٦

(٢) عبد القادر الأنصاري : درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٢ .

(٣) اتعاظ الخنفاً ص ١٧٢ . (٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠١ .

(٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠١ ، عبد القادر الأنصاري : درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٣

بالمدينة - موالياً للفاطميين حتى توفي سنة ٣٨١ هـ ، خلفه في إمارتها ابنه الحسن بن طاهر ويلقب مهني^(١) ، فسار على نهج أبيه في اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة . أما إمارة مكة فكان يليها في ذلك الوقت عيسى ابن جعفر من بني الحسن ، ولما توفي سنة ٣٨٤ هـ خلفه أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر . وقد أقام كل منهما الخطبة للفاطميين اعترافاً بما لهم من نفوذ على مكة .

وكان الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر في بداية عهده مخلصاً في ولايته للفاطميين ، فقد طلب منه الخليفة القادر بالله العباسي الدخول في طاعته وأغراه بالمال والخلع التي بعثها إليه ، كما وعده بالعمل على إبقاء الحكم في مكة ورأياً لبنيه من بعده ، لكنه رغم ذلك أبقى تحقيق رغبة الخليفة العباسي وبعث إليه بأن الخطبة في مكة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله دون سواه^(٢) ، كما أبقى للفاطميين سيادتهم على المدينة بأن سار إليها سنة ٣٩٠ هـ وأزال عنها إمرة بني مهني حين بلغه طعنهم في نسب الفاطميين ، لكنه لم يحتفظ طويلاً بإمارة المدينة ، فقد استعادها بنو مهني بعد عودته إلى مكة ودخلوا منذ ذلك الوقت في طاعة الفاطميين .

على أن أبا الفتوح أمير مكة لم يستمر على ولايته للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فقد خرج عليه سنة ٤٠٠ هـ ، بعد أن أغراه الوزير أبو القاسم حسين بن علي بن المغربي بانتحال لقب الخلافة - وكان هذا الوزير نافقاً على الحاكم بأمر الله لغدره بأبيه وأعمامه - لذلك عول على إضعاف شأنه ، ففر من مصر إلى حسان بن مفرج بن الجراح أمير طيء بالرملة وحسن له خلع طاعة الحاكم ، فاستجاب له وعهد إليه بالتوجه إلى

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٩

(٢) عبد القادر الأنصاري : درر القرائد المنظمة ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

أبى الفتوح أمير مكة ليفسده على الحاكم ويدعوه إلى الخلافة^(١). فلما قدم الوزير أبو القاسم بن المغربي مكة أطمع أبى الفتوح في الرئاسة وحرصه على طلب الخلافة كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذي سيكون خير عون له على تثبيت سلطته ؛ فرحب أبو الفتوح بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وأخذ ابن المغربي يدعو القبائل العربية من سليم وهلال وعوف بن عامر لمعاونة أبى الفتوح ، ثم سار من مكة قاصداً الرملة وبصحبه أبو الفتوح والعرب الذين أجابوا دعوته . فلما اقترب أبو الفتوح من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب بالترحاب وترجلوا له وبايعوه بالخلافة ثم ساروا في ركابه ، ونزل أبو الفتوح في دار حسان ونادى في الناس بالآمان وأقيمت له الخطبة في كثير من بلاد الشام^(٢) .

ولما وصل إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي نبأ خروج أبى الفتوح عليه وانتحاله لقب الخلافة وانحياز حسان بن مفرج بن الجراح والوزير أبى القاسم ابن المغربي إليه استاء من ذلك وعول على إعادة نفوذه في بلاد الحجاز وإضعاف شأن أبى الفتوح ، فكتب إلى أبى الطيب ابن عم أبى الفتوح بتوايته الحرمين وأنفسه له ولشيوخ بني الحسن مالا لخدلان أبى الفتوح ، كما تعهد بأن يدفع له خمسين ألف دينار عيناً ولكل فرد من إخوته سوى الهدايا والثياب التي بعثها إليهم ، فانصرفوا عن أبى الفتوح ودخلوا في طاعة الحاكم .

كذلك عمل الخليفة الفاطمي على استمالة حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم ، فانصرفوا عن أبى الفتوح . ولما أحس

(١) القرطبي : خطط ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) عبد القادر الأنصاري : درر الفوائد المنظمة ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

أبو الفتوح بن خذلان بن الجراح إياه وعدوهم عن رأيهم في العمل على تقوية نفوذه ، ركب إلى الوزير أبي القاسم بن المغربي وقال له : « أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فى أيدى هؤلاء ينفقون سوقهم بى عند الحاكم ويبيعوننى بيعاً بالدرهم ، فيجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى ، وتسهل طرى بالعودة إلى الحجاز ، فانى راض من القسمة بالإياب » . ثم ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بنجر أولاده وموقفهم إزاءه وقال له : « أريد أن تبعث معى من يوصلنى إلى مكة ولا تخرجنى » ، فبعث معه جماعة من طبيه ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ هـ ، فتلقاه أتباعه ، وكاتب الحاكم واعتذر إليه ، فقبل عذره وعفا عنه وأعادته إلى إمارته بمكة (١) . وعمل أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم ، كما نقش اسمه على السكة (٢) .

لم يحاول الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بعد عودته إلى إمارة مكة الخروج على طاعة الفاطميين بل احتفظ بسيادتهم فى هذا البلد المقدس ، وصار يقيم الخطبة للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ؛ فلما توفى هذا الخليفة خطب لابنه الظاهر ، كما خطب من بعده المستنصر سنة ٤٢٧ هـ . وظل أبو الفتوح موالياً للفاطميين حتى توفى سنة ٤٣٠ هـ ، وخلفه ابنه شكر الذى تمكن من بسط نفوذه على المدينة وأقام الدعوة للمستنصر فى الحرمين واستمر الحال على ذلك حتى توفى سنة ٤٥٣ هـ (٣) .

لم ينبج شكر بن أبى الفتوح الحسنى أولاداً يتولون إمارة مكة من

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٤٧٣ ، عبد القادر الأنصارى : درر القوائد المنظمة ص ٣٠٨ .

(٢) المقرئى : خطط ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) دحلان : خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام ص ١٨ ، ابن خلدون . ج ٤ ص ١٠٢ .

بعده ، فزال بوفاته نفوذ بني سليمان بمكة وتقلد الحكم فيها رئيس الهواشم
إذ ذاك محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد الذي عظم ذكره بين قومه ،
فحارب بني سليمان بمكة سنة ٤٥٤ هـ وأوقع بهم الهزيمة ، وأخرجهم من
الحجاز ، فساروا إلى اليمن واستقل بامارة مكة وأقام الخطبة للمستنصر
بالله الفاطمي (١).

لم يعمل الأمير محمد بن جعفر على الاحتفاظ بسيادة الفاطميين على
مكة ، فبدأ عمده بإقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، ثم ما لبث
أن انحرف عنه وأمر بذكر اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٢) .
فلما علم بذلك المستنصر عهد إلى علي بن محمد الصليحي داعيه باليمن
سنة ٤٥٥ هـ بارسال حملة إلى مكة لاستعادة نفوذه عليها وللقضاء على الدعوة
العباسية فيها (٣) . فسار الصليحي إلى مكة وعمل على استمالة أهلها إلى جانبه
بما كان معه من الأموال (٤) ، وتعاون مع أمير مكة في نشر الأمن والطمانينة
في هذا البلد المقدس ، فطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار ، وكسا
الصليحي البيت الحرام بثياب بيض (٥) .

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٠ (٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢١٥ .

(٤) Bulletin School of Oriental Studies .

(Letters of Al-Mustansir Billah, Part VII. 1934 P. 324)

(٥) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، أبو الحسن : ج ٥ ص ٧٢ .

٢ — ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز

تأثرت السيادة الفاطمية على مكة بالأحداث الداخلية التي أصابت مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي ، ذلك أنه لما انقطع ما كان يرد إلى محمد بن جعفر عن مصر من الأموال بسبب الشدة العظمى التي حلت بالبلاد المصرية وأصبح في حاجة إلى المال ، أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح بابها والميزاب وصادر أموال أهل مكة وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي (١) ، وبعث إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد رسولا سنة ٤٦٢ هـ يخبره بإقامة الخطبة للخليفة العباسي وللسلطان بمكة وإسقاط اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة وتركه الأذان بحى على خير العمل . فبعث إليه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعاً نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال : « إذا فعل أمير المدينة منى كذلك أعطيته عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار (٢) ».

على أنه يظهر لنا مما ذكره أبو المحاسن (٣) أن أمير مكة رغم قيامه بالدعوة للخليفة العباسي أبقى الأذان بحى على خير العمل وهو يعد من مظاهر المذهب الشيعي التي كانت سائدة إذ ذاك في الأراضى الخاضعة لنفوذ الفاطميين . فقد أرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٤ هـ الشريف أبا طالب الحسن بمال وخلع وطلب منه هذا الرسول أن يلغى الأذان

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني المجلد الأول ورقة

١٢١ ب .

(٢) ابن الأثير : ج ١٠ ص ٢١ ، أبو المحاسن : ج ٥ ص ٨٤ .

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٨٩ .

الشيعة في مكة ، فناظره الأمير مناظرة طويلة وقال له : « هذا أذان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال له أخو الشريف أبو طالب : ماصح عنه ، وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روى أنه أذن به في بعض أسفاره وما أنت وابن عمر ، فأسقطه من الأذان . »

كان الأمير محمد بن جعفر يتطلع إلى ضم المدينة المنورة إلى حوزته ليكون صاحب السيادة على الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز ، فلما أمن جانب الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بعد أن أقام لهما الخطبة في مكة ، وشغل عنه الخليفة الفاطمي بالعمل على استقرار الأمور في مصر ، أعد جيشاً من الأتراك وزحف به إلى المدينة ، فتغلب على بني مهني من بني الحسين الذين كانت إليهم الرئاسة بها وأخرجهم منها وأزال بذلك إمارتهم بالمدينة وجمع بين الحرمين (١).

وبما لا شك فيه أن الأمير محمد بن جعفر كان يرمى من وراء انحيازه إلى الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي العمل على توطيد سلطانه في بلاد الحجاز ، فيقيم الدعوة للخليفة الذي يمدد بالأموال ، لذلك نراه بعد أن انقطع ما كان يصل إليه من المال على أثر وفاة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ هـ يبطل الخطبة للعباسيين ويقيمها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٢). فلما أرسل إليه المقتدى بأمر الله العباسي الأموال أحل اسمه في الخطبة محل اسم الخليفة الفاطمي. وظلت الخطبة تقام للعباسيين في مكة والمدينة إلى أن توفي الخليفة المقتدى سنة ٤٨٧ هـ (٣).

لم يعمل محمد بن جعفر أمير مكة طيلة عهد إمارته على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأمن بها على الرغم من المساعدات المالية

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٩٧ .

(٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧ .

التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحياناً ومن الخليفة الفاطمي أحياناً أخرى ، بل أساء السيرة فيها وأصبح الحجاج في أواخر أيامه غير آمنين على أنفسهم (١).

كذلك لم يبد من هذا الأمير ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية ، بل دان اسكل منها بالطاعة في فترات متقاربة حتى وصفه أبو المحاسن (٢) بأنه كان « متلوناً تارة مع الخلفاء العباسيين وتارة مع المصريين (الفاطمين) ».

ظفر العباسيون بحظ وافر من السيادة على مكة في عهد إمارة محمد بن جعفر بخلاف الفاطميين الذين شغلوا إذ ذاك بالعمل على توطيد سلطتهم في مصر عن الاحتفاظ بسيادتهم في الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز ، وبذلك ظلت الدعوة العباسية قائمة في مكة حتى توفي الأمير محمد بن جعفر سنة ٤٨٧ هـ ، وخلفه ابنه الأمير قاسم الذي حذر أبيه في إقامة الخطبة للعباسيين ، وأرسل إليه الخليفة المستظهر وابنه المسترشد العباسي الخلع والأموال (٣).

لم تنعم مكة في عهد الأمير قاسم بالهدوء والاستقرار ، بل كانت الأحوال فيها مضطربة طوال المدة التي قضاها أميراً عليها وتبلغ ثلاثين سنة (٤)، مما يثبت لنا عجز هذا الأمير عن إقرار الأمن والعمل على إصلاح شئون إمارته .

لما توفي الأمير قاسم بن محمد بن جعفر الحسني سنة ٥١٨ هـ ، وخلفه ابنه فليته ، افتتح عهده بإقامة الخطبة للخليفة العباسي المسترشد ، وعمل على

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٨٣ .

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ١٤٠ .

(٣) ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٤) ابن خلدون . ج ٤ ص ١٠٤ .

نشر العدل بين أهالي إمارته مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم ؛ فأنشروا عليه وتمتعوا في عهده بالرخاء والطمأنينة ، كما حرص هذا الأمير على إظهار ولائه للخليفة العباسي المسترشد حتى توفي سنة ٥٢٧ هـ ، وولى إمارة مكة من بعده ابنه هاشم (١) ، فلم يعمل على استمرار ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة ، بل أقام الخطبة للخليفة الحافظ الفاطمي ، مما أثار السيدة الحرة الصليحية صاحبة اليمن - وكانت إذ ذاك تقيم الدعوة للإمام الطيب بن الخليفة الأمر الفاطمي - ولم تعترف بخلافة الحافظ الذي لم يكن يتمتع بصفة الإمامة التي يجب توافرها في الخلفاء الفاطميين (٢) ؛ فأرسلت إلى هاشم أمير مكة تنوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة للحافظ ، لكنها ما لبثت أن توفيت سنة ٥٣٢ هـ . فكفاه الله شرها (٣) .

على أن الدعوة لبني العباس لم تقطع نهائياً في عهد الأمير هاشم ، بل أقيمت في أيامه الخطبة للخليفة المقتنى . كما أن ابنه قاسم الذي آلت إليه إمارة مكة سنة ٥٤٩ هـ حرص على ذكر اسم الخليفة المستنجد بالله العباسي في الخطبة وحاول في نفس الوقت التقرب إلى الخلافة الفاطمية في مصر ، فأوفد الشاعر عمارة اليمني برسالة إلى القاهرة سنة ٥٥٠ هـ - وكان الخليفة الفاطمي إذ ذاك الفائز وزيره الصالح طلائع بن زريك - فأدى عمارة الرسالة

(١) راجع ما ورد عن ولاية مكة من الملاحظات العلوية في

(Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Islam p. 21.

(٢) كان الخليفة الأمر الفاطمي قد أعجب ولداً سماه أبا القاسم الطيب وجعله ولي عهده ، فلما قتل الخليفة بعد ذلك ببضعة أشهر سنة ٥٢٤ هـ أخفى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر الذي لقب بالحافظ لدين الله أمر الإمام الطيب ، وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلاً لطفل مرتقب ؛ غير أن الوزير أبا علي أحمد بن الأفضل ما لبث أن اعتقله ، فظل في سجنه إلى أن تأمر الإسماعيلية على اغتيال هذا الوزير في المحرم سنة ٥٢٦ هـ ، وأخرجوا الحافظ من سجنه . ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٧١ ، ٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٩ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٨٨ - ٨٩ .

ونظم قصيدة في مدح الخليفة والوزير، نوه فيها بقدمه سفيراً من مكة المكرمة إلى القاهرة . ومن هذه القصيدة تنقل الآيات الآتية (١):

الحمد للعيش بعد العزم والمهم حمداً يقوم بما أوت من النعم
قرّ بن بعد مزار العز من نظرى حتى رأيت إمام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
حيث الخلافة مضروب مرادقها بين النقيضين من عفو ومن نعم

لم يمكث عمارة البني طويلاً في مصر بعد أن تلقاه كل من الخليفة والوزير الفاطمي بالمعطف والقبول ، فسرعان ما عاد إلى مكة ومنها توجه إلى زيد (٢) في صفر سنة ٥٥١ هـ ، ثم رحل منها إلى بلاد الحجاز حيث أدى فريضة الحج وأوفده أمير الحرمين برسالة أخرى إلى الملك الصالح طلائع ابن زويك يعتنق فيها عن الأحداث التي ارتكبها جنده مع حجاج مصر والشام مع تعديهم عليهم وأخذم أموالاً منهم ، فقدم عبارة للمرة الثانية إلى القاهرة حاملاً رسالة أمير الحرمين واتخذ مصر موطناً له (٣) ، وصار من مشاهير شعراء البلاط الفاطمي في عهد الخليفين الفائز والعاقد (٤).

على أن هاتين السفارتين اللتين أرسلهما أمير مكة إلى الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره طلائع بن زويك وإن دلت على حرص هذا الأمير على اكتساب رضا الخلافة الفاطمية ، فإنهما لم يؤدبا إلى إحلال النفوذ الفاطمي محل النفوذ العباسي فقد ظلت الخطبة تقام في الحرمين للخليفة المستنجد بالله العباسي حتى توفي الأمير قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦ هـ حول بعده الأمير عيسى بن فليته الذي ضعف في هيئته شأن الفاطميين في مصر ،

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٧٥ — ٤٧٦ .

(٢) زيد . مدينة من تهام اليمن . القلشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٩ .

(٣) عمارة البني . النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية ص ٣١ ، ٤١ — ٤٢ .

(٤) حسن إبراهيم . الفاطميون في مصر (حاشية رقم ١ ص ١٧٤) .

وأخذت دوائهم بخطى واسعة نحو لزوال (١)

وبما لا شك فيه أن عدم استمرار الأمور في مصر في العصر الفاطمي الثاني الذي تجلى فيه ازدياد نفوذ الورراء واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء شجع الخلافة العباسية في ذلك الوقت رغم ما كانت تعانيه من جراء ازدياد نفوذ السلاجقة على نشر نفوذهم في كل من مكة والمدينة

على أن الخلفاء الفاطميين ووزراءهم في العصر الفاطمي الثاني لم ينصرفوا انصرافاً تاماً عن نشر الدعوة لهم في بلاد الحجاز ، بل إهم رغم انكماش دوائهم في هذا العصر حتى لم يبق في حوزتهم غير مصر ، فإنهم احتفظوا ببعض النفوذ في الجزيرة العربية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الدعوة الشيعية التي استمرت دون توقف على يد الدعاة الفاطميين (٢)

وعلى الرغم من أن ولاية مكة والمدينة أقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبني العباس ، فإنهم لم يتحازروا إلى الخلفاء العباسيين في مساهمة الخلافة الفاطمية بل حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين كلما أمكنتهم الفرص وما ذلك إلا بتأثير الدعوة الشيعية التي بذل الدعاة الفاطميون في نشرها عناية كبيرة ، كما أن الخلفاء الفاطميين من ناحيتهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في نشر الأمن والطمانينة في الأراضى المقدسة بالحجج لتيسير سبل المعيشة على أهلها بما كانوا يرسلونه إليهم من الحبوب والأموال. لذلك لا نعجب إذا علمنا أن إقامة الخطبة للخلفاء الفاطميين لم تلق اعتراضاً من هؤلاء الأهالي الذين عرفوا بميلهم إلى المذهب السني ، كما أن أمرهم احتفظوا في كل من مكة والمدينة بكثير من مظاهر المذهب الشيعي التي

(١) الفاتحدي . صبح الأتقي ج ٤ ص ٢٧١ .

(٢) Stanley Lane-Poole. A History of Egypt in the middle ages pp. 117-118. 123.

كانت سائدة في مصر في العصر الفاطمي ، وفضلا عن ذلك فإن انتهاء أمراء مكة والمدينة إلى البيت العلوي كان له أثر كبير في حرص هؤلاء الأمراء على التقرب إلى الخلفاء الفاطميين واكتساب رضائهم رغم المحاولات التي بذلها الخلفاء العباسيون لاستئصالهم إليهم وصرفهم عن الخلافة الفاطمية في مصر .

وعلى الرغم من حرص الخلفاء العباسيين والفاطميين على بسط سيادتهم على الأراضى المقدسة بالحجاز ، فإن التنافس بينهم لتحقيق هذه الغاية لم يقرن بمظاهر العنف ، بل وجه كل منهم اهتمامه إلى إقامة الدعوة له في تلك الأراضى بالطرق السلمية ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن العباسيين والفاطميين رأوا ألا يتخذوا من الأراضى المقدسة بالحجاز ميداناً لإظهار ما بينهم من عداوة وبغضاء .

وقد اقتصر اهتمام الخلفاء الفاطميين تحت تأثير الصعوبات التي واجهوها في دولتهم على نشر سلطتهم الدينية في بلاد الحجاز التي كانت تتمثل في إقامة الخطبة لهم على منابرهما . وكانوا يرجون من وراء تمتعهم بهذه السلطة توطيد أركان خلافتهم واستمالة العالم الإسلامي إلى جانبهم بعد أن أصبح المسلمون ينظرون نظرة إجلال وتقدير إلى الخلفاء الذين يحتفظون بسيادتهم على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز .

ولا شك أن حرص الفاطميين على نشر نفوذهم في بلاد الحجاز ونجاحهم في هذا السبيل وإن جر عليهم منافسة العباسيين لهم ، فإنهم جنوا من ورائه احترام العالم الإسلامي وتقديره ، فقد برهنوا على قدرتهم على درء الأخطار عن تلك البلاد بعد أن صدوا القرامطة عن مكة ووجهوا اهتمامهم إلى العمل على حماية الأراضى المقدسة وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم .

ولم يكن لدى أمراء مكة والمدينة القوة التي تمكنهم من درء الأخطار عن بلاد الحجاز ، كما أن موارد تلك البلاد كانت لا تسكنى لسد حاجة أهلها لذلك رأوا أنه من الخير لهم اكتساب صداقة الفاطميين والتقرب إليهم ماداموا يرعون حقوقهم في الإمارة ، ويمسكونهم بما يحتاجون إليه من الأموال والغلال ؛ غير أنه يؤخذ على هؤلاء الأمراء أنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الخاصة على مصلحة البلاد التي يتولون الإمارة عليها ، فاستغلوا التنافس بين العباسيين والفاطميين على السيادة على بلاد الحجاز لإشباع مطامعهم وصاروا يقيمون الخطبة للخلفاء الذين يواصلون إمدادهم بالأموال ، ولا يعنون بإدخال ضروب الإصلاح في بلادهم مما أدى إلى إضعاف شأنها وتأخيرها مادياً وعلمياً حتى أن المقدسى (١) لما زار بلاد الحجاز في القرن الرابع الهجري وصفها بالفقر وقلة العلم (٢) ، كما أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو لاحظ حين زيارته مكة في القرن الخامس الهجري قلة سكانها ، وقدر عددهم بألفين ، وقال إن فريقاً من أهلها اضطروا إلى الرحيل عنها فراراً من المجاعات (٣) .

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٠٣

(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ص ٣١٣

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧

أمراء مكة الأشراف^(١)

السليمانيون والهاشم

(من منتصف القرن الرابع إلى نهاية القرن السابع الهجري)

٨٣٥٦	أبو جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الناصر
٨٣٥٨	حسن بن جعفر الحسني ^(٢)
٨٣٧٠	عيسى بن أبي محمد جعفر
٨٣٨٠	أبو الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر
٨٤٠١	أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبد الله داود
٨٤٠٣	أبو الفتوح الحسن (المرّة الثانية)
٨٤٣٠	محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن
٨٤٥٣	حمزة بن وئحاش بن أبي الطيب داود
٨٤٦١	أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد (تاج المولى)
٨٤٨٧	أبو فليته القاسم بن محمد بن جعفر
٨٥١٨	فليته بن القاسم بن محمد بن محمد بن جعفر
٨٥٢٧	هاشم بن فليته بن القاسم
٨٥٤٩	القاسم بن هاشم بن فليته
٥٥٦	عيسى بن فليته بن القاسم
٨٥٧٠	داود بن عيسى بن فليته
٥٧١	مكثّر بن عيسى بن فليته
٨٥٧٢	داود بن عيسى (المرّة الثانية)

(١) Zambaur, Manuel de Généalogie et de chronologie pour L'Histoire de L'Islam. p. 21

(٢) دعا للمز سنة ٣٥٨ هـ : انظر الفرزى : انطاك المختار ١٤٦

الباب الثانى

السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين.
موقف أمراء القرامطة من الخلفاء الفاطميين.

الباب الثاني

السيادة الفاطمية في بلاد البحرين

تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين

كان نفوذ العباسيين في جزيرة العرب مهدداً من ناحية القرامطة (١) الذين نجحوا في اقتطاع بلاد البحرين حيث كان أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي (٢) أحد قوادهم يعمل على نشر دعوتهم بهذا الاقليم منذ سنة ٢٨٣ هـ . وقد وجدت تعاليمه مرعى خصيباً لدى الأهالي وعلى الأخص الأعراب الذين كانوا دائماً على استعداد للانضمام إلى أى حركة ثورية ضد العرب أو غيرهم ما دامت تيسح لهم فرصة للسلب والنهب (٣) .

وقد تمكن أبو سعيد الجنابي من الاستيلاء على مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين بعد حصار دام سنتين واتخذ مدينة الأحساء (٤) عاصمة لدولة

(١) القرامطة : طائفة سياسية اتخذت الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضها وسلاحاً للوصول إلى ما تصبو إليه ؛ وقد عرفت بذلك نسبة إلى أحد دعاة جردان بن الأشعث الملقب بقرمط ويقال أنه سمي قرمط لقصر قامته ورجليه .
النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢٣ ورقة ٦٠ هـ

ويرى Ivanow في كتابه (The Rise of the Fatimids p. 69) أن « كرامته كلمة معروفة عند أهالي بلاد العراق الجنوبية لم تستعمل في العربية معناها الفلاح أو القروي ثم عربت إلى قرمط ، وأن جردان بن الأشعث عرف بهذا الاسم وسمى أتباعه باسمه » .
(عبد العزيز الدوري : دراسات في العصر العباسي الثاني ص ١٥٨)

(٢) الجنابي : نسبة إلى جنابه وهي بلدة على ساحل الخليج الفارسي

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٢-١٤٣)

(٣) De La cy O'Leary. Ashort History of the Fatimid Khalif ate

(٤) عرفت بهذا الاسم لما فيها من أحساء اللباه في الرمال ومراعي الإبل (ابن خلدون .

ج ٤ ص ٩١)

القرامطة الجديدة التي أسسها سنة ٢٨٦ هـ وكان لهذه الدولة شأن كبير في جزيرة العرب فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على كثير من أرجائها ، كما قامت بها حكومة ماسكية وراثية في بيت أبي سعيد يعاونها مجلس يتكون من إثني عشر عضواً . وكان الحاكم هو القائد الأعلى للجيش ، بيده كافة مقاليد الأمور ، وله سلطة مطلقة . وكان العبيد يقومون بفلاحة أراضيها أما سكانها من العرب فلم يكن لهم عمل سوى الخدمة في الجيش (١) .

وقد وضع أبو سعيد نظاماً حربياً دقيقاً يستطيع بمقتضاه إعداد جيش قوى من رعاياه ، فصار يجمع الأطفال في دور خاصة وعين لهم قوماً يشرفون على مصالحهم وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، وأخذ يدرّبهم على ركوب الخيل واستخدام الأسلحة الحربية ، فنشئوا نشأة عسكرية (٢) .

كان أبو سعيد يطمع في بسط سيادته على جزيرة العرب وسلخها عن الدولة العباسية ، وقد أثارت مطامعه مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فأرسل إليه جيشاً بقيادة العباس بن عمرو الغنوي بعد أن ولاء على الإمامة والبحرين سنة ٢٨٩ هـ ، فلقى هذا الجيش هزيمة فادحة ووقع العباس في الأسر ، وما لبث أن أطلق أبو سعيد سراحه وطلب منه أن يبلغ المعتضد هذه الرسالة ، وما جاء فيها : « هذا بلد خارج عن يدك غلبت عليه وقت به وكان في من الفضل ما أخذ به غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سيلاً ، ولا نلت أحداً من رعيّتك بسوء ، فتوجّبهك إلى الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أنّي لا أخرج عن هذا البلد ولا توصل إليه ، وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر (٣) .

(١) Encyclopaedia of Religion & Ethics, Vol III p.225

(٢) المقرئى . اتعاظ الخفاص ٢١٦

(٣) المقرئى . اتعاظ الخفاص ٢١٨

ولما وقف المعتضد على ما تضمنه حديث أبي سعيد قال : « صدق ما أخذ شيئاً كان في أيدينا ، ثم أطرق ، ففكر وأقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال في العمر لأشخصن بنفسى إلى البصرة وجميع غلاني ، ولأوجهن إليه جيشاً كثيفاً فإن هزمه وجهت جيشاً ، فإن هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه يحكم الله بيني وبينه . »

يتضح لنا من حديث الخليفة المعتضد أنه مدرك حقيقة الحال في الدولة العباسية ، وأن بعض ولاياتها ومن بينها بلاد البحرين خرجت عن سلطانه ، وأن واجبه كخليفة يحتم عليه أن يظل نفوذه سائداً في جميع البلاد الإسلامية . وقد بلغ من حنق المعتضد على أبي سعيد ورغبته في القضاء عليه أنه كان يذكره خلال مرضه ويتلفف ويقول : حسرة في نفسى ، كنت أحب أن أبلغها قبل موتى ، والله لقد كنت وضعت عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحداً أطول من سبى إلا ضربت عنقه ، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة (١) .

استطاع أبو سعيد بإقراره النظام في بلاد البحرين وتدريبه أهلها على الأعمال الحربية أن يقيم دولة موطدة الأركان فيها ، امتد نفوذها على بحر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف (٢) . ولوطالت حياته لتيسر له مد سلطانه على جزيرة العرب بأكملها ، ولكنه اغتيل سنة ٥٣٠٢ هـ على يد خادم له كان قد أخذه من الجيش العباسى ، خلفه ابنه سعيد الذى كان يدبر أمور الدولة حتى ثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان وقتله وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة .

(١) القرزى : اتعاظ الخفاص ٢١٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨٠ ص ٢٧ .

موقف أمراء القرامطة من الخلفاء الفاطميين

قامت العلاقات الودية بين القرامطة في بلاد البحرين والفاطميين في بلاد المغرب منذ أن أرسل عبيد الله المهدي إلى أبي طاهر سليمان أمير القرامطة كتاباً بتوليته . وقد ترتب على ذلك اتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين ، فطلب أبو القاسم بن المهدي سنة ٣٠٦ هـ من أبي طاهر أن يحضر إلى مصر على رأس حملة ليعاونه على فتحها . لكن الجيش العباسي بقيادة مؤنس الخادم ما لبث أن أوقع الهزيمة بجيش أبي القاسم قبل أن تصل إليه النجدة من أبي طاهر (١) .

كان أبو طاهر رجلاً طموحاً إلى المجد والعظمة . ففرض السنوات الأولى من حكمه ينظم شؤون دولته ويعد العدة للسيطرة على جزيرة العرب ، كما وجه سياسته إلى تأييد عبيد الله المهدي في عدائه للعباسيين (٢) . فعمل على إشغالهم في المشرق بحملاته التي وجهها إلى بلادهم حتى يتيح للمهدي توطيد نفوذه في المغرب ، فزحف على البصرة والكوفة وبعد أن غنم منها مغانم كثيرة عاد إلى هجر (٣) ، وفي سنة ٣١٦ هـ تقدم أبو طاهر إلى بغداد وكادت تقع في يده لو لا دهاء مؤنس الخادم قائد الخليفة المقتدر الذي بعث بزواريق مملأة بفاكهة مسمومة ، فلما أكل منها جند القرامطة مات منهم عدد كبير وارتد جيش أبي طاهر بعد أن تكبد خسائر فادحة (٤) ، لكن هذه الهزيمة لم تفت في عضده ، فقام في العام التالي بحملة جريئة اضطرب من أجلها العالم الإسلامي ، ذلك أنه أغار على مكة في ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ (يناير ٩٣٠ م)

(١) ابن خلدون: ج ١٠ ص ٨٨-٨٩ .

(٢) حسن إبراهيم : الإسلام السياسي ج ٣ ص ٣٣٩

(٣) . ج ٨ ص ٤٠ و ٤٩

(٤) القريري : اتعاظ الخفاص ص ٢٤٧

في عدد قليل ، إذ كان معه ستمائة فارس وتسعمائة راجل ، ونهب هو وأصحابه الحجاج وقتلوه في المسجد الحرام ، وقلع بات البيت وقبة زمزم والحجر الأسود ، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، وأقام الخطبة في مكة لعبيد الله المهدي بدلا من الخليفة العباسي المقتدر ثم عاد إلى الأحساء حاملا معه الحجر الأسود (١) .

لم يقيم أبو طاهر بهذه الفعلة الشنعاء - كما زعم أوليرى (٢) - بناء على تعاليم سرية أرسات إليه من القيروان الغرض منها الانتقام من أهل مكة لأنهم لم يخطبوا لعبيد الله المهدي ، ودليلنا على ذلك أن اهتمام هذا الخليفة بإقامة الخطبة له لم يتضح إلا بعد أن فتح أبو طاهر مكة ، كما أن عبيد الله المهدي أظهر استيائه من الأحداث التي ارتكبها أبو طاهر في هذا البلد المقدس وكتب إليه مانصه : (٣) ، والعجب من كتب إلينا عمتنا علينا بما ارتكبته واجترأته باسمنا من حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها وإهانة أهلها ، ثم تعديت ذلك وقلعت الحجر . . . وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشكرك ، فلعنك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه ما عمل فيه حساب غده ، (٤) . فبعث إليه أبو طاهر رداً على كتابه وعده فيه بأنه سيعمل على إعادة الحجر الأسود إلى بيت الله الحرام (٥) .

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ٨١ وعبد القادر الأنصاري . درر القرائد المنظمة ج ١ ص ١٩٥-١٩٦

(٢) A Short History of the Fatimid Khalifate. p.86

(٣) عبد القادر الأنصاري . درر القرائد المنظمة ج ١ ص ١٩٦

(٤) يرى أوليرى في كتابه . A short History of the Fatimid

. Khalifate, p. 85 أن عبيد الله المهدي أرسل هذا الخطاب لأبي طاهر لينقذ عن نفسه أية مسئولية من جراء استعواذ القرامطة على الحجر الأسود ويظهر بمظهر المدافع عن شعائر الإسلام حتى يكتسب تقدير العالم الإسلامي

(٥) ابن خلدون . ج ٤ ص ٨٩

لم يكتف أبو طاهر بمهاجمة مكة وإقامة الخطبة فيها للخليفة الفاطمي بل بسط سلطانه عليها وفرض على الحجاج سنة ٣٢٢ هـ إتاحة يؤدونها إليه مقابل حمايتهم والمحافظة على أرواحهم (١). وبذلك أصبحت الخلافة العباسية عاجزة عن حماية رعاياها من المسلمين وتأمين طريقهم إلى بلاد الحجاز. ولا شك أن ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها أمام العالم الإسلامي وهو ما كان يرجوه ويعمل من أجله أبو طاهر ليهد السبيل أمام أنصاره الفاطميين، ولا فرق فقد أعلن في إحدى قصائده ولاء المهدي وأنه عول على القضاء على العباسيين وإعادة النفوذ إلى العلويين (٢).

أغرکم منی رجوعی إلى هجر فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المریخ من أرض بابل وقارنه كيوان فالخذر الخذر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة بأنى أنا الموهوب فى البدو والحضر
ومنها:

فيا ويلهم من وقعت بعد وقعة تساقون سوق الشاة الذبيح والبقر
سأصرف خيلي نحو مصر وبرقة إلى قیروان النرك والروم والخزور
ومنها:

أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم فلا أبق منهم نسل أنثى ولا ذكر
أنا الداع المدي لا شك غيره أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر (٣)

* * *

حرص القرامطة طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى على الاحتفاظ بعلاقتهم الودية مع الفاطميين ببلاد المغرب، كما سمحوا لهم بالتدخل في تعيين أمراءهم، ذلك أنه لما توفي أبو طاهر سنة ٣٢٢ هـ عارض

(١) المقرئى . انماط الحنفا ص ٢٤٤

(٢) حسن ابراهيم . تاريخ الإسلام السياسى ج ٣ ص ٣٣٩

(٣) أبو الحسن ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٥-٢٢٦

بعض رجال دولته في تولية أخيه الأكبر أحمد بن أبي سعيد الحسن -
 وكان أبو طاهر قد أوصى أن يخلفه في الحكم - ومنالوا إلى تولية سابور
 ابن أبي طاهر وكانوا الخليفة الفاطمي القائم في ذلك . فجاءهم كتابه بولاية
 أحمد وأن يكون سابور ولي عمه (١) ، فنفذت رغبته وتقلد أحمد زمام
 الحكم في دولة القرامطة في بلاد البحرين وبلغ بابي المنصور ، وحذا حذو
 أخيه في ولائه للفاطميين ، فأعاد الحجر الأسود من الأحساء إلى مكانه
 بالكعبة سنة ٢٣٩ هـ إجابة لطلب المنصور الفاطمي بعد أن ذهبت مجرعات
 الخلافة العباسية مع أبي طاهر بشأن استرداده هباء ، فقد رفض رده مقابل
 خمسين ألف دينار من الذهب (٢) ، وفي هذا دليل واضح على مدى خضوع
 القرامطة في بلاد البحرين لسلطان الفاطميين .

وبما لا شك فيه أن قيام دولة القرامطة في بلاد البحرين أثار في وجه
 الخلافة العباسية كثيراً من المتاعب والمشاكل بجانب ما كانت تعانيه من
 ازدياد نفوذ الأتراك واستبداد البويهيين بالسلطة في بغداد . وقد أدى
 انشغالها بصد غارات القرامطة عن أراضيها إلى ازدياد قوة الفاطميين في
 بلاد المغرب ، كما مهد السبيل لفتح مصر ، فقد كانت غارات قرامطة البحرين
 على أراضي الدولة العباسية بالشرق تتفق دائماً مع الحملات التي وجهها
 عبید الله المهدي إلى مصر (٣) .

وكان لاتحاد القرامطة مع الفاطميين في نشر آراء المذهب الإسماعيلي
 أكبر الأثر في صعود نجم العلويين في القرن الرابع الهجري على حين بدأ

(١) ذكر De Goeje في كتابه

Mémoire sur Les Carmathes du Bahrain P. 146

أن المنصور بن القائم هو الذي أصدر قرار تعيين أحمد بن الحسن بدلاً من سابور

(٢) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٨٩-٩٠

(٣) De Goeje. Mémoire sur Les carmathes du - Bahrain et Les Fatimides P. 69.

أمر العباسيين في الضعف ، فبسط الفاطميون الذين يمثلون الخلافة العلوية سلطانهم على مصر وبلاد الشام وكثير من أرجاء جزيرة العرب . وكانت كل هذه البلاد تدين بالطاعة للعباسيين .

لم تتمتع دولة القرامطة في بلاد البحرين بالهدوء والاستقرار في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فقد حدث نزاع بين أفراد أسرة أبي طاهر على العرش ، فقبض سابور بن أبي طاهر على عمه أحمد بن أبي سعيد الملقب بأبي المنصور سنة ٣٥٨ هـ - وكان إذ ذاك بلى الحكم في دولة القرامطة - غير أنه مالبث أن خرج من اعتقاله وقتل سابور ونفى أخوته وأشياعه إلى جزيرة أوال (١) ، وانقسم القرامطة بسبب ذلك إلى فريقين : أحدهما بزعامة بيت أبي طاهر ، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد وعلى رأسه ابنه الحسن الملقب بالأعصم الذي آلت إليه إمارة بلاد البحرين بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٩ (٢) هـ .

اتبع الحسن بن أحمد سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة الذين كانوا يحرضون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب ويسمحون لهم بالتدخل في تعيين أمرائهم ، فانتزعت فرصة الخلاف الذي وقع بين أفراد أسرته بسبب التنافس على تقلد إمارة القرامطة وأبعد إخوة سابور بن أبي طاهر وأشياعهم - رغم الفريق الذي عرف بولائه للفاطميين - إلى جزيرة أوال (٣) ، حتى بلغ ما اجتمع بها منهم نحو من ثلثمائة ، كما لم يعترض أثناء وجوده بمكة على إقامة الخطبة للخليفة العباسي المطيع (٤) ، كما يدلنا على انحرافه عنهم . ولم يلبث

(١) جزيرة بناحية البحرين . ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٥

(٢) حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٢٤٥

(٣) أوال . جزيرة بناحية بلاد البحرين . ياقوت ، معجم البلدان . ج ١ ص ٣٦٥

(٤) ابن خلدون ، المعبر وديوان للتبدا والخبر . ج ٤ ص ٩٠

أن أصبح محاربا لهم ، بل راغبا رغبة أكيدة في القضاء عليهم ؛ ذلك أنه بعد أن تم للجيش الفاطمي بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي فتح دمشق سنة ٨٢٥٩ طالب الحسن بن أحمد بالآتاة التي كان يدفعها الأخشيديون للقرامطة (١) فرفض القائد الفاطمي أداءها إليه ، فأدى ذلك إلى عداوة سافر بين الحسن بن أحمد القرمطي والفاطمين . ويعتقد جاستون فييت (٢) أن قطع الآتاة كان عذراً وهمياً لقطع العلاقات بين القرامطة والفاطمين ؛ ويقول إنه من المحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى أن الفاطمين الذين ملكوا بلاداً غنية أرادوا القضاء على القرامطة حتى لا يذيعوا بين الناس أن الفاطمين من نسلهم ، وحتى لا يطعموا في سلب ما استحوذ عليه الفاطميون .

رأى الفاطميون - بعد أن تبدلت صلة المودة بينهم وبين قرامطة بلاد البحرين بتأثير السياسة التي سار عليها الحسن بن أحمد - أن يعملوا على إضعاف شأنهم بإثارة النزاع بينهم ؛ فأرسل المعز لدين الله الفاطمي إلى أبي طاهر وبنيه الذين أبعدها إلى جزيرة أوال يخبرهم بأحقية ولد أبي طاهر في إمارة القرامطة . فلما علم بذلك الحسن بن أحمد ، أمر بحذف اسم المعز من الخطبة في بلاد البحرين وإقامة الدعوة للخليفة العباسي المطيع (٣) .

وكان الحسن بن أحمد يرى ضرورة استعادة سلطة القرامطة على بلاد الشام ، فبعث إلى كل من الخليفة العباسي وأمير بني بويه ببغداد أن يمداه بالأموال والرجال لمعاونته على محاربة الفاطمين ، واستطاع الحسن بن أحمد بفضل ما وصل إليه من الأمداد أن يزحف إلى بلاد الشام ؛ فاستولى على

(١) أغار القرامطة على بلاد الشام سنة ٣٥٧ هـ . وعجز الأخشيديون عن صدقهم ، واضطر الحسن بن عبد الله بن طنج الأخشيدي إلى هذه البلاد إلى الاتفاق معهم على أن يؤدي إليهم آتاة سنوية قدرها ثلاثمائة ألف دينار .

(المقريزي . اتعاظ الخنفا . ص ٢٤٧-٢٤٨)

(٢) Histoire de La Nation Egyptienne, Vol IV p. 101-102

(٣) ابن خلدون . ج ٤ ص ٩٠

دمشق سنة ٣٦٠هـ وما زال يواصل فتوحه حتى تمكن من بسط سلطانه على كثير من مدن الشام . ولم يكتف بذلك ، بل ولى وجهه شطر مصر حتى لا يعارد الفاطميون مهاجمته من هذه الناحية ، لكنه فشل في المحاولتين اللتين قام بهما للاستيلاء على البلاد المصرية : الأولى في ربيع الأول سنة ٣٦١هـ ، والثانية في سنة ٣٦٣هـ . واضطر بعد عجزه عن الاستيلاء على القاهرة إلى التوجه بحبوشه إلى دمشق ، ثم رحل مع بعض رجاله إلى الإحياء (١) وأخذ الفاطميون يعملون على استرداد بلاد الشام - على ما سيأتى - .

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد سنة ٣٦٧هـ ، كما أنهم أنكروا سياسته العدائية إزاء الفاطميين ومبايعته الخليفة العباسي ، وعمل أتباع أبي طاهر على إقصاء ولد أبي سعيد عن الإمارة ، ثم استقر الرأي على أن يتولى الحكم في بلاد البحرين إثنان من سيادتهم وهما جعفر وإسحق (٢) ، فسارا على السياسة التي اتبعها أمراء القرامطة قبل تولية الحسن بن أحمد من إقامة الدعوة الفاطمية ومحاربة بني العباس (٣) .

عاد قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد إلى القيام بمحاولات على أراضي الدولة العباسية ، فأغاروا على الكوفة سنة ٣٧٨هـ وأدى ذلك إلى انزعاج أهلها لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس ، فبعث إليهم مصمم الدولة أمير بني بويه جيشاً أوقع بهم

(١) انظر القرطبي : انماط الحنفا . ص ٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢١١

(٢) ذكر (ابن الأثير ج ٨ ص ٢٢٨) أنه تولى أمر القرامطة بعد وفاة الحسن بن أحمد سنة فاشتركوا جميعاً في الحكم وسوا السادة .

(٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ٩١

(٤) ابن الأثير . ج ٩ ص ١٤-١٥ .

المزينة على نهر الفرات وتعقبهم إلى القادسية (١) ، وبذلك تيسر للبويهيين إخراجهم نهائياً من بلاد العراق .

* * *

ضعف أمر القرامطة منذ أواخر القرن الرابع الهجري حتى لم يبق لهم إلا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية لا تستطيع قطع الطريق على الحجاج ، ولكن كان لها على باب البصرة ديوان صغير لأخذ الضرائب (٢) .

كذلك أدى التنافس على الرياسة بين كل من جعفر وإسحق إلى التعجيل باضمحلال دولتهم في بلاد البحرين وزوالها في نهاية القرن الرابع الهجري ؛ يقول ابن خلدون (٣) : « وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨ هـ عليهم وملك الأحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه » .

كان يقيم ببلاد البحرين بجانب القرامطة كثير من قبائل العرب ومن أشهرهم بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم ، وكثيراً ما استنجد بهم القرامطة على أعدائهم واستعانوا بهم في حروبهم ، وقد حدثت بينهم وبين هؤلاء العرب عدة منازعات أدت في بعض الأحيان إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين .

كان بنو ثعلب أكثر العرب المقيمين ببلاد البحرين عدداً ، وأظهرهم عزة ، فاستولى زعيمهم الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي على تلك البلاد بعد

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٣٤ ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

الهجري ج ٢ ص ٥٦

(٢) المعبر وديوان المتبداً والمخبر ج ٤ ص ٩١ .

أن انحل أمر القرامطة وانقرض الملك من أسرة الجنابي ، ولكن الأمور لم تستقر في بلاد البحرين بسبب المنازعات التي قامت بين القبائل العربية ، فقد استعان بنو ثعلب ببني عقيل على بني سليم وطردهم من تلك البلاد ، فساروا إلى مصر ومنها رحلوا إلى إفريقية ثم حدث خلاف بين بني ثعلب وبني عقيل انتهى الأمر فيه بخروج بني عقيل إلى العراق فأقاموا لهم دولة بإقليم الجزيرة .

وقد نجح الأصغر زعيم بني ثعلب في جعل الحكم وراثياً في بنيه من بعده ببلاد البحرين ، فظلوا يتولون الأمور فيها حتى ضعف أمرهم وانقرضوا وخلفهم في حكم هذه البلاد بنو عقيل الذين عادوا إلى ديارهم ، بعد أن تغلب عليهم السلاجقة في الجزيرة (١) . وقد ذكر أبو سعيد صاحب كتاب المغرب في حلي المغرب أنه سأل أهل البحرين الذين قابلهم بالمدينة المنورة سنة ٦٥١ هـ عن بلادهم ، فقالوا : الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر ابن عقيل ، أما بنو ثعلب فأصبحوا من جملة رعاياهم .

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية في اليمامة وعمان

(أ) اليمامة

(ب) عمان

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية في اليمامة وعمان

(١) اليمامة : كانت (١) اليمامة من بين ولايات جزيرة العرب التي تدين بالطاعة للعباسيين حتى منتصف القرن الثالث الهجري حيث استولى عليها في أيام المستعين بالله العباسي محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، واتخذ الحضرة حاضرة له (٢). فأقام باليمامة دولة علوية عرفت باسم دولة بني الأخيضر ، استقل بها عن الخلافة العباسية التي بدأت مظاهر الضعف والانحلال تظهر عليها منذ ذلك الوقت بسبب ازدياد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء .

لم يلق محمد الأخيضر عناء كبيراً في إقامة دولته باليمامة ، واستطاع أن يوطد نفوذه فيها ويجعل الحكم وراثياً في أبنائه من بعده ، وكان له من الأولاد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف ، ولما توفي خلفه يوسف الذي أشرك معه ابنه إسماعيل في إدارة شئون اليمامة طيلة حياته ، ثم انفرد إسماعيل بولاية اليمامة بعد وفاة أبيه .

وقد وجه كل من رستم بن الحسين بن حوشب وعلي بن فضل وهما من دعاة الإسماعيلية في اليمن أنظارهما إلى اليمامة بسبب قيام دولة بني الأخيضر

(١) يحدها من جهة الشرق بلاد البحرين ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز . ومن الجنوب نجران ، ومن الشمال نجد والحجاز .

القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٨ .

(٢) ابن حزم الأندلسي . جبهة أناب العرب ص ٤١ .

العلوية بها ، واعتقدا أن أهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية ، لذلك بعثا إليها بالدعاة لنشر المذهب الإسماعيلي (١) ، كما بعثا دعاة آخرين لنفس هذا الغرض إلى بلاد البحرين والسند والهند و مصر والمغرب (٢).

لم يزل بنو الأخيضر يتولون الملك باليمامة حتى طمع قرامطة بلاد البحرين في بسط سلطانهم على جزيرة العرب ، فتغلبوا على اليمامة في أوائل القرن الرابع الهجري ، كما أخضعوا مكة وعمان لسلطانهم ، وبذلك زالت دولة بني الأخيضر (٣) .

على أن نفوذ القرامطة في اليمامة ما لبث أن ضعف بعد زوال دولتهم في بلاد البحرين ، ولم يبذل خلفاء بني العباس أى محاولة لاستعادة سلطانهم عليها ، فاستقل بإدارتها زعماء العرب المقيمين بها وعلى الأخص من قيس عيلان (٤) .

(ب) عمّانه : كانت عمان من بين الولايات الإسلامية بجزيرة العرب التى تدين بالطاعة للعباسيين فى أواخر القرن الثالث الهجرى . وقد تزعم الحكم فيها فى عهد الخليفة المعتضد بنو شامة بن اوى بن غالب ، ففتح محمد بن القاسم الشامى عمان بمعارنة هذا الخليفة ثم وليها من قبله ، وأقام الخطبة فيها لبني العباس ، ونجح فى جعل الحكم وراثيا فى أبنائه من بعده . على أن الضعف والانحلال ما لبث أن أصاب إمارتهم بسبب الخلاف الذى

(١) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم تنقلت فى بني الحسين إلى جعفر الصادق ، ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم تنقلت فى بنيه (القلقشندى)

صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩-١٢٠

(٢) المقرئى . اتعاظ الخنفا ص ٦٨

(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٩٨-٩٩

(٤) القلقشندى . صبح الأعشى ج ٥ ص ٦

قام بينهم سنة ٣٠٥ هـ ، فلحق بعضهم بالقرامطة في بلاد البحرين وظل الاضطراب سائداً في ولايتهم حتى تغلب عليها سنة ٣١٧ هـ أبو طاهر القرمطي ، وخطب بها لعبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب (١) ، وبذلك دخلت عمان في حوزة دولة القرامطة ببلاد البحرين وصار ولايتها يعينون من قبلها .

لم يكن نفوذ القرامطة موطداً في عمان ، فقد استقل بالحكم فيها يوسف ابن وجيه ، وحاول توسيع رقعة إمارته ، فسار على رأس حملة بحرية يريد البصرة ، وكاد يستولى عليها لولا ما حل بسفنه من جراء الحريق الذي دبره بعض أعوان بني البريدي الذين استقلوا بالبصرة والأهواز وواسط في عهد الخليفة المتقي . ومضى يوسف بن وجيه صاحب عمان هارباً في أوائل سنة ٣٣٣ هـ (٢) . ولم يتمتع طويلاً بالحكم بعد هذه الهزيمة ، فقد ثار في وجهه مولاة نافع وتغلب عليه ثم تقلد زمام الأمور بدلاً منه ، ودخل في طاعة معز الدولة بن بويه وخطب له على المنابر وضرب اسمه على الدينار والدرهم (٣) .

انتهز القرامطة فرصة عدم استقرار الأمور في عمان فتغلبوا عليها سنة ٣٥٤ هـ وهرب نافع منها بعد أن وثب به أهل عمان ، لكنهم لم يستأثروا بالنفوذ فيها ، فقد استقر رأي أهلها على أن يولوا عليهم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان ، فولى إمارة عمان بعد أن كان ممتنعاً عن تقلدها ، واتخذ على بن أحمد كاتباً - وكان يكتب للقرامطة من قبل

بدأ الأمير عبد الوهاب عمله بمنح الجند أرزاقهم ، وكانوا طائفتين إحداهما من البيض والثانية من الزنج . فلما فرغ كاتبه على بن أحمد من

(١) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٩٣ .

(٢) ابن الأثير . ج ٨ ص ١٣٠ .

(٣) ابن الأثير . ج ٨ ص ١٨٦ .

توزيع المرتبات على البيض قال للزنج - وكانوا ستة آلاف رجل - إن الأمير عبد الوهاب أمر لكم بنصف ما رزق على البيض ، فامتعضوا لذلك وثاروا ضده ، لكنه ما لبث أن استمالهم إليه بقوله : هل لكم أن تبايعوني فأعطيكم مثل سائر الأجناد ؟ ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ؛ فسواهم في العطاء مع البيض مما أدى إلى تدمير البيض وقيام الحرب بينهم وبين الزنج . فلما كانت الغلبة للزنج هدأت الفتنة في عمان واستقر على بن أحمد في إمارتها بعد عزل الأمير عبد الوهاب (١) .

رأى معز الدولة بن بويه أن الفرصة سانحة له للاستيلاء على عمان بعد ما وصل إليه من أنباء الفتن والاضطرابات التي ثارت فيها ، فسار من واسط إلى الأبله وهناك أعد حملة بحرية لفتحها سنة ٣٥٥ هـ ، وأسند قيادتها إلى أبي الفتوح محمد بن العباس ، وطلب من عضد الدولة بفارس أن يمدّه بالعساكر فوافاهم الممدد بسيراف (٢) ، ثم سارت المراكب حاملة الجند إلى عمان ، فتغلبوا عليها وأقيمت الخطبة فيها لمعز الدولة ؛ وتولى حكمها أبو الفرج بن العباس نائباً عنه (٣) .

لما توفي معز الدولة غادر عمان إلى بغداد نائبه أبو الفرج بن العباس ، وبعث إلى عضد الدولة يطلب منه أن يتسلمها ، فتولى أمرها عمر بن نهبان الطائي وأقام الدعوة لعضد الدولة ؛ غير أن الزنج مالبثوا أن تغلبوا على عمان ، ، وقتلوا ابن نهبان وولوا عليهم رجلاً يعرف بابن حلاج ؛ فلما علم بذلك عضد الدولة أرسل إليهم جيشاً بقيادة أبي حرب طغسان ، ودارت بينه وبين الزنج معركة حامية بصحار - قصبة عمان - انتهى الأمر فيها باستيلاء أبي حرب على هذه البلدة وانهمز أهلها سنة ٣٦٢ هـ .

(١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٤٣ - ٤٤٤

(٢) سيراف . تقع على ساحل الخليج الفارسي (ياقوت ، معجم البلدان)

(٣) ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٢٥ ، ج ٤ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٤٥٠

على أن نفوذ عضد الدولة لم يتوطد رغم ذلك في عمان ، فقد اجتمع بجبالها كثير من الخوارج ورلوا ورد بن زياد أميراً عليهم ، كما جعلوا حفص بن راشد خليفة لهم ، واشتدت شوكتهم فبعث إليهم عضد الدولة حملة بقيادة المطهر بن عبد الله الذي تمكن - بعد أن نزلت جنوده بأرض عمان - من التغلب على الثائرين وأسر كثيراً من رؤسائهم . وظل يتتبعهم حتى أوقع بهم رقعة أتت على بقاياهم واضطر خليفتهم إلى مغادرة عمان والإقامة ببلاد اليمن ، وبذلك استقرت الأمور لعضد الدولة بعمان ودانت له بلادها بالطاعة (١) .

كان بنو مكرم من رجوة عمان الذين استعان بهم البويهيون في إدارة شئون دولتهم ، وتولى بعضهم الإمارة في عمان وأقاموا الخطة لابي العباس . ولما ضعفت دولة بني بويه ببغداد استبد بنو مكرم بالسلطة في عمان وتوارثوا الحكم فيها . وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم علي بن ناصر الدولة الحسين ابن مكرم الذي ولي الإمارة سنة ٤١٨ هـ واستطاع بحسن إدارته ، وجوده وكرمه أن يجعل الحكم وراثياً في أبنائه من بعده (٢) .

ولما توفي الأمير أبو القاسم سنة ٤٢٧ هـ خلفه ابنه أبو الجيش ، فاستغل ضعفه قائد جنده علي بن هطال ، واستأثر بكثير من النفوذ وأوقع الفرقة بينه وبين أخيه المذهب الذي انتهى أمره باعتقاله وقاتله ، ثم توفي بعد ذلك بقليل أبو الجيش ؛ فحاول علي بن هطال أن يولي أخاه أبا محمد ، فأخفته أمه حتى لا تتبيح له فرصة التخلص منه وطالبت إليه أن يتولى بنفسه إدارة عمان ، فرحب بذلك ؛ غير أنه ما لبث أن استبد بالسلطة وصادر التجار واستولى على كثير من أموال الأهالي .

(١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢١٣ - ٢١٤ ، ابن خلدون . ج ٤ ص ٤٥٠

(٢) ابن خلدون . ج ٤ ص ٩٣

ولما وصل إلى أبي كاليبجار أمير بني بويه في العراق ما قام به علي بن هطال من الأعمال التي سببت تدمير أهالي عمان ، عول على إقصائه عن الإمارة ، فأمر وزيره العادل أبا منصور أن يكتب المرتضى الذي كان نائبا لأبي القاسم بن مكرم بجمبال عمان ويطلب إليه محاربة ابن هطال ، كما جهز العساكر من البصرة لمساعدته ؛ فسافر المرتضى إلى عمان وحاصرها وتمكن من الاستيلاء على أكبر أعمالها ودس لابن هطال من اغتياله ؛ ثم بعث الوزير العادل أبو منصور رسولا من قبله إلى عمان ولي أبا محمد بن مكرم الإمارة سنة ٤٣١ هـ (١).

على أن أسرة بني مكرم ما لبثت أن ضعفت وزال ملكها بعمان وتولى أبو المظفر بن أبي كاليبجار البويهي إمارة هذه البلاد ، لكنه عجز عن إدارة شئونها بنفسه واستأثر بالسلطة خادم له ، وأساء التصرف في الأموال مما أثار كراهة الأهالي وتذمرهم . ولما وقف ابن رشد - وكان من زعماء الخوارج المقيمين بجمبال عمان - على ما وصلت إليه الحال في البلاد من جراء ضعف الأمير أبي المظفر واستبداد خادمه بالأمور ودونه ، دعا أتباعه وسار على رأسهم لمحاربة أبي المظفر ؛ غير أن الهزيمة حلت بابن راشد والخوارج ، فعادوا إلى محل إقامتهم . وأخذ ابن راشد يعد العدة ويحشد الجموع للتخلص من إمارة أبي المظفر . ولما تمها لمحاربتة سار إليه وأعانه أهل البلاد بسبب كراهيتهم للديم . وبذلك تيسر له الانتصار على أبي المظفر سنة ٤٤٢ هـ ، وقبض على زمام الأمور في البلاد ، فبدأ حكمه بالعمل على إقامة العدل ، كما أسقط المكوس على جباية عشر ما يرد إلى الأهالي ، وأمر بذكر اسمه في الخطبة وتلقب بالراشد بالله (٢).

(١) ابن الأثير . ج ٩ ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) ابن الأثير . ص ١٩٥ ، ابن خلدون . ج ٤ ص ٤٨٩ - ٤٩٠

لم تستقر الأمور في عمان بعد أن ولي حكمها الخوارج ، كما تفسكت عرى وحدتها ، فقامت في بعض بلادها الواقعة على الخليج العباسي إمارة مستقلة تقلد زمام الحكم فيها زكريا بن عبد الملك الأزدي سنة ٤٤٨ هـ ، وكان الخوارج يدينون لأسرته بالطاعة (١). ومن ذلك يتبين انحلال النفوذ العباسي في عمان وعجز بني بويه عن الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الإمارة كما أن السلاجقة الذين استبدوا بالسلطة في بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري شغلوا عنها بالعمل على توطيد نفوذهم في العراق ومد سلطانهم على بلاد المشرق .

كانت الدولة الفاطمية في مصر تراقب الاضطراب السائد في عمان وتحرص على الإبقاء على دعوتها التي قام دعائها بنشرها في هذا القطر منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، فلما وصل إلى المستنصر بالله الفاطمي ضعف النفوذ العباسي في عمان وثورة رجالها ضد الهيئة الحاكمة فيها ، بعث إلى المكرم أحمد الذي ولي الملك في اليمن بعد وفاة أبيه علي بن محمد الصليحي خطابا في ربيع الثاني سنة ٤٦٩ هـ طلب إليه فيه القيام بإدارة شئون ولاية عمان والعمل على استتباب الأمن فيها رغم أنها لا تدخل في نطاق دولته (٢) .

وفيما يلي بعض ما جاء فيه (٣) : « من عبد الله ووليه معد أبي تميم ، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، إلى الملك الأجل ، والواحد ، المنصور العادل المكرم ، عمدة الخلافة ... عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين ... أبي الحسن أحمد ... ، أما بعد : فإن أمير المؤمنين لما يعلمه من خلوص

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٩٣

(٢) Bulletin School of Oriental Studies (Letters of Al— Mustansir Billah) 1934, Vol VII. Part 2. p. 322 .

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٥٤ ص ١٧٦ - ١٧٩

طاعتك وضميرك ، بحسن الطريقة في سياستك وتديريك ... ، وإن آثارك فيما إليك من الأعمال ماثورة ، ومقاماتك في نصرة الدين والإصابة بالدعوة العلوية معروفة مشهورة ... ، وافد جدد السيد الأجل ، أمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، أبو النجم المستنصرى .. في هذا الحين ذكرك بالحضرة ، وشيّد مالك لديها من الاصطفاء والآثرة ... ، ولما انتهى إلى حضرة أمير المؤمنين حال (مدينة عمان) وما جرى فيها من الغلاء والفساد ... ، والمروق عن أحكام الملة الدينية ... ، وقد كان غدق أمر الحرم المحروس وأعماله بولايتك ، ووكاه إلى تديريك وسياستك ، بحكم كون الأعمال البينية والحجازية واحدة في الاهتمام باحوالها ، واقرب أعمالك من أعمالها ... ، رأى أمير المؤمنين .. ، أن يضيف إلى ذلك وما يجرى في نظرك ولاية مدينة عمان ، لكونها أيضاً لأعمالك مجاوره ... ، وخذ كافة الرجال والمستخدمين بوظائف الخدمة ، والمسارة إلى كل مهمة ، وصيانة الأعمال الدائنية والقاصية ، وتثبيت قانون الخدمة ، فإن أمير المؤمنين باسط يدك في جميعهم لتثبيت من ترتضى طريقته ، وتستبدل من ترى الصواب إلى الاستبدال به ، وأمير المؤمنين يشعر كما طالع به حضرة الأمير مستخلص الدولة العلوية وعدتها : عبد الله بن علي العلوي المستقر بالأحساء ... ، وأنه اعتمد إقامة الدعوة العلوية ، وناضل كافة الأعداء من الخوارج ... ، وأصاب بالدعوة المستنصرية في أرجائها ... ، واقتضى ذلك نفوذ السجل من حضرة أمير المؤمنين مضمناً إجماع خدمته ... ،

وكانت بلاد اليمن إذ ذاك تبعث إلى عمان والهند بالدعاة لنشر الدعوة الفاطمية ، كما أنه كان بهذين القطرين أنصار كثيرون يؤيدون المذهب الاسماعيلي الذي تحرص الدولة الفاطمية على نشره ، فلما ورد إلى المستنصر عدة خطابات منهم تتضمن وفاة دعائه ورغبتهم في أن يزود بلادهم بدعاة غيرهم ، بعث إلى المكرم أحمد كتاباً في ربيع الأول سنة ٤٧٦ هـ أخبره

بموافقته على تعيين مرزبان بن إسحق داعياً بالهند ، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر داعياً بعمان .

ويتجلى لنا حرص الخليفة الفاطمي على تعيين الدعاة بهذين القطرين من قوله (١) : . . . فأما ما ذكرته من أمر الدعوة الهادية بالهند وجزائرها ، و«عمان وعمالها» ، وفقد المتواين لها . . . ووردت مكاتبات إلى أمير المؤمنين من هناك يلتبسون استخدام من يجمع شملهم ويثقفون به . بعد من فقدوه . ميلهم ، وسؤالك تقليد الرئيس : مرزبان بن إسحق بن مرزبان الهند وجزائرها ، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر عمان وعمالها ، لما وصفته من ديانتهمما وحيد أثرهما ومذهبهمما ؛ فقد وقف أمير المؤمنين على ما شرحته ، وتقدم بإصدار ملطفين عن حضرته إلى المذكورين بتقليدهما ، من مجلس السيد الأجل ، أمير الجيوش ، وجميع ذلك واصل بإذن الله بوصول هذه الإجابة . . .

كما أرسل المستنصر في أواخر سنة ٤٨١هـ خطاباً إلى السيدة الحرة التي آل إليها الملك ببلاد اليمن أخبرها بموافقته على تعيين أحمد بن مرزبان داعياً بالهند بعد وفاة والده ، وأبدى ارتياحه لاختيارها حمزة بن سبط حميد الدين ليقوم بمعاونة الداعي أحمد في نشر الدعوة الفاطمية ببلاد الهند ونحوه المستنصر في خطابه بثقته في الجهود التي تقوم بها السيدة الحرة في سبيل نشر الدعوة له في كل من بلاد اليمن وعمان والهند (٢) .

ومما ورد فيه (٣) : « من عبد الله ووليه : معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة . السيدة . النخلة . . ولاية أمير المؤمنين . . أدام الله تمكينها ونعمتها . . أما بعد : فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك المضمن وفاة داعيه بالهند : غرس الدين ، ولي أمير

(١) السجلات المستنصرية رقم ٦٣ ص ٢٠٥

(٢) (B . S. O. S.), 1934. Vol. VII Part 2, P. 321, 324

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٥٠ ص ١٦٧ - ١٦٩

المؤمنين ، مرزبان ، وأنه خلف ولد بن ذري دين وتقية واستصلاح للخدمة .
وأن الموما إليه منهما أحمد الأكبر نتميزه وحميد طريقته . . . ، ثم شفعت
ذلك بما اعتمده اسماعيل بن ابراهيم الداعي بعمان من التخلي عن الخدمة . . . ،
وأن سبط حميد الدين خلف ولدأ يسمى حمزة يصلح للاستخدام عوض
المذكور . . . وأحمد الله تنبيهك على هذه المصالح وتفقدك أحوال الدعوة
والدعاة في (تلك) الأطراف والنواحي . . . وأرعر أمير المؤمنين إلى فتاه
السيد الأجل ، أمير جيوشه . . . بإصدار التقليدين عن مجلس نظره باسم
كل من الداعين المذكورين . . . ، وانت قد جعل اليك أمير المؤمنين النظر في
تلك البلاد والأعمال ومراعاة دعائها وانتظام حال الدعوة فيها . . . ،

يتضح لنا مما تقدم الى أي حد عنيت الخلافة الفاطمية بنشر دعوتها في
عمان وكيف أصبح لهذه الدعوة أنصار كثيرون بتلك الولاية . ولا شك أن
الدولة الفاطمية كانت ترمي من وراء بث الدعوة بعمان إلى تحقيق سياستها في
بسط سلطانها على إقطار جزيرة العرب ليتيسر لها بذلك إضعاف الخلافة
العباسية والقضاء عليها .

الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

تمهيد : بلاد اليمن في أواخر عهد ولاية العباسيين

١- جهود دعاة الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن

٢- موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين

الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

تمهيد: بطرد اليمن في أواخر عهد دولة العباسيين

دخلت بلاد اليمن في حوزة العباسيين بعد أن انتقلت إليهم الخلافة وصار الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ، واتخذوا صنعاء حاضرة لهم ؛ غير أن الأمور لم تستقر استقراراً تاماً في هذه البلاد ؛ فلما بلغ المأمون اضطراب الأمن فيها وذبوع الدعوة الشيعية بين أهلها ، عول على أن يختار لولايتها رجلاً يستطيع أن يقضي على عوامل الفساد فيها ؛ فأشار عليه الحسن ابن سهل بأن يسند إلى محمد بن إبراهيم الزياتي ولاية اليمن ؛ فولاه عليها سنة ٢٠٣ هـ ولم يمض عام واحد على هذا الوالي حتى اختط مدينة زيد واتخذها حاضرة له (١) ، وأخذ منذ ذلك الوقت يوطد نفوذه في جميع أرجاء بلاد اليمن ؛ فدخلت في طاعته حضرموت والشحر وديار كندة ولحج والنهايم (٢) ؛ وما زال نفوذه في ازدياد حتى أصبح في مقام الملوك المستقلين لكنه مع ذلك احتفظ بولائه للخلافة العباسية وصار يقيم الخطبة لبني العباس ويرسل إليهم الخراج والمدايا كل عام (٣) .

نجح محمد بن إبراهيم الزياتي في جعل ولاية اليمن وراثية في أبنائه تدين بالطاعة للعباسيين ، فلما توفي سنة ٢٤٥ هـ خلفه ابنه إبراهيم ، ثم تولى بعده ابنه زياد ؛ غير أن هذا الوالي لم يمكث طويلاً في الحكم وأعقبه في ولاية اليمن ابنه أبو الجيش اسحق ، فظل يلي أمورها حتى بلغ الثمانين من عمره .

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٣ .

(٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢١٢ .

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٤ .

أخذت الدولة الزيادية في بلاد اليمن في الانحلال ، في أواخر عهد
الأمير أبي الجيش إبراهيم ، فخرج بصنعاء أسعد بن أبي يعفر ، وثار بصعدة
يحيى بن القاسم الرسي الملقب بالهادي (١) ، وكان يدعو للزيدية - أتباع زيد
ابن علي زين العابدين - ؛ ولما عظم نفوذه وكثر أنصاره زحف على صنعاء ،
فاستولى عليها من يد أسعد بن يعفر ، غير أن بني أسعد ما لبثوا أن
استردوها منه ، فعاد إلى صعدة وأسس فيها دولة بني الرسي . وهكذا أصبح
في بلاد اليمن ثلاث دويلات : إحداها في زبيد ، والثانية في صنعاء ، والثالثة
في صعدة (٢) .

(١) ورد نسبه في جبهة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨ على الوجه الآتي :
يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب .

Kay, Yamen, Its Early Mediaeval History p. 242

(٢) صعدة : بلدة على سبيل فرسخاً من صنعاء « القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٢ » .

١ - جهود دعاة الإسماعيلية في نشر الدعوة الفاطمية باليمن

كان لضعف الدولة الزيادية أثر كبير في نجاح الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في الوقت الذي تفككت فيه عرى وحدة هذه الدولة بعث محمد الحبيب إمام الإسماعيلية بسلمية (١) كلا من علي بن الفضل اليماني وأبي القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب السكوني إلى تلك البلاد لينشر الدعوة المهدى من آل محمد، فلما وصلوا إلى اليمن سنة ٢٦٨ هـ (٢) أخذوا في بث دعوتهما. ثم بنى ابن حوشب حصناً بجبل لاعة وأعد جيشاً زحف به على صنعاء وأخرج منها بني يعفر، كما بعث الدعاة إلى جميع أرجاء اليمن فنشروا الدعوة الإسماعيلية بين أهلها، وتمكن بمعاونتهم من التغلب على كثير من بلادها (٣).

لما رأى ابن حوشب الذي عرف بمنصور اليمن أن دعوته إلى المهدى لقيت قبولا لدى كثير من أهالي بلاد اليمن كتب إلى محمد الحبيب وابنه عبيد الله بسلمية يخبرهما بما فتح من البلاد، كما بعث إليهما بالأموال والهدايا، فسرهما ذلك (٤).

على أن محمد الحبيب لم يكتف بنجاح تلك الدعوة في بلاد اليمن بل حرص أيضاً على نشرها في بلاد المغرب، فأرسل أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي إلى ابن حوشب وأمره بالدخول في طاعته والاقتراء بسيرته، على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب لينشر بها الدعوة الإسماعيلية. فقدم أبو عبد الله على ابن حوشب وصار من كبار

(١) بادة من أعمال حماء وكانت تعد من أعمال حصن . ياقوت : معجم البلدان .

(٢) Kay, Yaman. Its Early Mediaeval History p 225

(٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ٣٠ - ٣١ ، القرطبي : انساب الخلفاء ٦٧ - ٦٨

(٤) الحادي اليماني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٢٧ - ٢٨ .

أصحابه . ولما اتصل بابن حوشب نبأ وفاة الداعيين أبي سفيان والحلواني في بلاد المغرب ، عهد إلى أبي عبد الله الشيعي بالقيام بالدعوة إلى المهدي في تلك البلاد . فخرج أبو عبد الله إلى مكة ، ثم رحل منها قاصداً بلاد المغرب ، وأخذ ينشر بين أهلها الدعوة الإسماعيلية ويتحدث إليهم عن قرب ظهور المهدي من آل علي بن أبي طالب وظل أبو عبد الله موالياً للإمام محمد الحبيب يرسل إليه رسله وهداياهم (١) .

كان محمد الحبيب قد عهد لابنه عبيد الله بالإمامة من بعده وقال له : « إنك ستهاجر بعدى هجرة وتلقى محناً شديدة » ، فلما توفي خلفه في إمامة الإسماعيلية ، فواصل القيام بنشر الدعوة لنفسه . وبذل الأموال الكثيرة في سبيل نجاحها .

كان دعاة الإسماعيلية في اليمن إذ ذاك يعتقدون أن دولة المهدي ستظهر في بلادهم ، كما حرص رؤساؤهم على أن يكون قيامها على أيديهم ، وكذلك كانت الحال بالنسبة لدعاة الإسماعيلية في بلاد المغرب ، فكانوا يرجون قدوم المهدي إليهم لإقامة دولته المنشودة . فأرسل كبيرهم أبو عبد الله الشيعي إلى عبيد الله وهو بسلمية وفداً من رجال كتامة بدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب . يقول المقرئ (٢) : « وسير أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد رجلاً من كتامة ليخبروه بما فتح له وأنه ينتظره ، فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص » .

كان الخليفة المسمكتي العباسي في ذلك الوقت قد وصله خبر ذبوع الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن والمغرب فعهد إلى بعض رجاله بتهقب حركات عبيد الله والقبض عليه (٣) ، فخرج عبيد الله هارباً من سلمية بعد

(١) ابن الأثير : ج ٨ ، ١٠ — ١١ ، المقرئ : انطاخ المنفاص ٦٨ — ٦٩ ،

٧٤ — ٧٧ (٢) للواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ١١ .

(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٣

مقابلاته وفد كتامة ووقوفه على مدى نجاح دعوته في بلاد المغرب ، وأخبر بعض أتباعه بأنه سيقصد اليمن . يقول جعفر الحاجب الذي صحبه عند رحيله من سلبية : « وأمرنا المهدي بالأخذ في أهبة السفر والخروج معه وأظهر لنا أنه يريد اليمن » (١) .

على أن عبيد الله المهدي لم يكن راغباً رغبة أكيدة في إقامة دولته ببلاد اليمن بل أزمع الرحيل إلى بلاد المغرب منذ خرج من سلبية تلبية للدعوة التي وجهها إليه داعيته أبو عبد الله الشيعي . يؤيد ذلك ما قاله ابن الأثير (٢) : « وشاع خبره عند الناس أيام المكتنى ، فطلب وهرب هو وولده أبو القاسم نزار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب » . وفضلاً عن ذلك فإن عبيد الله المهدي كان حريصاً على تحقيق رغبة أبيه في إقامة دولته بالمغرب ؛ فقال له حين بلغه نجاح ابن حوشب في نشر الدعوة إلى المهدي في اليمن : « هذه دولتك قد قامت ، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب » (٣) .

ومما لا شك فيه أن عبيد الله المهدي كان يحرص ألا يقع في قبضة العباسيين الذين بثوا رجاءهم لاستقصاء أخباره ، لذلك حول على إخفاء حقيقة الجهة التي سيقصدها ، وقال لبعض أتباعه إنه سيذهب إلى اليمن رغبة منه في ألا تصل أخبار هربه إلى العباسيين الذين كانوا إذ ذاك يبذلون قصارى جهدهم للقضاء عليه .

أما ما ذكره ابن خلدون (٤) والمقرئ (٥) عن توجه عبيد الله المهدي إلى المغرب وعدوله عن إقامة دولته في بلاد اليمن بسبب ما بلغه عن انحراف علي بن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية وإساءته السيرة في بلاد اليمن

(١) البهائي : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٠ « مجلة الآداب ديسمبر ١٩٣٦ »

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٨ ص ١٢ (٣) البهائي : الجندی : أخبار

الإمامة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الرأى والملوك ص ٤٢ .

(٤) ج ٤ ص ٦٩ (٥) انماظ الحنفا ص ٦

بما نشره من آراء أفسدت عقول فريق من أمهاتها ، فلا يستند إلى أدلة صحيحة ، لأن المنتبج لرحلة المهدي من سلمية إلى مصر ، ثم إلى بلاد المغرب يتضح له أنه لم يفكر في الذهاب إلى بلاد اليمن ، كما أن مناهضة علي بن الفضل للدعوة الإسماعيلية لم تظهر إلا بعد أن استقر الأمر لعبيد الله المهدي في بلاد المغرب ، ولو أن عبيد الله المهدي كان حريصاً على إقامة دولته في بلاد اليمن لما ثناء عن ذلك خروج علي بن الفضل على دعوته لأن داعيه ابن حوشب ظل مواليا له وصار له أنصار كثيرون بين أمالي بلاد اليمن يرجون بقدوم المهدي إليهم ويعتقدون بصحة إمامته ، فإذا ما قصد بلادهم دخل الجميع في طاعته والتفوا حوله .

كان عبيد الله المهدي يصحب عند خروجه من سلمية داعي دعاته فيروز ، فلما وصل إلى مصر وشرع في الرحيل منها إلى المغرب شق ذلك على فيروز ، وتخلف عن السير معه ، وهضى إلى اليمن حيث استقبله ابن حوشب بمظاهر الحفاوة والاحترام ، لما كان يتمتع به من مكانة خاصة عند المهدي . وقد تحدث فيروز عن مهمته في بلاد اليمن ، فقال : إن الإمام بعث به مشرفاً عليه إلى أن يقوم من المغرب بجنده إلى مصر ويكتب إليه ليخبره بالعساكر من أهل اليمن (١) .

على أن ابن حوشب ما لبث أن وقف على الأسباب التي حملت فيروز على القدوم إلى اليمن حين وصله كتاب من المهدي مقروناً بكتاب الداعي أبي علي - صهر فيروز - الذي كان إذ ذاك يقوم بنشر الدعوة الفاطمية في مصر . وقد تضمن هذان الكتابان كيف انصرف فيروز عن المهدي ورحل إلى اليمن مغاضباً له . وكان المهدي يخشى عاقبة خروج فيروز عليه ، لذلك أمر ابن حوشب في كتابه بالعمل على التخلص منه .

(١) البهاني : سيرة جعفر الحاجب « مجلة كلية الآداب » - ديسمبر ١٩٣٦ ص

لما وصل إلى فيروز ما تضمنه الكتاب الذي بعثه المهدي إلى ابن حوشب ولي هارباً . ولم يزل ابن حوشب يتابع البحث عنه حتى بلغه خبر اتصاله بعلي بن الفضل ، وأنه فتنه عن الدعوة الإسماعيلية ودعاه إلى نفسه ، فخرج إليهما وجارهما مدة طويلة^(١) .

كانت الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن في حاجة إلى توحيد جهود كل من ابن حوشب وعلي بن الفضل في سبيل نشرها ، لكن علي بن الفضل لم يتعاون مع ابن حوشب تعارفاً صادقاً لتحقيق هذه الغاية ، بل كثيراً ما استقل عنه في نشر تلك الدعوة .

كذلك لم يكن علي بن الفضل مخلصاً في ولائه لعبيد الله المهدي ، فوقع تحت تأثير فيروز الذي أغراه بقبول دعوته ، كما طمع في الاستقلال ببلاد اليمن بعد أن استقرت له الأمور في كثير من أرجائها ، وخلع طاعة عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي في بلاد المغرب ، فبعث إليه ابن حوشب رسالة يعاتبه فيها ويذكره بما كان من رعاية محمد الحبيب لها ، وقيامه بأمرها وقال له : « كيف تخلع طاعة من لم تزل خيراً إلا به ، وتترك الدعاء له ؟ أو ما تذكر ما بينك وبينه من الموائيق والعمود^(٢) ، فلم يعبأ ابن الفضل بقوله وكتب إليه : « إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها^(٣) » .

لم يكتف ابن الفضل بخروجه على عبيد الله المهدي . بل ثار أيضاً على ابن حوشب طمعاً في استخلاص بلاد اليمن لنفسه ، فأعد جيشاً كبيراً لمحاربتة ، ودار بين الفريقين قتال عنيف . ولما اشتدت وطأته على ابن حوشب ، أرسل إلى علي بن الفضل في طلب الصلح ، فاشتراط أن يبعث إليه أحد أبنائه ليكون ذلك دليلاً على دخوله في طاعته . فأجاب ابن حوشب

(١) الباقى : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٥

(٢) ابن المؤيد البهي : أنباء الزمن في أخبار اليمن ورقة ٣١

(٣) الحادي البهي : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٣

إلى طلبه وأرسل إليه ولده ، وأبقاه ابن الفضل عنده سنة ثم رده إليه (١) .
لم يؤد هذا الصلح إلى عودة الوفاق بين ابن حوشب وعلي بن الفضل
سيرته الأولى ، بل ظل كل منهما يعمل مستقلاً عن الآخر ، مما ساعد على
إضعاف الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن ، كما أن عبيد الله المهدي رغم
حرصه على بسط سيادته على تلك البلاد لم يوجه اهتمامه إلى وضع حد لهذا
النزاع الذي قام بين ابن حوشب وعلي بن الفضل ، بل تركهما وشأنهما .
ولعل انشغاله بتوطيد دعائم خلافته في بلاد المغرب هو الذي حمله على
الانصراف عنهما .

ظل ابن حوشب حريصاً على ولائه لعبيد الله المهدي حتى توفي سنة
٢٠٢ هـ . أما علي بن الفضل فإنه منذ خلع طاعة عبيد الله المهدي لم يعدل
عن خطته في العمل على الاستئثار بالنفوذ في بلاد اليمن مما أثار ضده
السنيين وأنصار المهدي ، ولم يتمكن في النهاية من التغلب على هذين الفريقين
والانفراد بالزعامة في بلاد اليمن ؛ وبذلك لم تتحقق مخطامه ، بل فشل في
تكوين حزب قوى يكون عوناً له على نشر دعوته . فلما توفي سنة ٢٠٣ هـ
لم يجد ابنه الذي ولى الأمر من بعده أنصاراً أقوياء يدرون عنه خطر
السنيين في بلاد اليمن ، فتعرض لهجومهم ، ووقع إخوته أسرى في أيديهم ،
وما زالوا يقتبعون أعوانه حتى قضوا عليهم (٢) .

ظل للدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن أنصار كثيرون بفضل ما بذله ابن
حوشب من مجهود في سبيل نشرها . وبلغ من اهتمامه بأمرها أن أوصى
قبيل وفاته سنة ٢٠٢ هـ كلا من ابنه أبي الحسن وتابعه عبيد الله بن عباس
الشاورى بأن يستمررا في إقامة الدعوة لعبيد الله المهدي وأهل بيته ؛ وقال
في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحتفظاه ولا تقطعا دعوة بني

(١) الحادي الثاني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ٣٥ — ٣٦

(٢) الحادي الثاني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٦ — ٣٩

عبيد... فنحن غرس من غرسهم، ولولا فاموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا في الرياسة حال فعليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم، وأوصيكما بطاعة المهدي... حتى يرد أمره بولاية أحدكما ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه (١)، .

كان عبد الله بن عباس الشارري يطمع في الاستقلال بأمر الدعوة في بلاد اليمن، فكتب إلى عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب يخبره بوفاة ابن حوشب، كما أبلغه أنه يقوم بأمر الدعوة له رساله الولاية وعزل ولد ابن حوشب (٢)، ولما كان أبو الحسن ولد ابن حوشب يرى أحقيته في أن يخلف أباه في القيام بأمر تلك الدعوة، لذلك رحل إلى بلاد المغرب، حيث قابل المهدي وطلب منه أن يقلده محل أبيه، ورجاه ألا ينزع هذا الأمر من إخوته؛ غير أن المهدي لم يجبه إلى طلبه لأنه أقر قبيل قدومه عليه عبد الله بن عباس الشارري في القيام بأمر دعوته، فعاد أبو الحسن إلى بلاد اليمن دون أن تتحقق رغبته (٣).

وليس من شك في أن عبيد الله المهدي أثبت بتدخله في تولية عبد الله ابن عباس الشارري أمر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن وإقصائه أولاد ابن حوشب عنها ما كان يتمتع به من نفوذ في بلاد اليمن، كما أنه حرص على اختيار من يثق به ليكون عوناً له على نشر دعوته في تلك البلاد وخاصة بعد أن ضعف أمرها من جراء النزاع الذي قام بين كل من علي بن الفضل وابن حوشب.

على أن تولية عبيد الله بن عباس الشارري أمر الدعوة الفاطمية في اليمن لم تلق ارتياحاً من نفس أبي الحسن ولد ابن حوشب على الرغم من

(١) الحمادي الهادي، أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٩

(٢) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الرجال

والملوك ص ١٥٠ (٣) الحمادي الهادي : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠

أظهره ابن عباس الشاذلي من شعور طيب نحوه ونحو أخويه جعفر وأبي الفضل وإكرامه إياهم وترحيبه بمقابلتهم في أي وقت شاءوا دون أن يعترضهم حجابهم^(١).

وقد أدى حرمان أبي الحسن من رئاسة الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن إلى إضماره السوء والعداوة لابن عباس الشاذلي الذي قبح رأيه وزجره وقال له : « أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر فأجابه بقوله : « والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه » . فقال له أخوه جعفر : « إن أمرنا إذن يتلاشى ويذول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذي نمسناه »^(٢) على الناس ، فلا نحدث نفسك بهلاكه قتلك ، فلم يلتفت أبو الحسن إلى قول أخيه جعفر وعول على التخلص من ابن عباس ، وما لبث أن قتله غدراً وولى الأمر من بعده^(٣).

لم يعمل أبو الحسن بعد أن تقلد ما كان يليه أبوه ابن حوشب على نشر الدعوة الفاطمية ، بل انقلب معاديا لها ، حريصا على القضاء عليها بعد أن كان من أنصارها ، فارتد عن المذهب الإسماعيلي واعتنق مذهب أهل السنة ، وجمع العشائر وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ودانوا له بالطاعة^(٤).

كان لخروج أبي الحسن على الدعوة الفاطمية أسوأ الأثر في نفس

(١) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك وطبقات الموالى والملوك ص ١٥١ (٢) نفس السر : كتمة ، ونفس بين القوم أفسد وأغرى (حسن إبراهيم وطه شرف : كتاب عبيد الله المهدي حاشية رقم ٢ ص ٢٣٨) .
(٣) الحمادي البهائي : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠
(٤) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموالى والملوك ص ١٥١

أخيه جعفر الذي عارضه في سياسته وقبح رأيه وقال له : « قطعت يدك بيدك » ، فلم يكثر بقوله ، وخرج جعفر من بلاد اليمن مغاضباً له وقصد بلاد المغرب رغبة منه في الاتصال بعبيد الله المهدي وإخباره بمناهضة أخيه للدعوة الفاطمية ، فوجده قد توفي وخلفه ابنه القاسم سنة ٣٢٢ هـ ، فأقام عنده .

مضى أبو الحسن في سياسته التي اختطها لنفسه والتي كان من إثارها أن فرقت بينه وبين أخيه جعفر ، دون أن ينظر إلى عاقبتها الوخيمة عليه ، فأخذ يتتبع أنصار أبيه من الإسماعيلية تتبعاً مقروناً بالشدّة والعسف ، أدى إلى تفرقهم وقتل الكثيرين منهم ؛ غير أن بعض الإسماعيلية في اليمن استطاعوا النجاة من اضطهادهم كما حرصوا على كتمان أمرهم حتى لا يتعرضوا لإيذاته وولوا عليهم رجلاً منهم - وكان لا ينقطع عن مكاتبة الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب - (١) مما يثبت لنا أن الدعوة الفاطمية لم يقض عليها في بلاد اليمن ، وأنه لم يزل لها أنصار يرجون سيادتها على الرغم مما لاقوه من عنت واضطهاد .

لم يحزن أبو الحسن ثمرة مناهضة الدعوة الإسماعيلية وخروجه على طاعة الخلافة الفاطمية ، فإنه فضلا عن انقسام أهل بيته وما ترتب عليه من انصراف كثير من أنصاره عنه ، لم يلق من أنصاره الجدد من السنيين تأييداً يكون عوناً له على نجاح هذا الانقلاب الذي أحدثه ، بل شكوا في إخلاصه رغم ارتداده عن المذهب الإسماعيلي ، وتآمره عليه وقتلوه وتبع السنيون من أهالي بلاد اليمن الغربية أولاده وحريمه ، فقتلوا الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ، وبذلك قضوا على أسرة ابن حوشب (٢).

(١) الحمادي اليماني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠

(٢) الحمادي اليماني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١

لما توفي أبو الحسن ، طمع ابراهيم بن عبد الحميد الشيعي — وكان من كبار الإسماعيلية في بلاد اليمن — في أن يتقلد ما كان يليه من البلاد ، فأعلن ارتداده عن المذهب الإسماعيلي وأقام الخطبة لبني العباس (١). ولم يزل يتبع الإسماعيلية ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم ، ومالبث أن اجتمع شمل الفريق الذي نجا من هذا الاضطهاد بناحية جبل مسور جنوبي صنعاء تحت زعامة ابن الطفيل (٢). ولما وصل إلى ابراهيم بن عبد الحميد الشيعي نبأ تزعمه الإسماعيلية باليمن خرج إليه وقتله ، فتفرق من بقي من أصحابه وقصدت جماعة منهم نواحي عمان (٣).

اتخذت طائفة الاسماعيلية باليمن بعد وفاة ابن الطفيل ، ابن وحيم رئيساً لها ويعرف أيضاً بابن جفتم (٤) ، وكان كثير التنقل ، لا يستقر في موضع واحد خوفاً من تعقب السنين له — ولم يصرفه ذلك عن مكاتبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي منذ قدم من بلاد المغرب إلى مصر ، واتخذ القاهرة حاضرة له ، وأظهر له في كتبه دخوله في طاعته ، كما حرص على أن ينهى إليه وإلى الخليفة العزيز بالله الفاطمي من بعده أخبار أهل اليمن (٥). ولم يزل على ولائه لهذا الخليفة حتى شعر بدنو أجله ، فاستخلف على أتباعه من الإسماعيلية رجلاً منهم يقال له يوسف بن الأسد (٦).

لم يكن دعاة الاسماعيلية في بلاد اليمن هم الذين أقاموا الدعوة وحدهم للخليفة العزيز بالله الفاطمي ، بل أقامها أيضاً أمير صنعاء عبد الله بن قطحان

(١) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموال والملوك ص ١٥٢ . (٢) العرشى : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٢٤ .

(٣) الحمادى اليماني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١

(٤) الديبع الشيباني : قرعة العيون في تاريخ اليمن الميسون ورقة ١٦

(٥) الحمادى اليماني : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ٤١ — ٤٢

(٦) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموال

ابن أبي يعفر سنة ٣٧٩ هـ . وكان أمراء بني يعفر قد استعادوا هذه المدينة بعد وفاة علي بن الفضل سنة ٣٠٣ هـ ، وضموا إلى حوزتهم بعض البلاد المجاورة لها ، وأقاموا فيها الخطبة للخليفة العباسي فلما استقرت الأمور لعبد الله بن قحطان في صنعاء ، تجهز لفتح تهامة وأوقع الهزيمة بأميرها أبي الجيش اسحق بن إبراهيم بن زياد ، ثم دخل زيد حاضرة بني زياد واستولى عليها وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسي في جميع البلاد التي تحت سيطرته وإقامتها للخليفة المزي بن باقر الفاطمي ، واستمر الحال على ذلك حتى توفي سنة ٣٨٧ هـ (١) .

وهكذا أتبع للدعوة الفاطمية أن تستعيد مكانتها في بلاد اليمن بعد أن لاقى دعاتها كثيراً من العنت والاضطهاد على يد السنيين ، كما أخذت الدعوة العباسية في تلك البلاد في الضعف والانحلال تبعاً لنشاط دعاة الإسماعيلية وانصراف أمراء اليمن — الذين كانوا يدينون بالطاعة لبني العباس — إلى التنافس والتنافر فيما بينهم مما أدى ببعضهم إلى إحلال اسم الخليفة الفاطمي في الخطبة محل الخليفة العباسي . وليس من شك في أن هذا العمل مهد السبيل لازدياد التفوذ الفاطمي ببلاد اليمن .

كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يألون جهداً في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين ، فظل يوسف بن الأسد يدعو سرّاً للخليفة الحاكم بأمر الله حتى توفي ، خلفه داع جرى يدعى عامر بن عبد الله الزواحي . كان كثير المال والجاه ، وقد استغل ماله ونفوذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية ، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي ، وظل يدعو للفاطميين طيلة عهد الحاكم والظاهر وأوائل أيام المستنصر (٢) . ولما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي (٣) . الذي نشأ فقيهاً صالحاً ، وصار

(١) الديبع الشيباني : قرعة العمون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ١٧

(٢) البهاء الجندی : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموالى والملوك ص ١٥٢ (٣) عرف بالصليحي نسبة إلى الإصلاح من بلاد حراز باليمن ،

المرضى : بلوغ الرام في شرح مسك الختام ص ٢٤

دليلا لحاج اليمن عدة سنين ، وما لبثت أن عظمت شهرته وذاع بين الناس أنه سيمتلك اليمن بأكمله . ولما حج سنة ٤٢٨ هـ ، اجتمع بفريق من قومه همدان ودعاهم إلى نصرته ومؤازرته في دعوته ، فأجابوه وبأيعوه ، وكانوا ستين رجلا من رجالات عشيرته (١) .

وجه علي بن محمد الصليحي اهتمامه بعد عودته من بلاد الحجاز إلى اليمن سنة ٤٢٩ هـ إلى إحياء الدعوة الإسماعيلية القديمة التي قلده عامر بن عبد الله الزواحي زمامها ، فأخذ في إظهارها واتخذ حصن مسار بجبل حراز مقراً له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع إليه من سنحان وحمدان وحمير خلق كثير (٢) .

لم تسكن الأمور عمدة علي بن محمد الصليحي ليقوم بنشر دعوته في جميع أرجاء اليمن ؛ فعلى الرغم من زوال دولة بني زياد سنة ٤٠٩ هـ ، فقد ورث ملكهم مواليهم الذين ساروا على سياستهم في إقامة الخطبة لبني العباس ، وكان من بين هؤلاء الموالي نجاح الذي تمكن من إقامة دولة سنية في زبيد خلفت دولة بني زياد . وقد تمتع نجاح بكثير من مظاهر الاستقلال في دولته ، فصار يركب بالمظلة كغيره من السلاطين ويسك العملة باسمه . وبلغ من ازدياد نفوذه أن فوض إليه الخليفة العباسي تقليد القضاء لمن هو أهل له ، كما عهد إليه بالنظر في شئون البلاد اليمنية ولقبه بالمؤيد نصر الدين (٣) .

كانت دولة نجاح السنية تعمل على قمع أى محاولة يقوم بها دعاة الإسماعيلية لنشر دعوتهم في بلاد اليمن ، لهذا لم يستطع علي بن الصليحي رغم تأييده خلافة المستنصر بالله الفاطمي أن يجهر بالدعوة له ، يقول باخرمة (٤) :

(١) عمارة النبي : تاريخ اليمن ص ١٨

(٢) الرش : بلوغ المراد في شرح مسك الختام ص ٢٤

(٣) عمارة النبي : تاريخ اليمن ص ١١ — ١٢ ، ابن الجاور : تاريخ ابن الجاور

ورقة ٨٦ . (٤) المختار في تاريخ ثغر عدن ورقة ١٢٧ .

« وكان الصليحي يدعو للمستنصر بن معد بن الظاهر العبيدي سرّاً ويخاف نجاحاً » .

وقد عمد الصليحي إلى مداراة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له كما أخذ يتودد إليه ليأمن جانبه ، ثم دبر « وامرة للتخلص منه » ، فأهدى إليه جارية سنة ٤٥٢ هـ ، دست له السم فمات (١) ، وخلفه من أولاده سعيد الأحول وجياش ؛ غير أنهما لم يستطيعا أن يقفا في وجه الصليحي طويلاً وهربا إلى دمالك (٢) ، وبذلك قضى الصليحي على دولة نجاح وضم زبيد إلى حوزته .

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ٢١٤ . O. Leary De Lacy, A Short History of the Fatimid Khalifate P 202

(٢) القرينى : خطط ج ٢ ص ١٧٢ .

دمالك : جزيرة في بحر اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

(م ٦ - فاطميين)

٢ - موقف أمراء الصليبيين من الخلفاء الفاطميين

لما قرى أمر على بن محمد الصليحي وتوطد نفوذه في بلاد اليمن التي استولى عليها ، كتب إلى المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٣ هـ يستأذنه في إظهار دعوته ، كما بعث إليه هدية ثمينة ، تشمل سبعين سيفاً ، مقابضها من عقيق وخمسة أثواب وشي وفصوص عقيق ومسك وعنبر ، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات ، كتب عليها الألقاب وعهد إليه بالولاية ، وأذن له في نشر الدعوة (١) .

علت مكانة الصليحي في بلاد اليمن بفضل تأييد المستنصر له ، وأخذ يوجه اهتمامه إلى توسيع رقعة بلاده ، فسار إلى التهام فافتتحها ، ولم تمض سنة ٤٥٥ هـ إلا وقد بسط سلطانه على بلاد اليمن واتخذ صنعاء مقراً له (٢) وفي ذلك يقول العرشي (٣) : « ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي ابن محمد الصليحي ، فإنه استولى على اليمن ، سمله وجبله ، وشماله وجنوبه ، وغربه وشرقه ، في المدة اليسيرة ، وقهر ملوكه » .

استطاع الصليحي بعد أن اتسعت رقعة دولته وقضى على مناصريه أن يعيد للدعوة الإسماعيلية مكائنها في بلاد اليمن وكانت قد وهنت بعد وفاة ابن حوشب وانقسام أبنائه على أنفسهم - وصارت الخطبة تقام على منابر تلك البلاد للمستنصر والصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزال بذلك نفوذ العباسيين في بلاد اليمن (٤) .

لما استقرت الأمور للصليحي في صنعاء دعا إليه أمراء اليمن الذين

(١) الديبع الشيباني : قرعة العيون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢١ .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٨ .

(٣) بلوغ الرام في شرح مسك الختام ص ٢٥ .

(٤) باخرمه : المختار من نثر عدن ورقة ٣٩ - ١٤٠ .

أزال ملكهم وأسكنهم معه وولى صهره أسعد بن شهاب زبيد وأعمالها تهامة - وكان قد أقسم ألا يوليها إلا لمن قدم إليه مائة ألف دينار - ثم ندم على يمينه . فلما حملت إليه زوجته أسماء هذا المبلغ ليوافق على تعيين أخيها أسعد ، قال لها الصليحي : يا مولاتنا : أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله : وإن الله يرزق من يشاء بغير حساب ؛ فتبسم وهو موثق أنه من خزانته . وبعد أن أعيد إليه المبلغ ؛ قال : هذه بضاعتنا ردت إلينا . فقالت : ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ، فأقر الصليحي أسعد بن شهاب على ولاية زبيد سنة ٤٥٦ هـ . وكان حسن السيرة ، فلم يسيء إلى رعاياه وعلى الأخص السنين ، وبلغ من تسامحه معهم أن أجاز لهم إظهار مذاهبهم^(١).

كان الصليحي يحكم بلاد اليمن على اعتبار أنه نائب عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ؛ وحرص هو وخلفاؤه من بعده على إظهار ولائهم للأئمة الفاطميين في مصر . وقد تبودلت بين الصليحي والمستنصر بالله الفاطمي عدة مراسلات تبين لنا ما كان بينهما من صلة وثيقة ؛ ففي شهر صفر سنة ٤٥٢ هـ أرسل المستنصر كتاباً إلى الصليحي أخبره فيه بمولد ابنه أحمد الملقب بأبي القاسم وطلب منه إذاعة هذا النبأ في جميع أنحاء دولته^(٢) ، كما بعث إليه خطاباً آخر في رمضان سنة ٤٥٥ هـ^(٣) ، رصف فيه ثورة ابن باديس بإفريقية وكيف تمكن من القضاء عليها وأعاد بلادها إلى حوزته . ويتبين لنا من هذا الخطاب الأخير مدى اهتمام المستنصر بإخبار الصليحي نائبه وداعيته في بلاد اليمن بالأحداث التي تقع في دولته .

كان المستنصر يثق بالصليحي ويطمئن إليه في نشر دعوته ليس فقط في

(١) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ص ١٩ .

(٢) (B.O.S.), Vol VII Part 2, 1934, Letters of Al. Mustansir

(حبن الهداني) P. 313

(B. O. S.), Vol, VII, Part 2, 1934. P. 312-313.

(٣)

بلاد اليمن، بل أيضاً في بلاد الحجاز. فعهد إليه باقرار الامور في مكة وأبدى له في رسالة بعثها إليه سنة ٤٥٦ هـ. ارتياحه للخدمات الجليلة التي قام بها في سبيل إقامة الدعوة له وتوطيد نفوذه في بلاد اليمن والحجاز، وأنعم عليه بلقب عمدة الخلافة (١).

كان الصليحي يريد السفر إلى مصر ليحظى بمقابلة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، فبعث إليه رسالة مع مبعوثه ملك بن مالك ليأذن له بالقدوم عليه. فأذن له الخليفة في خطاب أرسله إليه في جماد آخر سنة ٤٥٩ هـ (٢) غير أن الصليحي رأى أن يذهب أولاً إلى مكة لأداء فريضة الحج، واستخلف ابنه المكرم أحمد بصنعاء واستصحب معه أمراء اليمن خوفاً من تأمرهم على ولده وإقصائه عن الملك، كما أخذ بصحبته زوجته أسماء بنت شهاب وبعض أفراد أسرته. وبينما هو في طريقه إلى مكة اغتاله سعيد الأحول بن نجاح في أواخر سنة ٤٥٩ هـ (٣).

ولى المكرم أحمد الملك بعد وفاة أبيه علي بن محمد الصليحي وبعث إليه الخليفة المستنصر بالله رسالة في شهر شعبان سنة ٤٦٠ هـ عبر فيها عن أسفه لوفاة والده وعهد إليه بشئون الدعوة (٤).

عول المكرم بعد أن تقلد زمام الأمور في بلاد اليمن على التخلص من سعيد الأحول بن نجاح الذي كان إذ ذاك قد استولى على زيد، فسار إليه على رأس جيش كبير. ولم تزل المعركة دائرة بين الفريقين حتى هرب

(١) (B. O. S.) 1934 Vol VII part 2, p. 312

(٢) (B. O. S.) 1934, Vol VII Part 2 p. 309.

(٣) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ص ٢٢ ، ابن اللؤيد اليمني : أنباء الزمن في أخبار اليمن

ص ٤٠ .

(٤) (B. O. S.), 1934 Vol VII Part 2, p. 319

سعيد ومن معه إلى دهلاك . واستعاد بذلك المكرم سلطانه على زيد وولى عليها خاله أسعد بن شهاب . على أن بنى نجاح ما لبثوا أن عادوا إلى زيد فأوقع بهم المكرم الهزيمة وأخرجهم منها وقتل سعيد بن نجاح ، وبعد أن تغلب المكرم على الصعوبات التي واجهته ، أمر بضرب الدينار الملكي ونقش عليه هذه العبارة : « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » (١) .

لما وصل إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي نبأ الهزيمة التي حلت بسعيد الأحول بن نجاح وقتله ، أرسل إلى المكرم خطاباً نوه فيه عن سروره لهزيمة العدو وأخذه الثأر لأبيه وقال له : « قلله درك أيها الأجل ، لقد زكى غرسك وطاب ، وحق أمل أمير المؤمنين في تقديم قدمك وماخاب ، فاعلم أنك خليفته في بلاد اليمن وعماده ، وعدته وسناده وقر عيناً بما أعطاك الله من الرتبة السنية والدرجة العلية » . وأبلغه في نهاية خطابه أنه أنعم عليه بلقب أمير الأمراء (٢) .

لم يكن لدى المكرم الصفات التي تؤهله ليخلف أباه في إدارة شئون بلاد اليمن لذلك نراه بعد أن استعاد زيد من سعيد الأحول وعاد إلى صنعاء يقلد زوجته السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي زمام الأمور في اليمن ، ويعهد إليها بالقيام بأمر الدعوة الإسماعيلية ، أما هو فقد انصرف إلى التمتع بلاذ الحياة (٣) .

على أن المكرم رغم ذلك حرص على توطيد علاقته بالمستنصر بالله

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) انظر السجلات المستنصرية رقم ٦٠ ص ١٩٦ - ١٩٩ .

(B. S. O. S.) 1934, Vol VII Part 2. p. 323

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٩ .

الفاطمي . فظل موالياً له وعبر عن ذلك في كتبه التي بعثها إليه ، كما أن الخليفة الفاطمي لم يهمل شأنه وأولى زوجته السيدة الحرة كل ثقته لإخلاصها الدعوة الإسماعيلية وظلت كتبه لا تنقطع عنهما ، فبعث إلى المكرم كتاباً في ٢٩ من ذي القعدة سنة ٤٧٠ هـ تتضمن وصفاً للمركز السامي الذي تقلده بدر الجمالي في دراهته والخدمات العظيمة التي أداها له باعتباره إماماً ، وكيف وطد نفوذ خلافته ، فقال : « وقد نشر الله تعالى به دعوة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت رمياً ونضراً به خلافة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت هشياً ، لم يكن لأمر المؤمنين بد من أن يرقيه في الرفع والإعلاء فوق الفراق ، ويحله منه محل الوالد ويجعل له مقام الملك وينزله في عقد خلافة الإمامة مكان السلك ، فنص عليه في كفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين ، نص حق ونقلها منه إلى مستحق إذا كان مبرزاً في ميدانها ، ناطقاً بلسانها عالماً بأحكامها . . » ، وطلب المستنصر من المكرم في نهاية كتابه أن يطيع أوامر بدر وإرشاداته ، فقال : « قول وجهك نحو هذا السيد الأجل واجعله قبلة دينك في مصادرك ومواردك ، وارجع إليه فيما عراك من مشكلات الدين ، واشتبه عليك من فتارى المؤمنين ، يرسل إليك من علمه شهاباً قبساً ، ويضرب لك في بحر ما اشتبه عليك طريقاً يديساً . . » ، واعلم أن الدولة الفاطمية بخدمة وجدده واجتهاده أطلع الله شمسها فأصبحت من سماء العز في الكبد ، وشق في نصرتها غياهب الظلمات بعد ضعف الناصر وقلة العدد . . . » (١) .

وما لا شك فيه أن بدر الجمالي الذي قلده الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وزارة السيف والقلم كان يتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير في مصر ، فقد عهد

(١) انظر السجلات المستنصرية رقم ٢٤ ص ١٠٦ - ١٢٩ .

(B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 317 318

إليه الخليفة إدارة كافة شئون دولته وزاد في ألقابه : «السيد الأجل ، أمير الجيوش . كاهل قضاة المسلمين ، هادى دعاة المؤمنين ، ومن ثم صارت كلمته نافذة على القضاة والدعاة وسائر موظفي الدولة (١) . ولما كانت سلطة بدر الجمالي قد امتدت تبعاً لذلك إلى الولايات الخاضعة لنفوذ الخلافة الفاطمية ، لذلك رأى المستنصر أن يبعث إلى القائمين بأمر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن يخبرهم بتفقد بدر الجمالي زمام دعوته . فأرسل إلى السيدة الحرة خطاباً أشاد فيه بذكر هذا الوزير وقال : «فهو خليفتنا وباب دعوتنا ، الحال منا محلا لم يحله أحد قبله ، القائم من أمورنا مقام الأساس لمشكلات الانتباس ، وهو عليك شفيق ولمصالح حالكم سالك في كل طريق ، وخيم خطابه بقوله : «فاعلمى ذلك وسارعى إليه إن شاء الله تعالى ، (٢) .

كان المكرم قبل وفاته قد أوصى أن يخلفه في الدعوة ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي ، فلما توفي سنة ٤٨٤ هـ ، أرسلت السيدة الحرة خطاباً إلى المستنصر بالله الفاطمي تخبره بوفاة زوجها المكرم وترجوه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه . وكان لا يزال طفلاً . فأقر الخليفة تعيينه خلفاً لأبيه وعهد إليه بالقيام بشئون الدعوة ، وأمر أن تغنون جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن باسم عبد المستنصر (٣) ، كما أرسل خطابات أخرى مع رسوله عضد الدين أبي الحسن جوهر المستنصري ، إحداها إلى السيدة الحرة يعزيها في وفاة زوجها المكرم ويثني على وفائها للدعوة .

على أن تولية عبد المستنصر أمر الدعوة لم يلق قبولا لدى أمراء اليمن

(١) المقرئى : خطاط . ج ١ ص ٣٨٢ ،

(٢) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 312

(٣) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII part 2 p. 366

بسبب صغر سنه ، يؤيد ذلك هذا الخطاب الذي أرسله الخليفة الفاطمي إلى عبد المستنصر وقد وصفه فيه بأنه « سليل الدعوة ونجلها ، ونوه بما لأسلافه من فضل السابقة في التعلق بها وحسن الأثر في نشرها ، وقال إنه قلده « الدعوة الهادية في سائر أعمال اليمن وما يليها سهلاً ووعراً وبراً وبحراً . » ، وتحدث في نهاية خطابه عما وصله عن اعتراض البعض على تقليده الدعوة بسبب صغر سنه ، بقوله : « وبعد هذا ، فقد كان أمير المؤمنين عرف بما أمدّه الله به من التأييد الخفي ، والنظر الأملح ، أنه إذا شوهده ما خلص لآيه من شريف هذا الاهتمام والتقديم والكمال والإنعام . . . سترمقك العيون وتجول في عظيم ما خصصت به الطنون ، إذا وليت هذا الأمر العالي قدره وأنت في سن الصبا ، فأنكر أمير المؤمنين ذلك عليهم . . . ووجد على من ظن ذلك موجدته على من قدح في الدين . . . ، لأن الله تعالى فوض إلى أمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين ، وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة ، فكيف الدعوة التي لأمير المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره ويفوضها إلى من يرتضيه ويختاره (١) . . . » .

كان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يحرص على استقرار الأمور في بلاد اليمن ليضمن بذلك الاحتفاظ بسيادته على تلك البلاد ؛ فلما قام النزاع بين الداعي أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي وأبي ربيع سليمان بن الأمير الزواحي على أثر تولية عبد المستنصر رئاسة الدعوة بعث رسالة إلى السيدة الحرة قال فيها إنه ينظر إلى هذا النزاع بشيء من القلق وطلب إليهما أن تسعى في الصلح بينهما .

كذلك أرسل المستنصر كتاباً في ربيع الأول سنة ٤٨٠ هـ إلى الصليحيين

(١) انظر المجلات المستنصرية رقم ٣٧ ص ١٢٢ - ١٢٨ .

وآل الزواحي رجاءهم فيه أن ينهوا ما بينهم من خلاف وأن يطيعوا السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر ، وناشدهم مناشدة قوية لكي يتحدوا في سيل نشر الدعوة ، وعبر في خطابه عن ارتياحه للخدمات التي قام بها كل من الصليحي والمكرم والسيدة الحرة لنجاح دعوته. (١)

وقد جاء فيه (٢) : « من عبد الله ووليه ، معد أبي نعيم ، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين ، والمشايخ الحجازيين ، وطوائف الميامين ... أما بعد ، فإن الله شرف أمير المؤمنين بفضل الخلافة على بريته ، وأناف به محل الدعوة الهادية ومرتبته .. ولما عرف أمير المؤمنين ما كان منكم من النصرة من حميد المساعي ومأثور مواقفكم من حماية الدعوة ... ، شكر لكم هذه المناقب ... ، وأمير المؤمنين يأمركم بالجرى على هذه السنن . : وأن تعتمدوا الائتلاف ، والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف (وأمير المؤمنين) يفرض عليكم التدين بطاعة داعيكم الملك الأرحم ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ... سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المستنصر ... ، ويأمر أن تعتمدوا الجد والتشمير في متابعتة ومناصرته ... والجهاد تحت رايته ... ، وأن تخلصوا النيات في موافقة وطاعة والدته . الحرة ، الملكة ، السيدة السديدة ، .. ولاية أمير المؤمنين وكافة أوليائه الميامين .. التي استكفها أمير المؤمنين في تدير أمره .

لقيت الدعوة التي وجهها المستنصر إلى آل الصليحي وآل الزواحي لفض النزاع بينهم قبولاً . وقد وافته بهذا النبأ السيدة الحرة في خطاب

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 318 – 319

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٢٨ من ١٢٨ — ١٣٤

أرسلته إليه ، فبعث إليها الخليفة رداً أعلن فيه سروره لزوال الخلاف الذي قام بين سبا بن أحمد الصليحي وسليمان بن الأمير الزواحي وعقد الصلح بينهما (١) .

لم يعمر عبد المستنصر طويلاً ، فقد وافته المنية وقام بعد وفاته نزاع بين الداعي سبا بن أحمد المظفر وبين السيدة الحرة بسبب طموحه إلى الاستحواذ على رئاسة الدعوة وحكم بلاد اليمن ورغبته في التزوج منها . لكن السيدة الحرة كرهت ذلك وأنكرته ، وتهايا كل منهما للقتال . وبعد أن دارت الحرب بينهما أياماً أرسل سليمان بن عامر الزواحي إلى الداعي سبا بن أحمد يقول له : « والله لا أجبتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر بالله (٢) » ، فبعث سبا بن أحمد إلى المستنصر بالله رسولين هما : القاضي حسين بن إسماعيل الأصبهاني وأبو عبد الله الطيب ومعهما رسالة يرجو فيها الخليفة أن يطلب من السيدة الحرة التزوج منه (٣) . فكتب إليها المستنصر خطاباً أمرها فيه بالتزوج من الداعي سبا بن أحمد ، وسير إليها استاذاً من قبله يلقب بيمين الدعوة ليتحدث معها في هذا الشأن (٤) .

لما حظى رسول المستنصر بمقابلة السيدة الحرة وقف بين وزرائها وكتابها ورجال دولتها وقال موجهاً الكلام إليها : « أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، كمف المستنجدين ، ولاية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ويقول فيها :

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 P. 321

(٢) الفقيه الشيباني : قرعة اليمن في تاريخ اليمن لليمن ورتة ٢٥ .

(٣) عماره اليمنى . تاريخ اليمن ص ٣٢ .

(٤) ابن الأثير اليمني ، أنباء الزمن في أخبار اليمن ص ٤٣ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأرحم المنصور المظفر عمدة الخلافة ، أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر على الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفاً أصنافاً من تحف وأطاف وطيب وكساوى . فقالت السيدة الحرة : أما كتاب مولاي فأقول فيه إني ألقى إلى كتاب كريم (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين) : (يا أيها الملأ أفتوني في أمري . ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) ، وأما أنت يا ابن الأصمباني (١) فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنياً يقين . ولقد حرقت القول عن موضعه وسولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (٢) . ثم تقدم إليها وزيرها زريع بن أبي الفتح والقاضي الحسين بن إسماعيل الأصمباني وبعض رجال دوائها وأخذوا يحسنون لها الزوج من الداعي سبأ بن أحمد ، وماذالوا يلحون عليها في الرجاء حتى قبلت عقد الزواج تحقيقاً لرغبة الخليفة (٣) .

يتبين لنا من تدخل المستنصر بالله الفاطمي في مسألة زواج الداعي سبأ ابن أحمد من السيدة الحرة إلى أي حد علت مكانة هذا الخليفة بين أمراء اليمن ودعاتها حتى أصبحت كلمته نافذة عليهم ، ليس فقط في المسائل السياسية والدينية بل في المسائل الخاصة . وقد سبق له أن أبدى رغبته في وضع حد للنزاع بين آل الصليحي وآل الزواحي ، وهاهو يأمر السيدة الحرة بالزوج من الداعي سبأ بن أحمد . ولا شك أنه كان يرجو من وراء هذا الزواج توثيق الصلة بين أمراء اليمن ودعاتها وعدم إثارة عوامل الخلاف بينهم حتى لا تتعرض

(١) وهو أحد الرسولين الذين بثهما الداعي سبأ بن أحمد إلى الخليفة المستنصر .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٣٢ — ٣٣ .

(٣) الديبغ الشيباني : قره العيون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥ .

الدعوة للضعف من جراء تفرق كلمتهم وانشغالهم بالمنازعات التي قد تؤدي في النهاية إلى زوال نفوذهم .

على أن السيدة الحرة لم تمكن زوجها الداعي سبأ بن أحمد من السيطرة على شئون بلاد اليمن ، بل استحوذت عليها واستأثرت بالسلطة دونه ، وظلت موالية للمستنصر وآل بيته وتوثقت عرى الصداقة بينها وبينهم ، وأكبر دليل على ذلك الرسائل التي تبودلت بين السيدة الحرة والمستنصر ، وبينها وبين والده هذا الخليفة وأخته مما يثبت لنا ثقتهم بقدرتها على إقرار الأمور في بلاد اليمن وإذاعة الدعوة بين ربوعها . بل باع من ثقة المستنصر بكفايتها للقيام بشئون الدعوة الفاطمية أن عهد إليها أمر تنظيمها في بلاد الهند و عمان . كما أجاز لها أن تعين من يقع اختيارها عليه من الدعاة لنشر الدعوة في تلك البلاد (١) .

لم يكن لمظاهر الضعف التي أصابت الخلافة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر أى أثر في بلاد اليمن ، فظلت السيدة الحرة مغلصة في ولائها لهذا الخليفة رغم ما بلغها عن تقلص نفوذه .

لما توفي المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٨٧هـ وخلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلي بالله أيدت السيدة الحرة خلافته ، كما أيدتها دعاة الدين رغم أن الإسماعيلية في مصر لم يجمعوا على أحقيته في تولد عرش الخلافة بعد أبيه ، ذلك أن الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستنصر أقدم بعد وفاة هذا الخليفة على إقصاء ابنه نزار ولى عهده وأكبر أبنائه عن الخلافة ، وباع أخاه الصغير أبا القاسم أحمد بعد أن اجتمع بالأمراء وخوفهم مما يصيبهم من نزار إذا ما ولى الحكم في الدولة الفاطمية ، وقد ترتب على إقصاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها إلى خروج أهالي الإسكندرية على طاعة

الخليفة الجديد وانحيازهم إلى نزار . غير أن الأفضل ما لبث أن تمكن من القضاء عليه وعلى من آزره في ثورته (١).

أرسل المستعلي إلى السيدة الحرة رسالة مؤرخة في ٨ صفر سنة ٤٨٩ هـ تضمنت وصفاً لثورة نزار وتغلب وزيره الأفضل بن بدر الجمالي عليها نهائياً (٢). وبما ورد فيها (٣): « من عبد الله ووليه أحمد أبي القاسم الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الحرة ، الملكة ، السيدة ، السديدة ، . . . ولاية أمير المؤمنين . . . قد علمت ما كان صدر إليك من حضرة أمير المؤمنين عندما أصارة الله تعالى إليه من إرث خلافة . وذلك بالنص الذي كان من مولانا الإمام المستنصر بالله . . . وإن البيعة انتظمت لأمير المؤمنين على أجل القضايا والأسباب ، ودخل الناس فيها من كل باب ، بحسن سياسة فتاه وخليفه ، السيد ، الأجل ، الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضية المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين . . . وكان الأمراء إخوة أمير المؤمنين أول من دخل في البيعة مسارعا وانقاد لأحكامها طائعا . . . ومن جماعتهم نزار وهو الأخ الأكبر سناً . . . ثم إن الشيطان استزله واستغواه . فقارق جناب أمير المؤمنين . . . وسار منه متوغلا في القفار ، راكباً الأخطار حتى وصل إلى الإسكندرية ، وفيها أفتكين — أحد عمالك السيد الأجل ، أمير الجيوش . . . فقابل هذا العبد العاق . . . نعم مواليه بالكفر ، وأظهر ما كان كامناً في نفسه من الخيانة والغدر ، ووافق نزاراً على ما سعى إليه من الفساد . . . فتقدم أمير المؤمنين إلى فتاه الأمين . . . بأن يكاتبهم معذراً وزاجراً . . . وهم على غلوائهم متهادون . . . إلى أن حملهم العدوان . على البروز عن الإسكندرية فيمن انضم إليهم من لقيف

(١) ابن ميسر . تاريخ ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 218

(٣)

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٤٣ ص ١٤٥ - ١٥١ .

من الأجناد وطوائف العربان والمغاربة والسودان ... ، وأمير المؤمنين يمدّه بصائب الآراء .. ، فصدّهم صدمة تزعزع منها أركان الجبال ، وأحلّ بجمعهم قوارع الشتات والتكال ... ؛ ولما يسر الله تعالى مفتح هذا النصر أذن أمير المؤمنين لفتاه السيد الأجل باتباعهم ... ، فتوجه يقتص آثارهم . ، وحمى بين الفريقين وطيس الهيجاء .. ، وكان المحساذيل في هذه النوبة قد تجمعوا من كل فج وواد ، فزادت عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجل ، فرمى الله جمعهم بالحتف العاجل .. ، وطار نزار وأفتسكين على رسمهما في الفرار ... ، وكان الفتح في هذه الواقعة مثل ما تقدّمه بحملات وأصلها السيد الأجل بنفسه وغلبانه ... ، فلم تزل السيوف تتحكم فيهم إلى أن سترتهم الظلماء ، وقتل وأسر منهم ألوف كثيرة .. ، وتوجه نحوهم .. حتى نزل على البلدة .. لحصرها براً وبحراً .. وحضر شهر الصوم ، فأخّر مناجرتهم حفظاً لحرمه الشهر الشريف ، .. فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تنقض غوايتهم وبغيهم .. رماهم بحجارة المنجنيقات .. فلم تمض إلا أيام قلائل حتى تداعى الحصن من سائر أركانه ، فتماوت الرجال مستأمنين ، وبالعفو لائذين . ، فخرج (أفتسكين) بغير عهد ولا عقد يتعلق به ، ووقف بين يدي مولاه ملتحفاً ثوب الذل والهوان ... ، فأضرب عنه صفحاً ... ، وتوفر على المهم من الخوطة على نزار ، وحفظ الثغر من عوادي النهب والأضرار ... ،

كذلك حاولت والدّة الخليفة المستعلي جذب الدعاة في اليمن إليه فبعثت إلى السيدة الحرة رسالة ، تحدثت فيها عن عهد المستنصر لولدها أبي القاسم أحمد وثورة نزار وأفتسكين بالإسكندرية على خلافته (١) . وقد جاء فيما (٢) :

(B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 P. 218

(١)

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٣٥ . ص ١٠٩ — ١١٧ .

« من السيدة الملكة الكريمة . . ، والدة الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله . . . ، إلى الحرة الملكة ، السيدة ، السيدة . . . ، قد اشتهر بين كافة المؤمنين ، وأولياء الدين ، ورعايا الدولة أجمعين ، أن الإمام المستنصر بالله . . كان يشير (بالإمامة) إلى ولده الإمام المستعلي بالله ، ثم أفصح . . وأنه تولى بنفسه الشريفة الكريمة توفيقه وتفهمه ، واختصه دون الأولياء بمزية ألفه وأنسه ، ثم انتقل إلى دار الكرامة ، ومحل الإقامة ، بعد أن أظهر النص عليه ، وأعلن بنقل الأمر إليه . . ، وجعل خليفه ووزيره ، السيد الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام . . ولياً أعلى الله همته في ارتياد الصلاح واغتنامه . . ، ومدبراً جرى به أمر المملكة على أطراد وانتظامه ، فقام لأمير المؤمنين بأمر البيعة أحسن قيام . . ، وكان أول داخل فيها الأمراء أخوة أمير المؤمنين تسليماً لحقه وإذعاناً ، وعلماً بأن الله تعالى يفيض شعار الإمامة على من يرتضيه . . ومن جملتهم نزار أخوه الأكبر سنّاً ، فإنه عرف الحق فعاهد وبايع . ثم أدركه الحسد . . فانسل دليلاً تحت جناح الليل . . . ، ومضى إلى الإسكندرية وبها افتسكين ، واجتمعوا معاً على الفتنة . . . ، واستغوبوا طوائف من المناقنين ، . . . وكان أمير المؤمنين بما آتاه الله تعالى من شرف العلم ، وحبيب إليه من الفضل والحلم ، موعزاً إلى فتاه وخليفه السيد الأجل الأفضل ، بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الإنذار والإعذار . . . ، وهم متمادون على غلوائهم في البغي والعناد . . ، فعند ذلك أذن له مولانا في لقائهم . . . »

لم يتأثر دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن بهذا النزاع الذي حدث في مصر حول الخلافة والذي ترتب عليه ظهور فرقتين ، عرفت الأولى بالنزارية ، وكانت تدعى أن المستنصر أوصى لابنه الأكبر نزار بالخلافة من بعده . أما الفرقة الثانية فادعت أنه أوصى بها لابنه المستعلي . وقد انحاز دعاة

الإسماعيلية في اليمن إلى هذه الفرقة وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلي .

كذلك لم تلق فرقة النزارية التي اتخذت من بلاد المشرق مركزاً لها بزعامة الحسن بن الصباح (١) - الذي مال إلى القول بإمامة نزار وأنكر إمامة المستعلي - أنصاراً في بلاد اليمن ، بل لقد أصبح اسم نزار مبهضاً عند أهالي هذه البلاد كما هي الحال عند غالبية الإسماعيلية في مصر .

كان النزارية في مصر لا يعترفون بإمامة المستعلي ويعملون على التخلص منه ومن وزيره الأفضل . ولم يمتد نشاطهم إلى البلاد الواقعة في دائرة النفوذ الفاطمي ؛ أما فرقة المستعلية التي اتخذت مصر مقراً لها فنشطت في بث الدعوة لإمامة المستعلي وظهر أثر نشاطها جلياً في بلاد اليمن حيث قام الدعاة بنشر الدعوة لهذا الخليفة ، ولم تر السيدة الحرة - التي كانت تتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير في بلاد اليمن - في الخلاف الذي ظهر بين الإسماعيلية في مصر عقب وفاة المستنصر بشأن أحقية المستعلي في الإمامة ما يجعلها تتخذ لنفسها سياسة مستقلة عن الدولة الفاطمية ، بل دخلت في طاعة هذا الخليفة بعد أن وقفت على عوامل ثورة نزار ونجاح الأفضل بن بدر الجمالي في القضاء عليها .

ولا شك أن تأييد السيدة الحرة ودعاتها الخليفة المستعلي ساعد على عدم تسرب النزارية إلى بلاد اليمن ، وبذلك لم تتفرق كلمة الإسماعيلية في تلك البلاد كما تفرقت في مصر .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على شد أزر الدعوة الفاطمية في اليمن . فلما مات زوجها الداعي سبأ بن أحمد سنة ٤٩٢ هـ . ولت المفضل ابن أبي

(١) ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٦٥ .

البركات بن الوليد الحميري داعياً مكانه (١)، كما عاهدت إليه بمعارنتها في القيام بأمور الدولة. وقد ثار في عهده جماعة من الفقهاء بحصن التعكر (٢) وبايعوا رجلاً منهم يعرف بإبراهيم بن زيدان على الدعوة الإسماعيلية وانحازت إليهم قبيلة خولان، غير أن المفضل ما لبث أن حاصرهم وانتهى الأمر بالقضاء على ثورتهم (٣).

كان من أثر انضمام الخولانيين إلى الخارجيين على الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن سنة ٥٠٤ هـ وقيام النزاع بينهم وبين السيدة الحرة أن وجهت الخلافة الفاطمية بالقاهرة اهتمامها إلى معاونة السيدة الحرة، فأوفد إليها الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي الداعي على بن إبراهيم بن نجيب الدولة سنة ٥١٣ هـ ليكون عوناً لها ضد أعدائها ومنافسيها (٤) - وكان ذا دراية كبيرة بمذهب الشيعة - فلما وصل إلى جزيرة دهلك في طريقه إلى بلاد اليمن، قابله أحد الدعاة وأدلى إليه بأخبار تلك البلاد وأحوال أهلها وتواريخ ميلادهم وأسمائهم وما يميزهم من علامات، فكان إذا ما تحدث معهم عن غوامض الأشياء التي تتصل بهم اعتقدوا أنه يعلم الغيب (٥).

اشترك ابن نجيب الدولة مع السيدة الحرة في إدارة شئون بلاد اليمن. وصار من كبار الدعاة في تلك البلاد، كما ظل مخلصاً للسيدة الحرة ومنفذاً في الوقت نفسه لسياسة الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وبذل جهداً مشكوراً في العمل على استقرار الأمور في بلاد اليمن. ولما ولي المأمون البطائحي الوزارة في مصر في عهد الخليفة الأمر، أمدّه بالمال والرجال ليضعف من

(١) الديبغ الشيباني؛ قرعة الميمون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥.

(٢) قلعة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذي جبلة (ياقوت - معجم البلدان).

(٣) ابن خلدون. ج ٤ ص ٢١٦ - ٢٢٢.

(٤) Enc. of Islam, V 4, p. 517.

(٥) عمارة اليمنى. تاريخ اليمن ص ٤٢.

شوكة أمراء اليمن الذين حاولوا الاستقلال ببعض البلاد^(١).

أثارت الحملات التي شنّها ابن نجيب الدولة على بعض أمراء اليمن والتي انتهت الأمر فيها بهزيمتهم حقدّم عليه ، وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص منه ، فلما بعث المأمون البطائحي وزير الخليفة الأمر الفاطمي رسولاً من قبله إلى اليمن سنة ٥٢٠هـ لم يحفل به ابن نجيب الدولة وعول على الغض من شأنه ، فاستغل أعداؤه من الأمراء والدعاة موقفه العدائي من رسول الوزير الفاطمي الانتقام منه. فاستمالوا هذا الرسول إليهم بالهدايا وانضموا إليه في عدائه لابن نجيب الدولة ، فأوعز إليهم بتدبير أمرين للتخلص منه : أما عن أولهما فقال : « اكتبوا على يدي إلى مولانا الأمر كتباً تذكرون فيها أنه دعاكم إلى نزار ورادكم على ذلك فامتنعتم » ، وقال عن ثانيهما : « اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الأمر بأحكام الله » ، فأجابوه إلى طلبه ، وبعث بكتبهم وبالسكة إلى الخليفة الأمر^(٢).

ولما وصل إلى الأمر الفاطمي المكتب والسكة وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة له وانحيازها إلى طائفة النزارية^(٣) عهد إلى

(١) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن من ٤٣ - ٤٤ الديع الشيباني قرية العيون في تاريخ اليمن

اليمن ورقة ٢٧

(٢) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن من ٤٦ .

(٣) كان للنزارية أتباع في مصر لا يعترفون بإمامة الأمر ويشيرون انقلاباً ضده بانياز من رؤساء دعوتهم في قلعة اللوت الذين كانوا يمدونهم بالمال ؛ فرأى الخليفة الفاطمي أن يرسل إلى زعيمهم الحسن بن الصباح كتاباً يفند فيه حجج فرقته التي تقول بأحقية نزار في الإمامة ودعا إلى قصره قبل أن يرسل كتابه ، الفقهاء من الإسماعيلية الإمامية وقال لهم وزيره المأمون البطائحي : « ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية » فقال كل منهم لم يكن لنزار إمامة ؛ ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله .

وكانت أخت نزار إذ ذاك تجلس في قاعة صغيرة بجانب الإيوان بالقصر وعلى الباب ستر ؛ فلما فرغ فقهاء الإسماعيلية من الإدلاء برأيهم في أقوال الخارجين على الخليفة قالت : « اشهدوا على يا جماعة الحاضرين وبلغوا عن جماعة المسلمين أن أخى شقيقى نزاراً لم يكن له إمامة ولا تنى (برية) من إمامته جاحدة لها لعنة من يعتقدونها . »

الأمير الموفق بن الخياط بالقبض عليه وإرساله إلى مصر ؛ فقدم ابن الخياط على السيدة الحرة وطلب منها أن تسلم إليه ابن نجيب الدولة تحقيقاً لرغبة الخليفة فامتنعت أول الأمر وقالت له : « أنت حامل كتاب مولانا نخذ جوابه » ، وبعثت إلى الأمر بأحكام الله هدية وكتاباً مع رسولها محمد بن الأزدي شفعت فيه لابن نجيب الدولة ، غير أن شفاعة السيدة الحرة لم تصل إلى مسامع الخليفة الفاطمي ، فقد أحاط أعداء ابن نجيب الدولة (١) به واعتقلوه وأرسلوه إلى مصر ، وأخروا رسول السيدة الحرة خمسة عشر يوماً حتى لا يعلم الخليفة بحقيقة موقف ابن نجيب الدولة منه ولم يكتفوا بذلك ، بل أوعزوا إلى ربان المركب الذي أبحر عليه هذا الرسول أن يغرقه في الماء ، فلبى رغبتهم ومات محمد بن الأزدي غريقاً قبل أن يواصل سفره إلى مصر . فجزعت السيدة الحرة على وفاته ، كما أسفت على فقد ابن نجيب الدولة - وكان نصيراً لها ومن أكابر دعاة اليمن - وقد قتل بأمر الخليفة الأمر ، على أثر قدومه إلى القاهرة سنة ٥٢١ هـ (٢) ، فأقامت مكانه الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي (٣) .

كانت السيدة الحرة على اتصال وثيق بالخليفة الأمر ، فتبودلت

== ولما انقضى المجلس ، عهد المأمون البطاعي إلى ابن الصيرفي بكتابة رسالة لابن الصباح يدحض فيها آراء النزارية في الإمامة ؛ غير أن هذه الرسالة لم يتج لها أن تصل إلى يد ابن الصباح لمدول رسل الخليفة عن مواصلة السفر إليه بسبب الأنباء التي وصلت إلى مصر عن ازدياد نفوذ طائفة النزارية ببلاد المغرب ، واتصالها بأتباعها في مصر لتدبير مؤامرة لقتل الأمر ووزير المأمون . لذلك لانجب إذا رأينا الأمر يتتبع حركاتهم في جميع البلاد الخاضعة لنفوذه ويعمل على التخلص من تحوم الشبهات حول انحيازهم إليهم ، لكنه رغم اتخاذ الحيلة لدرء خطرهم عنه اغتاله فريق منهم .

ابن ميسر . تاريخ مصر من ٦٥ - ٦٨ ، القريري . خطط ج ١ من ٤٠٧ .

(١) ابن المؤيد اليمني . أنباء الزمن في تاريخ اليمن من ٤٧ .

(٢) عمارة اليمني : تاريخ اليمن من ٤٧ ، ٤٨ ، ابن ميسر ، تاريخ مصر من ٧٠ .

(٣) Kay, Yamao, Its Early Mediaeval History p. 298.

بينهما الكتب والرسل . وقد أظهرت ولاءها لهذا الخليفة ، فاعترفت بإمامته ، كما اعترفت من قبل بإمامة أبيه المستعلي وأقامت الدعوة لهما بما ساعد على احتفاظ الفاطميين بسيادتهم على بلاد اليمن .

وكان الخليفة الأمر ينظر إلى السيدة الحرة نظرة تقدير وإجلال ويرى أنها من خيرة أعوانه بعد أن تبين له إخلاصها في نشر دعواته ؛ لذلك حرص على أن تظل موالية لأبنائه من بعده ، فلما رزق ابنه أبا القاسم الطيب في ربيع الأول سنة ٥٢٤ هـ وجعله ولي عهده ، كتب إلى السيدة الحرة يبشرها بمولد ولده الإمام أبي القاسم الطيب ويعرفها أنه ولي عهده ويأمرها أن تذيع هذا الخبر بين أهالي بلاد اليمن (١) ؛ وفيما يلي نص السجل الذي أرسله الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي إلى الملكة الحرة الصليحية في هذا الشأن (٢) (بسم الله الرحمن الرحيم) : من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الأمر بأحكام أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خاصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستنجدين ، عصمة المسترشدين وولية أمير المؤمنين وكافلة أربائهم الميامين أدام الله تمكينها ونعمتها وأحسن توفيقها ومعاونتها سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين بحمد الله الذي لا إله إلا هو ويسأله

(١) ذكر (ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٧٢) كيف احتفل الخليفة الأمر بإعلان البشري بولاية ابنه أبي القاسم الطيب وتوليته الإمامة من بعده فقال : « زينت مصر والقاهرة وعملت الملاهي في الأسواق وبأبواب القصور ، ولبيت المساكن وزينت القصور ، وأخرج الأمر من خزائنه وذخائره قماشاً ومصاغاً ما بين آلات وأواني ذهب وفضة فزين بها وعلق الإيوان جميعه بالسطور والسلاح ، فأقام الحال كذلك أربعة عشر يوماً وأحضر الكباش الذي يذبح في العقبة وعليه جل ديباج وقلائد فضة وذبح بحضرة الأمر وأحضر المولود ، فشرف قاضي القضاة ابن ميسر بحمله ونثرت الدنانير على رؤوس الناس وعمات الأسطة ، وكتب إلى القیوم والشرقية والقلبوية باحضار انفواكه ، فأحضرت ولى القصر من الفواكه وغيرها وامتلا الجو بدخان العود والعنبر » .

(٢) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن ص ١٠٠ — ١٠١ .

أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين الأئمة المهتدين وسلم تسليماً ، أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى لها عدد ، ولا تقف عند أمد ولا حد ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون لكونها كالسحاب الذي كلما انقضى سحاب أعقبها سحاب ، فهي كالشمس الساطعة الإشراف الدائمة الانتظام والاتساق والغيوث المتتابعة الاتصال الموالية بالغدو والأصال ، ومن أشرفها لديه قدراً وأعظمها صيتاً وذكرأ ، وأسناها جلالاً وغرأ الموهبة بما جدهه الآن بأن رزقه مولوداً زكياً مرضياً برأ تقياً ، وذلك في الليلة المصباحية بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٢٤ هـ ؛ ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، وأضاءت بأنوار عزته وبهجة طلعتة ظلم الدياجر ، وانتظمت به للدولة الزاهرة الفاطمية عقود المفاصل والمفاخر استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور . ومنح المؤمنين منه بما قدح زناد السرور وسماه الطيب لطيب عنصره وكناه أبا القاسم كنية جده بنى الهدى المستخرج جوهره من جوهره ؛ وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على ما من به من إطلاعه كوكبا منيراً في سماء دولته وشهاباً مضيئاً في فلك جلالته ورفعته شكرياً يقضى باستدامة نعمته . . ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام بالليالي ويجعله عصمة المسترشدين وحجة على الجاحدين وعونا المنتجين وسعادة للعارفين لتنال الدنيا بسعادته أرفى حظوظها وقسمها . . ولما كانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ومحلك الذي امتنع عن المائل والقرين ، أبشرك هذه البشرية الجليل قدرها ، العظيم نغرها المنتشر صيتها وذكرها لتأخذ من المسرة بها بأوفى نصيب وتذيعها فيمن قبلك من الأولياء والمستجيبين إذاعة يتسارى في المعرفة بها كل بعيد منها وقريب لينتظم بها عقد السرور ، فاعلم هذا واعمل به إن شاء

الله تعالى و صلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله والأئمة الطاهرين وسلم
وشرف وكرم إلى يوم الدين . .

لما قتل الخليفة الأمر في أواخر سنة ٥٥٢٤ هـ ، انتقلت السلطة إلى الأمير
عبد المجيد بن محمد بن المستنصر فأخفى أمر الإمام الطيب وبايعه الناس بولاية
العهد على أن يكون كفيلاً لحل منتظر (١) ، وأقب الحافظ لدين الله ، لكن
سرعان ما حيل بينه وبين التصرف في شئون الدولة ، فقد سجنه الوزير
أبو علي أحمد بن الأفضل ، وظل في سجنه إلى أن قتل هذا الوزير ، فأعاد رجال
الدولة ولياً للعهد (٢) ، ثم استقرت له الخلافة وقرىء في ٣ ربيع الآخر سنة
٥٥٢٦ هـ بحل بإمامته ، وأمر بأن يدعى له على المنابر بهذه العبارة : اللهم صلى
على الذي شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دثوره وأقررت به الإسلام
بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره آية لمن تدبر الحقائق بباطن البصيرة
مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا عبد المجيد أبي ميمون وعلى آبائه
الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين (٣) ،

لم تنظر السيدة الحرة إلى الوسيلة التي اتبعها الخليفة الحافظ للوصول إلى
عرش الخلافة بعين الرضا ، فقد اعتبرت إمامته باطلة على الرغم من الكتب
التي أرسلها إليها ، فقد بعث إليها على أثر توليته الحكم سجلاً بدأه بعبارة
« من ولي عهد المسلمين » ، ثم أرسل إليها سجلاً آخر في السنة التالية مبتدئاً
بعبارة « من أمير المؤمنين » وقد حارل الحافظ في كتبه التي بعثها إلى السيدة
الحرة أن يستميلها إليه ، لكنه أخفق في ذلك لأنها كانت على علم بمولد

(١) يتضح مما أورده كل من ابن ميسر « تاريخ مصر » ص ٧٤ ، أبو المحاسن (النجوم
الزاهرة . ج ٥ . ص ٢٤٠ — ٢٤١) أن الأمر لما مات ترك إحدى لسانه حاملاً ، فأقيم
الحافظ ولياً للعهد وكفيلاً لطفل مرتقب .

(٢) القرطبي . خطط ، ج ٢ . ص ٣٥٧ .

(٣) ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٧٤ — ٧٥ .

الإمام الطيب وأخذت على نفسها العهد بنشر الدعوة له ؛ ولهذا تخلت عن الدعوة للخليفة الحافظ وقالت وحسب بنى الصليحي ما علموه من أمر مولانا الامام الطيب (١) .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على أن يكون للدعوة الطيبية في بلاد اليمن النفوذ الاسمي وامتد نشاطها في سبيل الإبقاء على تلك الدعوة إلى بلاد الحجاز، ذلك أنها حين وصل إليها أن أمير مكة هاشم بن فليته بن القاسم (٢) (٥٢٧ - ٥٤٩ هـ) يقيم الخطبة للخليفة الحافظ بعثت إليه تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة لهذا الخليفة (٣) ؛ ولا شك أنها كانت تأمل من وراء ذلك أن يحذو الأمير حذوها في إقامة الدعوة للإمام الطيب .

لقد لقي عدم اعتراف السيدة الحرة بإمامة الخليفة الحافظ ارتياحاً من فرقة المستعملة بمصر التي كانت ترى وجوب انحصار الإمامة في أولاد المستعلي ، بل إن هذه الفرقة نظرت إلى السيدة الحرة على أنها الممثلة الحقيقية للمذهب الإسماعيلي في بلاد اليمن .

على أن الخليفة الحافظ لم يفقد الأمل في نشر الدعوة له في بعض مدن اليمن ؛ فقد استعان بآل زريع بعدن في بث دعوته . وكان لخدم عباس بن المكرم (٤) ما أثر طيبة في نشر الدعوة للمستنصر بالله الفاطمي مع الداعي

(١) عمارة اليمن . تاريخ اليمن ص ١٠٢ .

(٢) صح هذا الاسم طبقاً لما أورده Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour L' Histoire de L' Islam p. 21 »

(٣) ابن خلدون . ج ٤ ص ١٠٤ .

(٤) كان بنو معين بن زائدة قد ملكوا عدن أيام الخليفة المأمون العباسي ورفضوا الدخول في طاعة أبي زياد يزيد واكتفوا بإقامة الخطبة للخليفة العباسي ، ولما استولى الداعي على بن محمد الصليحي على بلاد اليمن دعى لهم حق العروبة وأبقاها في أيديهم ، وقرر عليهم ضريبة سنوية ، ولم يزلوا بها حتى أخرجهم منها ابنه للمكرم أحمد وولى عليها العباس ومسعود ابني المكرم الهمداني .

تاريخ ابن الجاور القسم الأول ورقة ٩٩ . الرشي . بلوغ اللرام في شرح مسك الختام

على بن محمد الصليحي ثم مع ابنه أحمد المكرم (١).

ولى العباس بن المكرم وأخوه مسعود ولاية عدن من قبل السيدة الحرة، وظلا يحملان إليها كل سنة مائة ألف دينار، ولما توفي العباس انتقل عمله إلى ابنه زريع، وخلف مسعود ابنه أبو الغارات. وقد خرج كل من زريع وأبو الغارات على طاعة السيدة الحرة، فخاربهما وزبرها المفضل بن أبي البركات، ثم تصالحا معه على أن يؤديا للسيدة الحرة نصف خراج عدن؛ غير أن هذا الصلح لم يدم طويلاً. وظل آل زريع يناضلون السيدة الحرة حتى تخلصوا من نفوذها في عدن (٢).

عنى دعاة آل زريع بإقامة الدعوة للخليفة الحافظ، كما حرص هذا الخليفة على تقليدهم أمر دعوته، فبعث في سنة ٥٣٥ هـ رسالة مع أحد رسله تتضمن تقليد على بن سبأ بن أبي السعود بن زريع الدعوة. ولما علم الرسول أن هذا الرجل قد توفي قلدها أخاه محمد بن سبأ (٣) واقب بالداعى المعظم المتوج المسكنى بسيف أمير المؤمنين (٤). وبلغ من اهتمام الخليفة الحافظ بإقامة الدعوة له أن أرسل في سنة ٥٣٩ هـ رسولا من قبله إلى بلاد اليمن يدعى أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني ليقوم بنشر دعوته (٥).

كان من أثر قيام السيدة الحرة بالدعوة للإمام الطيب دون الخليفة الحافظ وانفراد آل زريع بالدعوة لهذا الخليفة أن انقسمت إسماعيلية اليمن تبعاً لذلك إلى طائفتين: إحداهما تؤيد الدعوة الطيبية وعلى رأسها السيدة الحرة، والآخرى تناصر الخليفة الحافظ يتزعمها آل زريع.

(١) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن من ٤٨ ، تاريخ المجاور : القسم الأول ورقة ٩٨ .

(٢) تاريخ ابن المجاور . القسم الأول ورقة ٩٩ .

(٣) ابن المؤيد اليمنى . ألباء الزمن في تاريخ اليمن من ٤٧ .

(٤) ابن خلدون . ج ٤ ص ٢١٩ .

(٥) الأدفوى . الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد من ٥ .

على أن الدعوة الطيية ما لبثت أن ضعف أمرها بعد وفاة السيدة الحرة سنة ٥٢٢ هـ . ورجع السبب في ذلك إلى أنه لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلف هذه السيدة وتسير سيرتها في نشر الدعوة للإمام الطيب ؛ فقد زال ملكهم وآلت الحصون والذخائر والأموال التي كانت تحت السيدة الحرة إلى منصور بن المفضل بن أبي البركات الذي عجز عن الاحتفاظ بما انتقل إليه من ملك .

تطلع آل ذريع بعد أن توفيت السيدة الحرة إلى بسط سلطانهم على قلاع الصليحيين الذين زالت دولتهم ؛ فاستغل الداعي محمد بن سبأ الزريعي ضعف المنصور بن المفضل بن أبي البركات الذي آلت إليه هذه القلاع وابتاعها منه بمائة ألف دينار في سنة ٥٤٧ هـ (١) ؛ فقوى نفوذهم تبعاً لذلك ؛ وظلوا مواليين للخلافة الفاطمية في مصر ، يؤدون إليها في كل سنة مبلغاً معيناً من المال للاتفاق منه على المذهب الاسماعيلي (٢) .

أخذت دولة بني ذريع بعدن في الانحلال بعد وفاة محمد بن سبأ الزريعي سنة ٥٤٨ هـ ؛ وتجلي ضعفها في عهد ابنه عمران الذي استعان بياسر بن بلال في تدبير أمور دولته واستمر على ولائه للفاطمين إلى أن توفي سنة ٥٦٠ هـ ؛ فاستأثر ياسر بالسلطة (٣) وزال بذلك ملك بني ذريع .

* * *

زوال النفوذ الفاطمي في اليمن : أصبح النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن مهدداً بالزوال منذ ولي صلاح الدين يوسف بن أيوب مقاليد الأمور في مصر بعد قضاائه على الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ ، فقد طمع في بسط سلطانه

(١) القرطبي : خطط ج ٢ ص ١٧٤ .

(٢) تاريخ ابن الجاور : القسم الثاني ورقة ١٠٣ .

(٣) ابن خلدون : ج ٣ ص ٢٤٩ .

على البلاد التي كانت تحت السيادة الفاطمية وولى وجهه في بادىء الأمر نحو اليمن (١) ، فبعث إليها أخاه الأمير شمس الدولة توران شاه على رأس حملة سنة ٥٦٩ هـ ، ولما وصل توران شاه إلى تلك البلاد بدأ عمله بالقضاء على دولة بنى مهدي بزويد التي كانت تناصر الفاطميين بمصر (٢) ، فقبض على أميرها عبد النبي بن مهدي لقطعه الخطبة العباسية واستولى على زبيد ، ثم فتح صنعاء وسار إلى عدن حيث أوقع الهزيمة بوالها ياسر بن بلال وضمها إلى حوزته . ولما فرغ من أمرها عاد إلى زبيد وامتلك قلعة توز - وهي من أحسن القلاع - . ولم يزل يتقدم في فتوحه حتى بسط سلطانه على معظم بلاد اليمن (٣) ، وتلقب بالملك المعظم وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي في جميع البلاد التي فتحها (٤) . وولى سيف الدولة مبارك ابن منقذ على زبيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي على عدن ، كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نائباً من أصحابه (٥) ، ثم عاد إلى مصر سنة ٥٧١ هـ (٦) .

وهكذا قضى على الدعوة الفاطمية ببلاد اليمن ، كما زال نفوذ الفاطميين منها وانتقلت السيادة في تلك البلاد إلى الأيوبيين الذين حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين وأقاموا الخطبة لهم في جميع البلاد التي تحت سيطرتهم .

(١) ذكر المقرئى « السلوك لمعرفة دول الملوك » ج ١ القسم الأول ص ٥٢ ، ٥٣ ، أنه من الأسباب التي حلت صلاح الدين على فتح بلاد اليمن رغبته في إقامة دولة بها يلجأ إليها إذا ما حاول نور الدين محمود أن ينزع منه مصر .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٤٨ - ١٤٩ - ، المقرئى خطط

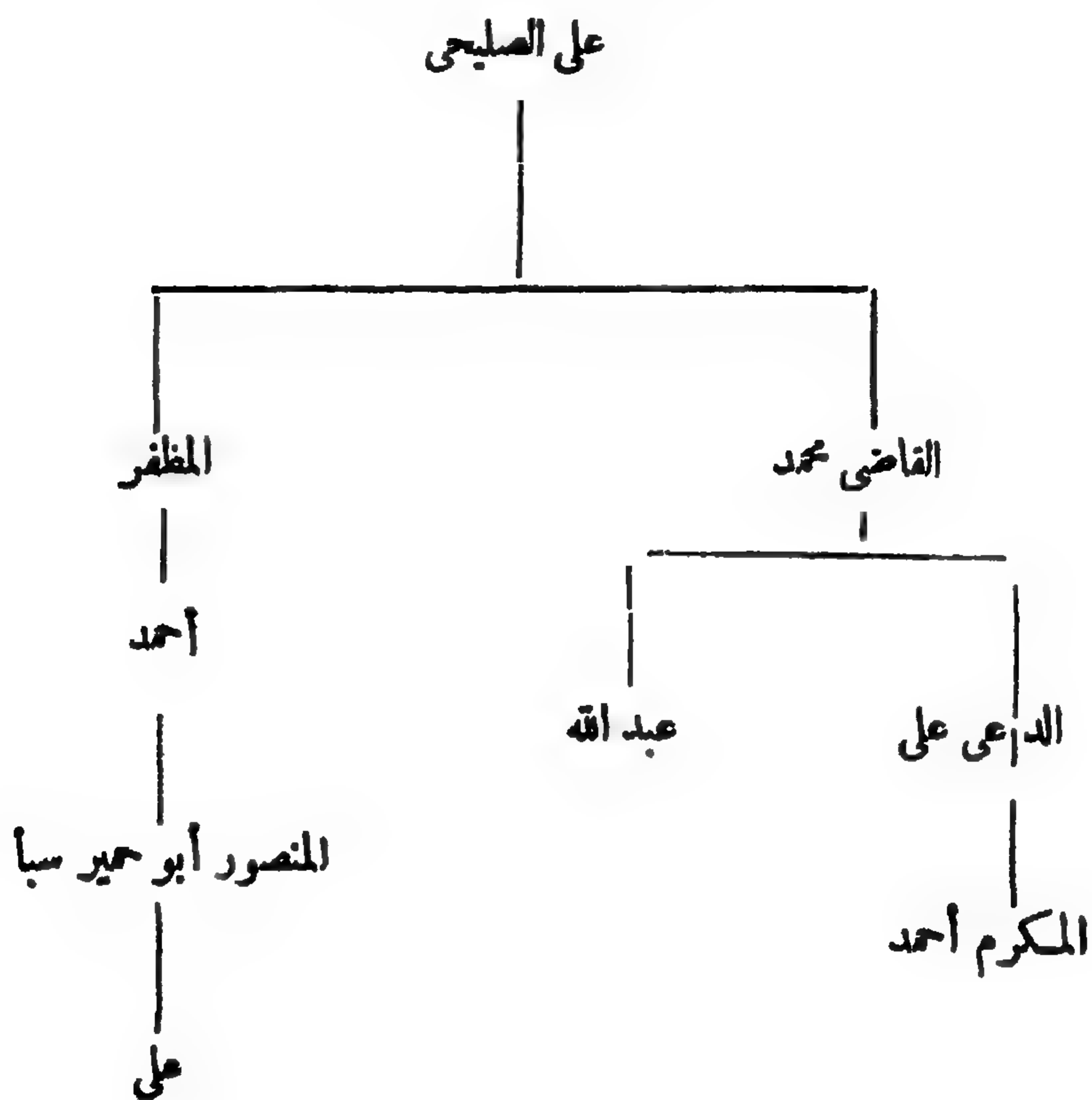
ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٥٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٤٩ .

(٦) العرشي : بلوغ الرام في شرح مسك الختام ص ٤١ .

أسرة الصليحي ببلاد اليمن (١)



الباب الخامس

سياسة الفاطميين في بسط سلاطانهم على بلاد الشام

تمهيد : الحياة السياسية في بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمي
١ - الفتح الفاطمي لبلاد الشام.

٢ - الصعوبات التي واجهت الفاطميين في بلاد الشام
من ناحيتي القرامطة وأفتكين التركي.

٣ - موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين.
(أ) بنو الجراح في فلسطين .

(ب) الحمدانيون والمرداسيون في شمال الشام.

٤ - ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في أواخر القرن
الخامس الهجري.

الباب الخامس

سياسة الفاطميين في بسط سلطانهم على بلاد الشام

تمهيد : الحالة السياسية في بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمي :

حرص الاخشيدون أثناء ولايتهم على مصر على توطيد نفوذهم بولاية الشام التي تقلدوا حكمها ؛ فلما علم محمد بن طنج الاخشيد أن محمد بن رائق الخزري ، أمير الأمراء في بغداد يطمع في ولاية الشام ، كتب إلى نائبه ببغداد يطلب إليه أن يستطلع رأي الخليفة في هذا الأمر . غير أن الخليفة العباسي لم يكن إذ ذاك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قراراً يلزم أحد الفريقين باتباعه ، لذلك استقر رأي الاخشيد على إعداد العدة لمحاربة محمد بن رائق^(١) ، فخرج على رأس جيشه في أوائل سنة ٣٢٨ هـ ، ودارت بينه وبين ابن رائق معركة في العريش ؛ ففضى ابن رائق منهزماً إلى الرملة ، ثم عقد الصلح بين الفريقين واتفقا على أن تكون طبرية وما في شمالها من البلاد لمحمد بن رائق^(٢) .

على أن ابن رائق ما لبث أن نقض هذا الصلح ، وقصد الرملة في طريقه إلى مصر . واستأنف القتال بينه وبين الاخشيد ، فلحقت الهزيمة في بداية الأمر بالاخشيد عند العريش ، ثم أرسل الاخشيد جيشاً لمطاردة ابن رائق ؛ غير أنه لم يتمكن من إحراز النصر عليه . ورأى محمد بن رائق رغم ذلك أن يسعى لمصالحته^(٣) . وانتهى النزاع بينهما بعقد الصلح على أن

(١) الكندي : الولاة والقضاء ص ٢٨٩ .

(٢) سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين . ص ٨٢ — ٨٣ .

(٣) انظر : مصر في عهد الاخشيديين . ص ٨٣ .

يحكم ابن رائق الولايات الشمالية شمالى الرملة ، وعلى أن يدفع الإخشيد إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار (١) . ومن المحتمل أن الإخشيد اضطر إلى قبول الصلح على هذه الصورة رغم ما أحرزه من نصر خشية أن تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه ورغبة لإعداد نفسه لدرء الخطر الفاطمى الذى كان يهدده من ناحية حدود مصر الغربية (٢) .

استطاع الإخشيد أن يعيد بلاد الشام إلى خوزته من غير حرب بعد وفاة ابن رائق ؛ وبذلك استقر حكمه فى هذه البلاد وأصبح من القوة بحيث استطاع أن يحصل على تقليد فى بداية سنة ٣٣٣ هـ من الخليفة المتقى بولاية مصر وحق توريث إمارتها لأبنائه من بعده ، كما أخذ تقليداً من الخليفة المستكن فى جمادى الآخرة من هذه السنة ، أقره فيه على ولاية مصر والشام (٣) .

لم يحتفظ الإخشيد فترة طويلة بسلطانه على جميع بلاد الشام ويرجع السبب فى ذلك إلى تطلع الحمدانيين (٤) إلى انتزاع هذه البلاد من أيدي الإخشيديين .

(١) المقرئى : الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . ج ١ . ٣٢٩ .

(٢) حسن إبراهيم : كتاب تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ص ٦٨ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاء ، ص ٢٩٢ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ص ٨٦ .

(٤) ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب وموطنها ديار ربيعة فى الجزيرة بالقرب من سنجار ونصيبين . وكان لحمدان ستة أولاد هم : إبراهيم والحسين ونصر وأبو السرايا وأبو الهيجاء عبد الله ، وأبو العلاء سعيد ، وداود . وقد ظهر نفوذ الحمدانيين فى الموصل منذ أن تقلد ولايتها عبد الله بن حمدان من قبل الخليفة المكنى سنة ٢٩٢ هـ ، (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧٥) . ولما ولى القندر الخلافة أقره والياً عليها ، فظل يلى أمورها حتى سنة ٣١٧ هـ حيث اشترك فى المؤامرة التى دبرتها لحلع القندر ، فكان مصيره القتل (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٢٢٣) .

على أن الخليفة القندر رغم ذلك حرص على الاستعانة بالحمدانيين وعلى الأخص فى إقليم =

فلما أسندت ولاية حلب إلى أبي الفتح عثمان بن سعيد الكلبي حقد عليه أهل بيته من الكلبيين وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلوا إليه حلب ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة أن يوليه إحدى الولايات ، فقال له ناصر الدولة : الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . فلما وقف سيف الدولة على الخلاف القائم بين الكلبيين وأيقن من عجز أبي الفتح وإلى حلب عن مقاومته ، سار في جيشه الصغير قاصداً حلب ، فقابله إخوة أبي الفتح الكلبي عند نهر الفرات وأعلنوا ولاءهم له ، كما أن أبا الفتح نفسه ما لبث أن لقي سيف الدولة ودخل في طاعته (١) ، وبذلك تيسر لسيف الدولة الاستيلاء على حلب وأصبح أميراً عليها منذ سنة ٢٣٣ هـ ، وبدأ عمله بإقامة الخطبة للخليفة العباسي المستكفي ولأخيه ناصر الدولة وانفسه .

لما وصل إلى محمد بن طنج الإخشيد نبأ دخول سيف الدولة حلب وإقامته الخطبة للخليفة العباسي ، كتب إلى الخليفة بذلك ، فأرسل إليه وإلى ابنه أرنؤجور خلعاً دليلاً على تأييده له . على أن سيف الدولة ما لبث أن كشف عن نواياه بعد أن استقرت له الأمور في حلب ، فسار إلى حمص

= الجزيرة لاعتقاده أنهم يستطيعون إخماد حركات القبائل المتنافرة بهذا الإقليم ، فأُسند إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان ولاية الموصل وقد استطاع هذا الأمير أن يحتفظ بنفوذه في الموصل منذ سنة ٣١٧ هـ ، كما تمكن من بسط سطاته على جميع أرجاء ديار بكر وديار ربيعة (ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٦٧ ، ٦٨) .

ولما استولى البريديون على بغداد ونهبوا دار الخلافة اضطرت الخليفة المتقي إلى الهرب منها وسار مع فريق من جيشه إلى الموصل ، فتفشى بها ما يقرب من أربعة أشهر ، ثم عاد إلى بغداد في شوال سنة ٣٣٠ هـ ، وعلا منذ ذلك الوقت شأن بني حمدان ، فعلم المتقي على الحسن بن عبد الله ولقبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه علي بن عبيد الله ولقبه سيف الدولة (مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

(١) ابن العديم الحلبي . زبدة الخلب في تاريخ حلب ، ص ٣٦٥ - ٣٦٧ . (م ٨ - فاطميين)

يريد دمشق ولما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عزم على بسط سلطانه على دمشق ، أرسل إلى الشام جيشاً التقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن^(١) ، فكان النصر حليف الحمدانيين ، وتقهقر الجيش الإخشيدى إلى دمشق ، ثم خرج منها قاصداً الرملة في طريق عودته إلى مصر ، وسار سيف الدولة في أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها كتاباً ، قرىء على منبر المسجد الأموي^(٢) . وقد تضمن هذا الكتاب حرصه على صيانة أرواحهم والمحافظة على أموالهم .

استقر رأى محمد بن طفج الإخشيد بعد أن وصلت نسخة من كتاب سيف الدولة على أن يسير بنفسه لمحاربته ، فاستخلف على مصر ابنه أونوجور وسار على رأس جيش كبير إلى دمشق ، والتقى الفريقان في قنسرين . وكان النصر في البداية حليف سيف الدولة ، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب إلى هزيمة ، فدخل الإخشيد حلب حاضرة الحمدانيين واسترد دمشق .

وعنى الرغم من انتصار الإخشيد ، فإنه رأى أن يصالح الحمدانيين ، وتم الصلح بين الأمرين في ربيع الأول سنة ٣٢٤ هـ ، على أن يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالاً ، وأن يكون للإخشيد دمشق وأعمالها ، كما تضمن الصلح أن يدفع الإخشيد لسيف الدولة جزية سنوية^(٣) .

(١) تقع على نهر العاصى الذى يمر بالقرب من حماه .

(٢) ابن سعيد : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٤١ — ٤٢ ، سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيدين . ص ٣٥٠ .

(٣) أبو الهائس : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٧٨ ، ٢٨٢ — ٢٨٣ .

ومن المرجح أن الإخشيد سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستظل قائمة إلى أن يتم النصر لسيف الدولة ، كما أنه كان على يقين من أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على أشام سينتهي بانتصارهم عليه لأن هذا الإقليم يعد المجال الحيوى لاتساع سلطاتهم ، وفضلاً عن ذلك فإن الإخشيد كان يرمى من إبرام الصلح مع سيف الدولة على هذه الصورة أن يبقى الدولة الحمدانية حصناً منيعاً بينه وبين البيزنطيين يكفيه مؤونة التعرض لهجومهم من وقت لآخر (١).

لما خلت دمشق من حامية قوية ترد غارة الحمدانيين على أثر وفاة محمد ابن طغج الإخشيد وعودة جنده من الشام إلى مصر ، انتهز هذه الفرصة سيف الدولة الحمداني واتجه إليها بجيشه ، فسقطت في يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الإخشيدى ، ولم يكتف بذلك ، بل عمد إلى مطالبة أهلها بودائع الإخشيد ، فكتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم بصحبة سيده أونوجور (٢) ، ثم دار القتال بين الفريقين ، فكان النصر لحليف المصريين وتقهر سيف الدولة إلى دمشق فخص حيث أعاد تنظيم صفوفه ، وجمع جيشاً كبيراً من الأعراب هاجم به الجنود المصريين شمالى دمشق ، فلحقت به الهزيمة وطارده الإخشيديون إلى حلب ، فهرب إلى الرقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الحمدانيين والإخشيديين ، وانتهت إلى عقد معاهدة الصلح بنفس الشروط التي كانت بين محمد الإخشيد وسيف الدولة (٣) ما عدا

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ص ٢١١ .

(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ص ١٥١ ، ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ

حلب ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

الجزية ، فإن الإخشيديين لم يقبلوا دفعها (١) وكان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين والإخشيديين (٢) .

لم يكن الحمدانيون هم الذين حارلوا وحدهم إضعاف نفوذ الإخشيديين في بلاد الشام ، بل تعرضت هذه البلاد أيضاً لغارات قرامطة بلاد البحرين (٣) ، فقامت في عهد أميرهم أحمد بن أبي سعيد (٣٢٢ - ٣٥٩ هـ) حملتان لغزو بلاد الشام : الأولى في سنة ٣٤٣ هـ (٤) وتعرف بحملة طبرية . وقد تمكنت هذه الحملة بمعاونة الحمدانيين من إحراز النصر على الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد الذي كان يلي هذه البلاد من قبل الإخشيديين (٥) . أما الحملة الثانية ، فأغارت على بلاد الشام سنة ٣٥٧ هـ وعجز الإخشيديون عن صدها ، فسقطت الرملة في أيدي القرامطة ، واضطر الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد إلى الاتفاق معهم على أن يدفع لهم ثلاثمائة ألف دينار كل سنة (٦) ، وبذلك امتد نفوذ دولة القرامطة إلى بلاد الشام في أواخر عهد الإخشيديين

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) سيدة كاشف : مصر في عصر الأخشيديين ، ص ٣٥٤ .

(٣) أسس أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي دولة القرامطة ببلاد البحرين سنة ٢٨٦ هـ وقد استطاعت هذه الدولة أن تسيطر نفوذها على كثير من أرجاء جزيرة العرب ، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية في بيت أبي سعيد (راجع كتاب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب للمؤلف ، ص ٢١ - ٣٩)

(٤) القرظي : خطط ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٥) حسن إبراهيم ، طه شرف : كتاب العزيز لعبد الله الفاطمي ، ص ١٠٠ .

(٦) القرظي : اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الخلفاء ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

١ - الفتح الفاطمي لبلاد الشام

حرص الفاطميون منذ أقاموا خلافتهم في بلاد المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري على تقويض دعائم الخلافة العباسية وانزاع زعامة الإسلام منها ، فأسند المعز لدين الله الفاطمي إلى قائده جوهر الصقلي قيادة الحملة التي أرسلها إلى مصر سنة ٢٥٨ هـ وقد تكلفت بمجودات جوهر الصقلي في فتح مصر بالنجاح ، فأقيمت الخطبة للخليفة الفاطمي على منابرها بدلاً من الخليفة العباسي ، وأصبحت القاهرة بعد أن اتخذها المعز لدين الله حاضرة لخلافته سنة ٣١٢ هـ مركزاً للدعوة الشيعية التي ظل العباسيون يقاومونها زهاء قرنين .

كانت الضرورة السياسية والحربية تقضي على الفاطميين بعد أن تم لهم فتح مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام . ولم تخف عن جوهر الصقلي تلك الحقيقة ، فعمل على فتح هذه البلاد رغبة في تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقي والوقوف في وجه الروم والقرامطة .

وقد تضمن كتاب الأمان الذي أعلنه جوهر المصري (في شعبان سنة ٣٥٨ هـ) إشارة ظاهرة إلى خطر القرامطة الذين اجتاحت بلاد الشام وأوقعوا الهزيمة بقوات الأخشيديين سنة ٣٥٧ هـ ، وأخذوا يهددون مصر ، فجاء فيه (١) : « وهو أنه - صلوات الله عليه - لم يكن إخراج العساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلّا لمصافيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، كما ورد في هذا الأمان أيضاً : « ولستم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام في أنفسكم

(١) القرظي . اتعاظ الخنقا ، ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

وأموالكم وأهلكم . . . وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ويذب عنكم ويمنع منكم ، فلا يتعرض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم . .

لما تم لجوهر الصقلي فتح مصر وأيقن أن النفوذ الفاطمي قد توطد فيها ، أرسل حملة إلى فلسطين أسند قيادتها إلى جعفر بن فلاح السكتامي في أواخر سنة ٥٣٥٩هـ (١) ، فرأى الإخشيدون في الشام بعد أن وصلت إليهم أنباء هذه الحملة أن يعدوا أنفسهم لصدها ، فخرج الحسن بن عبيد الله بن طنج الإخشيد - الذي كان يلي بلاد الشام إذ ذاك - من مدينة دمشق قاصداً الرملة واستخلف شمو لا الإخشيدى على دمشق ؛ على أن هذا الوالى لم يكن مخلصاً للحسن بن عبيد الله ، فتقاعد عن نصرته .

لما وصل جعفر بن فلاح إلى الرملة ، دعا ولاية الشام إلى طاعة المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ببلاد المغرب ، فأجاب دعوته فريق منهم . أما الحسن بن عبيد الله بن طنج الإخشيد ، فإنه استنجد بعماله على دمشق وطبرية فلم يسارع أحد منهم إلى نجده . وانتهت الحرب التي دارت بين جعفر بن فلاح والحسن بن عبيد الله في الرملة بهزيمة الحسن وأسره مع كثير من جنده (٢) ؛ ثم سيق إلى القسطنطينية حيث أرسل إلى بلاد المغرب ؛ فظل بها حتى توفي سنة ٥٣٧١هـ في خلافة العزيز بالله .

استأنف جعفر بن فلاح السير إلى طبرية بعد انتصاره في الرملة فبنى قصراً على الجسر الذي يشرف على المدينة ليحارب قاتك - غلام ملهم - وكان يلي أمورها من قبل كافور الإخشيدى ، فخافه كل من قاتك وملهم

(١) القرزى : انطايا الحنقا ، ص ١٦٨ .

(٢) القرزى : انطايا الحنقا ، ص ١٧١ ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ج ٣

ولم يتعرضوا له؛ وبذلك تيسر لجعفر دخول طبرية دون أن يلقى مقاومة تذكر من أهلها .

لما وصل إلى أهل دمشق نبأ استيلاء جعفر على طبرية خشوا بأسه ، وأرسلوا إليه جماعة من كبار رجالهم ، يطلبون الأمان ، لئلا يهتكوا . استقبلهم ، فعادوا إلى دمشق ، ودارت رحى الحرب بين جنود جعفر وأهل هذه المدينة في أواخر سنة ٨٣٥٩ . وعلى الرغم من أن أهل دمشق استطاعوا بمعارضة جند الإخشيديين الوقوف بضعة أيام في وجه جعفر بن فلاح وجنده من المغاربة والقبائل العربية بالشام التي انضمت إليه ، فإن الهزيمة لحقت بهم واستولى جعفر على دمشق (١) .

لما رأى أهل دمشق ما حل بجندهم من الهزيمة وهجرهم عن الوقوف في وجه الفاطميين ، ندبوا بعض رجالهم لمقابلة جعفر ، وطلبوا إليه إصلاح حال مدينتهم وإعادتها إلى ما كانت عليه ، فقبض عليهم بعض جنده من المغاربة وسلبهم ثيابهم . وكان لهذا العمل أسوأ الأثر في نفوس أهل دمشق .

على أن جعفر لم يلبث أن أخذ هذه الفتنة واضطر أهل دمشق إلى مقابله لطلب الأمان ، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال : ما أفرح عنكم حتى تخرجوا إلى ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور ، فيتمرغن في الزراب بين يدي لطلب العفو ، فقالوا له : نفعل ما يقول القائد ، وأخذوا يلحون عليه بالرجاء لعله يعفو عنهم . فبدأت تأثيرته وانبسط معهم في الكلام ، واستقر الرأي بينه وبينهم على أن يصل هو ورجاله يوم الجمعة في مسجد دمشق ، فدخل المسجد هو وأصحابه ، وأقيمت في هذا اليوم الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وحذف اسم الخليفة العباسي المطيع . وكان ذلك

(١) للفرزى : أحوال الخطا ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

في المحرم سنة ٣٦٠هـ (١) .

لم تسكد تستقر الأمور في دمشق حتى عاد جند جعفر إلى العيث بالنظام فانتهكوا حرمة بعض المنازل وسلبوا ما فيها . وكان ذلك مما حمل أهل دمشق على مقاتلتهم ، واضطر شيوخ هذه المدينة إلى مقابلة جعفر لطلب الأمان من جديد ، فقال لهم : « دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتهم ، ثم هددهم باستعمال العنف ، فأخذوا يهدئون من روعه حتى وعدهم بالعفو إذا دفعوا دية من قتل من جنوده ، فأجابوه إلى طلبه وقدموا له الأموال الكثيرة .

لما رأى جعفر بن فلاح أنه ان يستطيع توطيد سلطان الفاطميين في دمشق إلا بالقضاء على زعماء الفتنة من أهلها ، أرسل جنده في طلبهم ، وعندما تمكنوا من القبض عليهم ، أمر جعفر بضرب أعناقهم . وكان من بينهم اسحق بن عسودا ، ولم ينج منهم إلا أبو القاسم بن أبي يعلى العباسي ومحمد بن عسودا . وقد حاول ابن أبي يعلى الهرب إلى بغداد ، فقبض عليه عند تدمر ، وسبق به إلى جعفر بن فلاح حيث شهر به ثم أرسل إلى مصر . أما محمد بن عسودا وظالم بن موهوب العقيلي وإلى حوران من قبل الإخشيديين فلحقا بالقرامطة في الأحساء (٢) .

على الرغم من أن جعفر بن فلاح حالفه النصر في بلاد الشام ، فإن سياسة العنف التي اتبعها في دمشق وإساءة جنده معاملة الأهالي واستهتارهم بأرواحهم ، أثارت سخط الناس عليه ، فسدبر أهل دمشق المؤامرات لإقصاء هذا القائد والقضاء عليه والتخلص من حكم الفاطميين الذين يخالفونهم في المذهب الديني .

(١) المقرئى : انعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ .

(٢) المقرئى : انعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

لم يؤد استيلاء قوات جعفر بن فلاح على دمشق إلى بسط سلطان الفاطميين على جميع أرجاء بلاد الشام ، فكان هناك الحمدانيون في حلب — وقد لجأ إليهم كثير من أنصار الأخشيديين — كما أن الروم كانوا يهددون من حين لآخر المدن الشمالية والساحلية ببلاد الشام ، كذلك كان لقرامطة بلاد البحرين بعض النفوذ في هذه البلاد منذ أغاروا عليها سنة ٣٥٧ هـ .

على أن الحمدانيين لم يكونوا في ذلك الوقت من القوة بحيث يستطيعون مناوأة الفاطميين والوقوف في وجههم ، فقد أخذت قواتهم في الضعف منذ وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ (١) . أما الروم ، فقد تسكفّل الحمدانيون في النصف الأول من القرن الرابع الهجري بصد غاراتهم ، ولولا الجهود التي بذلوها في هذا السبيل لاستولوا على بلاد الشام في غفلة العباسيين .

ولما اعتلى نقفور فوكاس (Nicephorus Phocas) عرش الدولة البيزنطية (٩٦٣ — ٩٦٩ م) تقدم الروم إلى حدود سوريا الشمالية ، فاستولى جيشه سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) على أنطاكية التي كان يطمح إليها منذ زمن طويل لأنها كانت مدينة البطارقة والقديسين . لذلك اعتبرت منافسة لبيزنطة من الناحية الدينية . وبعد احتلال أنطاكية بمدة وجيزة حاصر قائد نقفور مدينة حلب واضطر قرعويه الذي كان إذ ذاك قد ثار على سعد الدولة ابن سيف الدولة الحمداني إلى عقد صلح مهمين مع البيزنطيين (٢) سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) .

رأى جعفر بن فلاح بعد أن استقرت له الأمور ببلاد الشام ، أن استيلاء الروم على أنطاكية يهدد الحكم الفاطمي في هذه البلاد ، ومن ثم أخذ في تجهيز جيش كبير ضم إليه جنوداً من أعمال دمشق وفلسطين ؛

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٢) Hitti. History of the Arabs. p. 460

وصار يرسل الحملة بعد الحملة إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها ، لكن هذه الحملات منيت بالفشل (١) .

كذلك راجه جعفر بن فلاح خطر قرامطة بلاد البحرين الذي يعد من أشد الأخطار التي مهددت الحكم الفاطمي في بلاد الشام ، وكان هؤلاء القرامطة يرمون إلى بسط نفوذهم على هذه البلاد وتجهلت أطماعهم فيما في عهد أميرهم أحمد بن أبي سعيد حيث فرضوا منذ سنة ٢٧٦ هـ على الإخشيديين الذين كانوا يلون بعض مدن الشام إتاوة يؤدونها إلى حكومتهم كل سنة (٢) . وإذا أنعمنا النظر في الظروف التي فرضت فيها هذه الإتاوة لا تضح لنا مدى حرص القرامطة على الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الشام .

(١) القريري : أنطاكيته ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) القريري : أنطاكيته ، ص ٢٤٧ .

٢ — الصعوبات التي واجهت الفاطميين في بلاد الشام

من ناحيتي القرامطة وأفتكين التركي

(١) قرامطة بلاد البحرين : بدأ النزاع بين قرامطة بلاد البحرين والفاطميين منذ استولى الجيش الفاطمي بقيادة جعفر بن فلاح على دمشق ، فقد طالب الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الملقب بالأعصم الذي ولي إمارة القرامطة سنة ٢٥٩ هـ بالإتارة التي كان يدفعها الإخشيدون لحكومته . لكن جعفر بن فلاح رفض أداء هذه الإتارة إليه (١) . وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر في نفس الحسن بن أحمد الذي رأى أن سيادة دولته قد قضى عليها الفاطميون ، هذا بالإضافة إلى حرمان حكومته من ضريبة كبيرة كانت تؤدي إليها ؛ ومن ثم بدأ يناصبهم العداوة ، واتبع سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة .

استقر رأى الحسن بن أحمد على أن يعد نفسه لمحاربة القوات الفاطمية ببلاد الشام وإجلائها عن هذه البلاد ، فبعث إلى المطيع العباسي وعز الدولة بختيار أمير بني بويه في العراق سنة ٣٦٠ هـ ، يطلب منهما أن يمداه بالمال والرجال لينسني له استرداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين على أن يتولى حكم هذه البلاد من قبل العباسيين (٢) .

ولما كان البويهيون يستأثرون إذ ذاك بالسلطة في بغداد دون الخليفة العباسي ، لذلك رأوا في امتداد نفوذ الفاطميين إلى بلاد الشام ما يعرض سلطانهم في العراق للضعف والزال ، ومن ثم رحب عز الدولة بختيار بمد القرامطة بالسلاح والمال لمعاونتهم على الوقوف في وجه الفاطميين ،

(١) ابن خلدون . المعبر وديوان المبتدأ والخبر . ج ٤ ص ٩٠ .

(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ص ٧٤ .

فأرسل إليهم - كما قال ابن القلانسي (١) - ألف ألف درهم، وألف جوشن، وألف سيف، وألف رمح، وألف قوس، وألف جمعة، وقال: إذا وصل الحسن أبو علي الجنابي إلى الكوفة حمل إليه جميع ذلك .

كذلك طلب عز الدولة بختيار إلى الحمدانيين بالموصل إمداد الحسن بن أحمد زعيم القرامطة بالأموال؛ فأتى هذا الطلب قبولا منهم رغبة في وقف الزحف الفاطمي، وبلغ من اهتمام عز الدولة بختيار بمديد المساعدة إلى القرامطة أن أرسل إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان، يطلب منه أن يؤدي إلى الحسن بن أحمد مبلغاً قدره أربعمائة ألف درهم. وفي ذلك يقول النويري (٢): « وكتب له علي أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم، فرحل الحسن (ابن أحمد) من الكوفة حتى أتى الرحبة، وعليها أبو تغلب بن حمدان، فحمل إليه المال المسبب له، وحمل إليه العلوقه . »

لم تقتصر معاونة أبي تغلب بن ناصر الدولة للحسن بن أحمد على مده بالأموال، بل أمدّه أيضاً بقوة من الرجال قوامها الإخشيدية الذين وفدوا إليه فراراً عما لحق بهم في مصر وفلسطين على يد جند الفاطميين من المغاربة (٣). وكان لانضواء فريق من العقيليين بزعامة ظالم بن موهوب تحت لواء الحسن ابن أحمد أثر كبير في ازدياد قواته وإحرازه النصر على خصمه (٤).

(١) ذيل تاريخ دمشق، ص ١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٣ ورقة ٩٠

(٣) المقرئ، اتعاظ الخنفا، ص ١٧٨

(٤) حسن إبراهيم وطه شرف، كتاب العزيزين الله، ص ١٠٩

لما أنتم الحسن بن أحمد بإعداد جيشه ، سار متجهاً إلى دمشق سنة ٥٢٦ هـ ليقضى على نفوذ الفاطميين في بلاد الشام ، وكان جنوده يحملون الأعلام السود وقد كتب عليها اسم المطيع عبدالكريم ، وتحت السادة الراجعون إلى الحق (١) ، مما يثبت لنا انحياز القرامطة إلى العباسيين وانصرافهم عن الدعوة الإسماعيلية التي كانت من أهم دعائم دولتهم في بلاد البحرين .

أما جعفر بن فلاح فإنه بعث في طلب الحملة التي أرسلها إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها (٢) ، وأخذ في التآهب لصد قوات الحسن بن أحمد ، لكنه رغم ذلك لم يكن يتوقع أن يهاجمه القرامطة بقوات ضخمة ، وسرعان ما اشتبكت هذه القوات مع جعفر بن فلاح في ناحية الدكة على مقربة من دمشق ، حيث دارت معركة انتهت الأمر فيها بهزيمة جعفر وقتله هو وكثير من أتباعه سنة ٥٢٦ هـ . وبذلك تمكن الحسن بن أحمد من الاستيلاء على دمشق .

على أن هذه الهزيمة التي حلت بالجيش الفاطمي في بلاد الشام ، ترجع على الأغلب إلى عدم إعداد جعفر بن فلاح القوات الكافية لصد القرامطة الذين عولوا على غزو هذه البلاد لاستعادة سلطانهم عليها . وكان يحسن بجعفر بن فلاح أن يبعث إلى جوهر الصقلي في مصر ليرسل إليه نجدة تعاونه في توطيد الحكم الفاطمي ببلاد الشام . يقول المقرئ (٣) : « فلما صارت الشام له (لجعفر بن فلاح) شمتت نفسه عن مكانة جوهر ، فأنفذ كتبه من دمشق إلى المعز وهو بالمغرب سراً من جوهر ، يذكر فيها طاعته ، ويقع في جوهر ، ويصف ما فتح الله للمعز على يده ، فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هي مختومة . وكتب إليه قد أخطأت الرأي لنفسك نحن قد

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة . ج ٤ ص ٧٤

(٢) المقرئ : اتعاظ الخفا ، ص ١٧٨

(٣) خطط ، ج ١ ص ٣٧٨

أنفذناك مع قائدنا جوهر ، فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ولا تتجاوز بعد ، فليستنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى أردته ، وإن كنت أهله عندنا ، ولكننا نستفسد جوهرنا مع طاعته لنا ؛ فزاد غضب جعفر بن فلاح ، وانكشف ذلك لجوهر ، فلم يبعث ابن فلاح لجوهر بشيء من أمره إلى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطى ، .

رأى الحسن بن أحمد بعد أن دخلت قواته بلاد الشام أن ينهج سياسة تنطوى على الرغبة فى التودد إلى أهالى هذه البلاد واكتساب ولائهم ، فأمن أهالى دمشق بعد أن تم له فتحها ، كما أقام الدعوة فى مساجدها للخليفة العباسى ، وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة . وقد لقي عمله هذا ترحيباً من أهالى هذه المدينة ، ويرجع السبب فى ذلك إنهم كانوا من السنيين المتطرفين فى عدائهم للشيعة والعلويين .

واصل الحسن بن أحمد سيره إلى الرملة بعد فتحه دمشق ليقضى على ما بقى للفاطميين من سلطان ببلاد الشام ، وكان يلى هذه المدينة سعادة بن حيان المغربى ؛ فلما علم بمسير القرامطة إليها اضطر إلى الرحيل عنها والفرار إلى يافا فتمهد بذلك السبيل لدخولهم الرملة (١) ، وأصبحت معظم بلاد الشام فى يدهم ، وأقيمت فيها الدعوة للخليفة العباسى ، يقول المقرئى : « وأقام القرامطة الدعوة للمطيع بالله العباسى فى كل بلد فتحوه وسودوا أعلامهم ، وأظهروا أنهم كأمرأه النواحي الذين من قبل الخليفة العباسى ، .

ولما تم للحسن بن أحمد الاستيلاء على كثير من مدن الشام ، زحفت جيوشه إلى مصر فى أواخر سنة ٣٦٠ هـ ، فهاجمت مدينة القلزم وتمكنت من دخولها وأسر واليها الأخشيدى عبد العزيز بن يوسف ، ولم تلبث أن تابعت سيرها فى الأراضى المصرية فى أوائل سنة ٣٦١ هـ ، فاستولت على عين شمس ، ثم تقدمت إلى القاهرة .

(١) انظر الحنقا ، ص ١٢٩

تأهب القائد الفاطمي جوهر الصقلي لصد زحف القرامطة منذ أزمعوا
المسير إلى مصر، فأعد جيشاً قوامه المغاربة والمصريون، كما حصن القاهرة
بمخندق عظيم حفره حولها (١). فلما هدد القرامطة هذه المدينة في ربيع الأول
سنة ٣٦١ هـ، أبدى الجنود المصريون الذين انضموا إلى جيش جوهر شجاعة
فائقة استرعت انتباه المؤرخين (٢)، فتمكنوا من الوقوف في وجههم،
وتفهم الحسن بن أحمد بجنده ورحل إلى الأحساء (٣)، وقد علق
المقريزي (٤) على هذه الهزيمة التي حلت بالقرامطة بقوله: « ولم يتفق على
القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة، وفيها فارقهم من
كان قد اجتمع إليهم من الكافورية والإخشيدية، فقبض جوهر على نحو
الآلاف منهم... »

ظل القرامطة قوة يخشى بأسها رغم انسحاب قواتهم في مصر في ربيع
الأول سنة ٣٦٦ هـ. وقد انتهز جوهر الصقلي فرصة رحيل الحسن بن أحمد
إلى الأحساء، فأنفذ جيشاً إلى يافا تمكن من إعادتها إلى حوزة الفاطميين.
على أن الحسن بن أحمد ما لبث بعد عودته إلى دمشق أن وجه اهتمامه إلى
استرداد نفوذه ببلاد الشام، ثم أخذ في التأهب للمسير إلى مصر، فأعد
حملة بحرية أرسلها إلى تنيس وسواحل مصر، كما جهز جيشاً ضم إليه عدداً
كبيراً من العرب (٥).

لما قدم المعز لدين الله الفاطمي من المغرب إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ واتخذ
القاهرة حاضرة لخلافته، وجه سياسته إلى مناهضة نفوذ القرامطة حتى

(١) المقريزي . خطط . ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨

(٢) Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages. p. 107.

(٣) المقريزي : أنماط الحنفا ، ص ٢٥

(٤) خطط : ج ١ ، ص ١٣٨

(٥) المقريزي : أنماط الحنفا ، ص ٢٥٠

يتيسر له توطيد أركان دولته في مصر والشام . فرأى أن يبعث إلى الحسن ابن أحمد بكتاب قبل أن يشتبك معه في الحرب لعله ينجح في إثارة الساخطين من القرامطة عليه وحمله على العدول عن موقفه العدائي من الفاطميين .

وقد أشار المعز في هذا الكتاب (١) إلى ما عرف عن القرامطة من حرص على التودد إلى الفاطميين ، كما أخذ على الحسن بن أحمد خروجه على هذه السياسة التي اتبعها أسلافه من أمراء القرامطة ببلاد البحرين ، فقال : « فإما أنت الغادر الخائن ، الناكث البائن ، عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرك ، ولا خفي عنى خبرك . أما كان لك بحمدك أبي سعيد أسوة ، وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا عباداً لنا أولى بأس وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض إليهم موادنا ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالساداة فسادرا ، منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم واستعلت همهم ، واشتد عزهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق وامتدت نحوم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد ، وأن يكونوا لبني العباس أضداد ؛ فعبثت الجيوش وسار إليهم كل خميس بالرجال المنجفة ، والعدد الممذبة والعساكر الموكبة ، فلم يلقيهم جيش إلا كسروه ، ولا رئيس إلا أسروه ، ولا عسكر إلا كسروه ، وألحظنا يرمقهم ، ونصرنا ياحقهم ، كما قال الله عز وجل (إِنَّمَا لِنُصْرَ رَسُولِنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، (وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ، وإن حز بنا لهم المنصورون . »

(١) القريري : تعاليفنا ، ص ٢٥٨ — ٢٦٥

« فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم . إلى أن اختارهم لهم ما اختاروه من قلمهم من دار الفناء إلى دار البقاء . ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وريحان وجنت النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب . »

وقد وضع المعز أيضاً في كتابه مدى انتشار الدعوة الفاطمية في كثير من أرجاء العالم الإسلامي ، وعاب على الحسن بن أحمد انصرافه عنها ، فقال « ومع هذا ، فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ، يأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا . وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، يبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الآسن ، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعندهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . وأنت عارف بذلك ، فيأبى الناكث الحادث ما الذي أرداك وحدك ؟ أشيء شككت فيه ، أم أمر استربت به ، أم كنت خلياً من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فإزالك وحدك ، وعن السيل ردك ؟ إن هي إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين . وأبى الله لقد كان الأعلى لجلك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجدك ، والأوسع لوفدك ، والأضر لعودك . والأحسن لعذك ، الكشف عن أحوال سلفك . وإن خفيت عليك ، والفقو لأنارهم ، وإن عميت لديك ، انجری علی سننهم وتدخل فی زمرهم ، وتسلك في مذهبهم . »

كذلك أظهر المعز في كتابه استيلاءه من إقامة الحسن بن أحمد الدعوة لبني العباس ، مع ما أصابها من وهن وضعف . فقال : « . . لم تقنع في انتكاسك وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك ، من خلافتك الآباء ومشيك الفمقري ، والنكوص على الأعقاب . والتسبي بالأنقاب . (٩٢ - ٩٣) »

بئس الاسم تمسوى بعد الإيمان ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ،
حتى انقلبت على زادبار ، وتحملت عظيم الأوزار . انقيم دعوة قد درست
ودولة قد طمست . إنك لمن العابرين . وإنك انى ضلال مبين . أم تريد أن
ترد القرون السالفة ، والأشخاص العارة . أما علمت أن المطيع آخر ولد
العباس ، وآخر المتأريين في الناس . أم تراهم (كأنهم أعجاز نخل خاوية ،
فهل ترى لهم من باقية) ختم والله الحساب . وطوى الكتاب . وعاد
الامر إلى أهله . والزمان إلى أوله . وأرفت الآزفة . ووقعت الواقعة ،
وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها . وجرى
بالملائكة والنبين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق . والملك
له الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

لم يفت المعز في كتابه أن يلوم الحسن بن أحمد على حشده القوات
لغزو بلاد الشام ، وقتله جعفر بن فلاح قائد الجيش الفاطمي وكثيراً من
جنده . كما عد له الأحداث التي ارتكبها أثناء هجومه على هذه البلاد من
استباحته الأموال وسبي النساء . فقال : « ثم لم يكفك ذلك - مع بلائك
وطول شقائك - حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك . وحشدت أوباشك
وأفلاسك (١) . وسرت قاصداً إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من
كتامة وزبيلة ، فقتلته وقتلهم جرأة على الله ورداً لأمره - واستباحت
أموالهم ، وسبيت نساءهم . ليس يدك ولا بينهم ترة ولا ثار ، ولا حقد
ولا أضرار ، فعل انى الأصفر والترك والخزر . ثم سرت أمامك ولم ترجع ،
وأقت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سمادة بن حبان في
زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعزل عنك إلى يافا ، مستدخياً شرك ، وتاركا

(١) ما خرج من خلق وملا . - حاشية رقم ٣ ، من ٢١٤ - كتاب

الغزاه بن الله !

حربك . فلم تزل ما كنتاً على نفسك باكرأ وصائباً . وغادياً ورائماً .
تقعد لهم بكل مفعد . وتأخذ عليهم بكل مرصعد وتقصدهم بكل مقصد ،
كأنهم ترك وروم وحزر . لا ينهك عن سفك الدماء دين ولا يردعك عهد
ولا يقين . .

وفي نهاية الكتاب عرض المعز على الحسن بن أحمد ثلاث خصال
ليختار منها واحدة يعمل على تحقيقها ، وهدده بسوء العاقبة . فقال : ونحن
معرضون ثلاث خصال والرابعة أرذى لك . وأشقى لبالك . وما أحسبك
تحصل إلا عليها . فاحتر : إما قدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتيساعك
بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان .
وردد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة
وخطام بعير -- وهى أسهل ما يرد عليك -- وإما أن تردهم أحياء في صورهم
وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم -- ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار -- وإما
سرت ومن معك بغير ذمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم
على إحدى ثلاث : إما قصاص ، وإما منا بعد ، وإما فداء ، فعمى أن يكون
تمحيصاً لذنوبك وإقالة لثرتك ؛ وإن أبيت إلا فعل اللعين : (فأخرج منها
فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) . أخرج منها فما يكون لك أن
تنسكب فيها ، وفيل اخسثوا فيها ولا تسكدهون فما أنت الا كشجرة خبيثة
اجتذت من فوق الأرض ما لها من قرار . فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ،
ولا ليل يحبك ، ولا نهار يكبك . ولا علم يسترك ولا فئة تهرك ،

لم يعدل الحسن بن أحمد بعد أن وصله كتاب المعز عن سياسته
التي تنطوى على مناهضة النفوذ الفاطمي ، بل أظهر عدم اكتراثه بتهديد
المعز له . وأساء في رده : فمكتب إليه : وصل كتابك الذي قل نحصيله

وكثير تفعله ونحن سائرون إليك على أثره والسلام (١) . ثم زحف إلى مصر سنة ١٣ هـ (٩٧١ م) وتوغلت جنوده في الأراضي المصرية ، كما تقدمت نفوذ الرئيسية من جيشه نحو القاهرة وعسكرت بالقرب من الخندق الذي حفره جوهر ولما علم المعز بنبأ وصوله هاله كثرة قواته ، فأشار عليه أهل الرأي من نصحاؤه بالسعى في تفريق كلمتهم ، فعمد إلى استمالة حسان بن الجراح الطائفي رئيس جند العرب الذين يعدون أقوى عناصر جيش الحسن بن أحمد . واتفقوا معه على أن يدفع إليه مائة ألف دينار على أن يتظاهر بالخزينة أمام جند الفاطميين (٢) . وكان هذا المبلغ كافياً لحمل بنى طيء على الانصراف عن حليفهم الحسن بن أحمد ؛ فلما دارت الحرب بين الفريقين ، تقهر حسان بن الجراح أمام قوات المعز ، فآدى ذلك إلى هزيمة الحسن بن أحمد وارتداده إلى الشام (٣) ؛ وأسر الفاطميون نحو ألف وخمسمائة من القرامطة .

وقد رأى المعز رغم نجاح قواته في صد هجمات القرامطة عن مصر أن ينفذ حملة بقيادة أبي محمود بن جعفر بن فلاح لمطاردة جيش القرامطة في الشام ، حتى لا يعاود المسير إلى مصر ؛ فلفحت بهم في أذرع (٤) . أما الحسن بن أحمد فإنه بعد أن وصل إلى دمشق ، ترك بها أبا المنجا القرمطي والياً عليها من قبله وورخل مع بعض رجاله إلى الأحساء (٥) .

انجحت سياسة المعز بعد أن عجز الحسن بن أحمد عن الاستيلاء على مدينة القاهرة للمرة الثانية واضطراره إلى التقهقر بجيوشه إلى القضاة على

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٢١١

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٢١١

(٣) التورى : نهاية الأرب ، ج ٢٣ - ورقة ٩٧

(٤) أذرع : مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٢١١

ما بقي للفراطة من نفوذ ببلاد الشام ؛ وتعميقاً لهذا الغرض ، رأى أن يستعين ببني الجراح من بني طيء على استرداد هذه البلاد ، كما قرب إليه ظالم بن موهوب العقيلي بعد انصرافه عن تأييد الحسن بن أحمد ، وأسند إليه ولاية دمشق (رمضان سنة ٣١٣ هـ) ؛ فقبض على واليها أبي المنجاء القرطبي وعلى كثير من أتباعه الفراطة ، وبذلك تم استعادة سلطان الفاطميين على بلاد الشام (١) .

لم تستقر الأمور في دمشق بتقلد ظالم بن موهوب العقيلي ولايتها ؛ فقد أرسل المعز جيشاً من المغاربة بقيادة أبي محمود بن جعفر ليعارنه في المحافظة على الأمن ، ولصد الفراطة إذا ما حاولوا العودة إلى بلاد الشام ، ولكن هؤلاء المغاربة ما لبثوا أن انصرفوا إلى العبث والفساد وقطع الطريق بما أدى إلى تدمير أهالي دمشق واشتباكهم مع جند الفاطميين في بعض المعارك . ولا شك أن هذه الأحداث تعد من أكبر الصعاب التي واجهت ظالم بن موهوب ، فاضطر إلى الخروج بنفسه لإخماد حركات المغاربة . يقول ابن القلانسي (٢) : « فلما شاهد (ظالم بن موهوب) انهزام الناس والمغاربة في أثرهم ، استدعى رحمه وعبر الجسر ومعه فرقة من أصحابه وحمل على أوائل المغاربة ، فردد عن أحداث البلد ، . على أن ظالم بن موهوب لم يحظ برضاء أي فريق من الفريقين المتنازعين بدمشق ، وما لبث أن عزل في ربيع الآخر سنة ٣١٤ هـ وخلفه جيش بن الصمصامة الذي اشترك مع ابن أخته القائد أبي محمود بن جعفر في إدارة أمور دمشق (٣) .

لم تتمتع دمشق طويلاً بالهدوء مما ساعد على عدم استقرار الحكم الفاطمي فيها ، فقامت الفتنة من جديد بين أهالي هذه المدينة وجند المغاربة

(١) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٩٠

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ص ١٠٥

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٢١١ - ٢١٢

ونتيجة عنها إثارة الاضطراب بين الناس . وتخريب المنازل وإغلاق الطرق ووقف حركة البيع والشراء ، كما توفي كثير من الفقراء على قارعة الطريق بسبب الجوع والبرد .

لما وصل إلى المعز لدين الله نبأ الاضطراب الذي حدث بدمشق ثبت لديه أن هناك صعوبات تواجه حكمه في بلاد الشام . ومن ثم عول على إقرار النظام فيها ، فبعث في طلب ريان الخادم واليه على طراباس وعهد إليه بدراسة الحالة في دمشق ، وقع الفتن التي ثارت بين أهالي هذه المدينة وبين جند المغاربة ، كما قلده ولايتها بعد عزل القائد أبي محمود بن جعفر الذي سار في جماعة قليلة من العسكر إلى الرملة (١) . وقد بذل ريان الخادم جهده في تهدئة الحالة في دمشق والتوفيق بين أهلها وجند المغاربة .

(ب) حركة أفتكين التركي : أدت الاضطرابات التي سادت مدينة دمشق في أواخر عهد المعز إلى إضعاف الحكم الفاطمي فيها . وقد مهدت هذه الحالة السيل لدخول فريق من الأتراك بزعامة أفتكين (٢) بلاد الشام واستقرارهم بها . وبذلك واجه الفاطميون عنصراً جديداً لعب دوراً هاماً في مناهضة نفوذهم في هذه البلاد .

سار أفتكين التركي من بغداد قاصداً بلاد الشام مع فريق من جنده بعد انهزامه في المعركة التي دارت بين الأتراك والديلم ، فخرج إليه ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك ليحول دون تقدمه في هذه البلاد ، وأرسل إلى القائد أبي محمود بن جعفر أمير دمشق يخبره بقدوم أفتكين التركي وأنه

(١) ابن الأثير . ج ٨ ص ٢١٢

(٢) بدأ أفتكين (أبو منصور الترك العمري) عهده في خدمة معز الدولة أحمد بن بويه ، وما زال يثق في الناصب حتى ولي قيادة جند الأتراك في بغداد في أيام عز الدولة بختيار أمير بني بويه بال عراق (٣٥٦ - ٤٣٦٧) .

القرنزي خطه ، ج ١ ص ٩

بزمع السير إلى دمشق لإقامة الخطبة للخليفة العباسي . وحذره منه ؛ فأنقذ إليه جيشاً ليعارنه في محاربته .

على أن أفتكين ما لبث أن استنجد بالحمدانيين في حلب ، فأمدّه سعد الدولة أبو المعالي بن سيف الدولة الحمداني (٣٥٦ - ٣٧١ هـ) بجند كثير واستقبله في حصن بالحفارة والتكريم ؛ واضطر ظالم بن موهوب إلى العودة إلى بعلبك دون أن يشترك في حرب .

وقد انتهز بعض العناصر الثائرة بدمشق فرصة قدوم أفتكين إلى بلاد الشام ، فبعثوا يستدعونه من حصن ووعدوه بمعاونته في إخراج الحامية الفاطمية في دمشق ؛ كما أن شيوخ هذه المدينة وأشرافها رحبوا بقدوم أفتكين حين بلغهم أنه في طريقه إليها ، وخرجوا لمقابلته ، وطلبوا منه أن يتولى الحكم في بلادهم لينقذهم من الفاطميين الذين يخالفونهم في المذهب الديني ؛ فأظهر استعداداه لإجابة طلبهم ؛ وتعهده له شيوخ دمشق بمعاونته وأن يكونوا في طاعته . أما أفتكين فتعهد بمجابتهم وكف الأذى عنهم ، ثم دخل دمشق في شعبان سنة ٣٦٤ هـ وأخرج منها واليها ريان الخادم ، وأمر بذكر اسم الخليفة العباسي الطائع في الخطبة بدلاً من المعز لدين الله الفاطمي (١) .

رأى أفتكين رغم نجاحه في الاستيلاء على دمشق وقضائه على نفوذ الفاطميين فيها أن يستميل المعز لدين الله لاعتقاده أن قواته ستعاود الهجوم على بلاد الشام لتوطيد سلطانه عليها ؛ فكتب إليه رسالة على سبيل التوبيخ والالتقياد له والطاعة لأوامره ؛ فبعث إليه المعز يدعو للحضور إليه لينخلع عليه ويقره على ولايته ؛ لكن أفتكين لم يجبه إلى طلبه لعدم وثوقه بما وعده به (٢) ، خشية تعرضه لمكيدة يدبرها له الخليفة الفاطمي وخاصة أنه

(١) ابن الأثير . ج ٨ ، ص ٢١٧ - ٢١٨

(٢) ابن الفلاس . ذيل تاريخ دمشق ؛ ص ١٢

حارب ولاية الفاطميين في حمص وانتصر عليهم . كما طردوا اليهم على دمشق .

لم يكتف أفتكين باستيلائه على دمشق ، بل رأى أن يبسط نهوذه على مدن الشام . فانجه إلى صيدا حيث اشتبك مع واليها من قبل المعز في معركة انتهى الأمر فيها بهزيمة هذا الوالي ، ثم قصد عكا ، ومنها توجه إلى طبرية وعاد إلى دمشق بعد تغلبه على قوات الفاطميين بهذه المدن .

لما فرغ العزيز بالله الفاطمي من توطيد سلطته بمصر بعد أن آلت إليه الخلافة في ربيع الآخر سنة ٢٦٥ هـ ، وجه اهتمامه إلى استرداد بلاد الشام ، واستشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل لتحقيق هذه الغاية . فأشار عليه بأن يعهد إلى جوهر الصقلي بقيادة جيش يزحف به إلى دمشق . فلما علم أفتكين بمسيره ، خشى من الأخطار التي قد نهدق بأهل دمشق من جراء هجوم الجيش الفاطمي على بلدهم . فاجتمع بهم وأظهر لهم استعدادده للرحيل عن دمشق حتى لا يلحقهم أي أذى بسببه . فأكدوا له حرصهم على التمسك ببقائه معهم بقولهم : « لا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الأموال في هواك وننصرك » ، فعدل أفتكين عن مفادرة دمشق وأعد العدة لمواجهة قوات الفاطميين ؛ فلما وصل جوهر إلى دمشق على رأس هذه القوات في ذي القعدة سنة ٢٦٥ هـ ، حاصر المدينة ، وأبدى أفتكين شجاعة فائقة في محاربتة ؛ غير أن جند الفاطميين من المغاربة ظلوا فترة طويلة يحاصرون دمشق مما أدى إلى تدمير أهلها ، فأشاروا على أفتكين بمكانة الحسن بن أحمد زعيم القرامطة ببلاد البحرين . فكتب إليه يستجده ، فسار إليه من الأحساء (١) .

رأى جوهر الصقلي بعد أن وصله خبر قدوم القرامطة أنه لا قبل له

(١) ابن الأثير ٧٠٠ ص ٢١٨

مواجهة عدوين. لذلك اضطر إلى رفع الحصار عن دمشق وقصد الرملة؛ غير أنه لم يكد يصل إليها حتى سار في أثره الحسن بن أحمد وأفتكين. وكان ذلك عامه على الرحيل إلى عسقلان. ولما اشتدت به الحال وندر وصول الأقوات والمؤن إليه، أرسل إلى أفتكين يطلب منه المهادنة، كما أبدى رغبته في مقابلته، فرحب بلقائه. ولما اجتمع به جوهر قال له: قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وقد طالت هذه الفتنة وأريقَت فيها الدماء ونهبت الأموال ونحن المأخوذون بها عند الله تعالى، وقد دعوتك إلى الصلح والطاعة والمواظقة وبذلت لك أرغائب فأييت إلا القبول من يشب نار الفتنة، فراقب الله تعالى وراجع نفسك، وغلب رأيك على هوى غيرك؛ فأجابه أفتكين بقوله: «أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك، لكنني غير متمكن مما تدعوني إليه بسبب القرههلى الذى أحوجتني أنت إلى مداراته والقبول منه (١)».

ظل جوهر يلح على أفتكين في طلب الصلح، حتى أجابه إلى طلبه على أن يؤدي إليه مالا معيناً، ويخرج من تحت سيفه وريح الحسن بن أحمد، فرجوهر من تحتهما وهما معلقان على باب عسقلان وسار قاصداً القاهرة (٢)، وهو على يقين من أنه قد تعرض للإهانة والمذلة بسبب هذا الصلح الذى سعى إليه مضطراً. وكان يأمل أن تتاح له الفرصة ليعود مرة ثانية إلى بلاد الشام فيقضى على أفتكين وحلفائه القرامطة.

لما وصل جوهر إلى مصر أوضح للخليفة العزيز حقيقة الحال في بلاد الشام وما أصاب سلطان الفاطميين فيها من ضعف وانحلال، فاستقر رأى الخليفة الفاطمى على الخروج بنفسه لاستعادة نفوذه على هذه البلاد، وسار على رأس جيش كبير، وجعل جوهر على مقدمته (٣).

(١) ابن الأثير ج ٨ ص ٢١٨

(٢) ابن الأثير - دبل تاريخ دمشق، ص ١٧، القريبى - حطاط ج ٢، ص ١٠

(٣) ابن الأثير ج ٨ ص ٢١٩

أعد كل من أفتكين والحسن بن أحمد القرمطي العدة لمواجهة زحف الجيش الفاطمي على بلاد الشام . فحشدا جموعاً كثيرة من العرب وغيرهم . وعادا إلى الرملة حيث دار القتال بين الفريقين في المحرم سنة ٣٦٧ هـ . وقد شاهد العزيز في هذه الحرب من شجاعة أفتكين ما أعجبه ، فأرسل إليه يدعو إلى طاعته ، ويوعده بأن يقلده الولايات ويجعله مقدم عسكريه ومستشاره في دولته ، كما طلب منه أن يحضر لمقابلته . فقال أفتكين لرسول العزيز : قل لأمير المؤمنين لو قدم هذا القول لسارعت وأطعت وأما الآن فلا يمكن إلا ما ترى . ثم واصل السير لمحاربة الفاطميين ، فأوقع العزيز الهزيمة بقواته ، ومضى أفتكين هارباً ، ثم سبق إلى القاهرة مع بعض أنصاره من الأتراك حيث عفاه عنه الخليفة وعامله معاملة قوامها العطف والرعاية ، وخصص له داراً لإقامته (١) .

أما الحسن بن أحمد ، فإنه سار منهزماً إلى طبرية (٢) حيث لحق به رسول العزيز الذي دعاه إلى مقابلة الخليفة ووعد به بأنه سيكون موضع رعايته . فلم تلق هذه الدعوة قبولا منه (٣) ثم رحل إلى الأحساء مع أنصاره من القرامطة بعد أن اتفق معه العزيز على يدفع له تعويضاً سنوياً قدره عشرون ألف دينار طيلة حياته (٤) .

وهكذا فشلت الحركة التي أثارها أفتكين التي في بلاد الشام ، كما زال نفوذ القرامطة في هذه البلاد واضطروا إلى الجلاء عنها ، مما سهل على الفاطميين استعادة دمشق إلى حوزتهم .

(١) للقرنبي . خطط ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٢) ابن خلدون : ج ١ ، ص ٩١ .

(٣) ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢١٩ .

Gaston Wiet, Histoire de La Nation Eoyptienne. Vol. 4. P.(٤)

٣ — موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين

(١) بنو الجراح في فلسطين :

حاول بنو طي^١ بفلسطين في أواخر القرن الرابع الهجري تكوين دولة لهم والاستقلال عن الخلافة الفاطمية ، فثار بالرملة سنة ٢٨٨ هـ زعيمهم مفرج بن دغفل بن الجراح ، فأرسل برجوان الوصي على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى فلسطين حملة بقيادة جيش بن الصمصامة ، فسار إلى الرملة واستولى عليها وأخضع ثوارها ، وطارد مفرج بن الجراح وقواته حتى طلب الأمان والصالح ، فعفا عنه وأمنه (٤) ، ثم عادت الفتنة بفلسطين سنة ٤٠٠ هـ عندما اتهم الحاكم بأمر الله على آل المغربي بمصر ، ففر الوزير أبو القاسم حسن على بن المغربي (٢) إلى حسان ابن مفرج بن دغفل بن الجراح أمير طي^١ بالرملة ، وحسن له خلع طاعة الحاكم ، فزحف حسان إلى الرملة واستولى عليها وقتل واليها من قبل الفاطميين وعاث فيها فساداً .

اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١ هـ على استدعاء أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني أمير مكة ليبياعوه بالخلافة (٣) ، فأوفدوا إليه الوزير أبا القاسم بن المغربي ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله (٤) ، فلما قدم هذا الوزير مكة ، أطمع أميرها أبا الفتوح في الرئاسة وحرضه على طاب الخلافة ، كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذي سيكون خير عون له على تثبيت سلطته ، فرحب الأمير أبو الفتوح بهذه

(١) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٤١ .

(٢) كان هذا الوزير نافعاً على الحاكم بأمر الله لندره بأبيه وأعماله .

راجع : كتاب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (المؤلف) ، ص ١٧ .

(٣) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٥٧ .

(٤) للقرنزي : خطط ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ٢٨٧ .

الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، ثم سار من مكة قادماً الرملة وبصحبته أبي القاسم بن المغربي وبعض أنصاره من القبائل العربية ، فلما اقترب من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجهه العرب بالترحاب وترجلوا له وبأيعوه بالخلافة ، ونزل أبو الفتوح في دار حسان ونظى في الناس بالأمان ، وأقيمت له الخطبة في كثير من بلاد الشام (١) .

لما وصل إلى الحاكم بأمر الله نيا خروج أبي الفتوح أمير مكة عليه ومبايعة بني الجراح له بالخلافة ، بعث حملة إلى فلسطين للقضاء على هذه الحركة ، غير أن هذا الحملة حلت بها المذبذبة واستفحل تفوذ بني الجراح ، وبسطوا سلطانهم على جنوب بلاد الشام ، فعمد الخليفة الحاكم بأمر الله إلى استمالة حسان وأبيه مفرج وغيرهم من بني عليء بالأموال التي بذلها لهم ، فأنحرف بنو الجراح عن الأمير أبي الفتوح بعد أن بأيعوه بالخلافة . ولما أحسن أبو الفتوح بخذلانهم إياه وعدوهم عن رأيهم في العمل على تقوية تفوذه ، ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بانصراف أولاده عن تأييده . وقال له : « أريد أن تبعث معي من يوصلني إلى مكة ولا تخرجني » . فبعث معه جماعة من بني عليء ، ولم يزلوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ هـ ، فتلقاه أتباعه ، وكانت الحاكم واعتذر إليه ، فقبل عذره وعفا عنه ، وأعادته إلى إمارته بمكة (٢) . وعمل الأمير أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم بأمر الله ، كما نقش اسمه على السكة (٣) .

(١) عبد القادر الأنصاري : درر الفرائد المنظمة ، ج ١ ص ١٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٤٧٣ ، عبد القادر الأنصاري : درر الفرائد المنظمة ، ص ٢٠٨ .

(٣) القرطبي : خطط ، ج ٧ ، ص ٧٧٨ .

راجع كتاب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (للزلف) ص ١٧ — ٢١ .

ظل بنو الجراح متغلبين على بعض نواحي جنوب بلاد الشام حتى سنة ٤٠٤ ، ولم يتوان الفاطميون عن قتالهم خلال تلك الفترة ، فجهز الخليفة الحاكم العساكر إلى الشام بقيادة علي بن جعفر بن فلاح ، فقصده الرملة وهزم حسان بن مفرج وقومه الطائيين ، واستولى على أموالهم وذخائرهم ثم سار إلى دمشق ، فاستولى عليها وتولى إمارتها (١) .

ضعف شأن بنو الجراح بفلسطين بعد الهزيمة التي حلت بهم في أواخر عهد الحاكم بأمر الله واستعاد الفاطميون نفوذهم بهذا الإقليم ، وظل الحال على ذلك حتى ولي الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة ، فحاول حسان ابن الجراح استرداد سلطانه بالرملة ، ومالبت أن حشد جموعه وهاجمها ونهبها ولم تقف أطماعه عند هذا الحد بل عمل على الاستقلال بفلسطين ، وتحقيقاً لهذه الغاية عقد اتفاقاً سنة ٤١٥ هـ مع صالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان أمير السكبيين يتضمن أن تتحد قوام جميعاً لإخراج الفاطميين من بلاد الشام وتقسيمها بينهم على أن يكون من حلب إلى عانة على نهر الفرات لصالح بن مرداس ، ومن الرملة إلى حدود مصر لحسان أمير الطائيين ، ودمشق وما يحيط بها لسنان بن عليان وعشيرته (٢) . وقد أطلع هؤلاء الأمراء الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني على هذا الاتفاق وطلبوا معاونته لكنه لم يحب طلبهم (٣) .

لما رأى الخليفة الظاهر الفاطمي الخطر الذي يهدد سلطان الفاطميين ببلاد الشام من جراء ذلك الاتفاق الذي عقده بعض زعماء العرب ، جهز

(١) ابن الأثير . ج ١ ، ص ١٣ ، ابن خلدون . ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) يحيى بن سعيد الأنطاكي . صلة التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ج ٢ ،

ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

Gaston Wiet. Histoire de La Nation Egyptienne. Vol 4. P. (٣)

216 - 217.

جيشاً سنة ٤٢٠ هـ لمحاربة هذه القوتين المتحالفة . . أسيد قيادته زانوشتكين الدزيري (١). وقد تمكن القائد طحى من إخضاع الحزمية بقوات حلف عرب الشام عند طبرية ، وقتل صالح بن مرداس ، وهرب حسان بن الجراح الطائى إلى الإمبراطور البيزنطى ليبحثى فى بلاطه . وبهذا النصر استرد الفاطميون البقاع الجنوبية والوسطى من سورية ، أما حلب فظلت بيد نصر بن صالح بن مرداس الذى تلقب بشبل الدولة (٢).

(ب) الحمدانيون والمراديون فى شمال الشام :

كذلك واجه الفاطميون عدة صعوبات فى سبيل بسط سيادتهم على شمال بلاد الشام حيث أقام الحمدانيون دولتهم فى حلب وكان هؤلاء الحمدانيون يخشون ازدياد نفوذ الفاطميين السياسى ، فلما دعاهم جعفر بن فلاح - بعد أن تم له فتح دمشق - إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمى على منابر بلادهم ، وهددهم بالاستيلاء على حلب ، أثار هذا التهديد سخطهم ، وعملوا على مساعدة القرامطة ليقتضوا على نفوذ الفاطميين ببلاد الشام (٣).

على أن الحمدانيين لم يكونوا من القوة بحيث يستطيعون الوقوف فى وجه الفاطميين ، ففى عهد سعد الدولة بن سيف الدولة (٣٥١ - ٣٨١ هـ) بدأ الضعف يظهر فى الدولة الحمدانية فى حلب ، فثار عليه قرعويه - أحد أتباع أبيه - واستولى على حلب ، وحال دون دخوله إليها ، فقصد سعد الدولة حمص وآثر البقاء بها وانحاز إلى جانب الفاطميين وأقام الخطبة الممعة لدين الله الفاطمى (٤). ثم وجه اهتمامه إلى استرداد حلب ، فسار إليها على رأس

(١) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ١٢٨ .

(٢) تاريخ يحيى : ص ٢٤٨ : تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص

٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٣) حس إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٩٧ - ٢٠٢ .

جيش من العرب من بني كلاب وغيرهم وتمكن من استعادة سلطانه عليها بعد أن ظل يحاصرها أربعة أشهر ، وأسند ولاية حمص إلى غلامه بكجور التركي سنة ٣٦٦ هـ (١).

عز الدولة لم يتمتع بالطمأنينة ، فشغل بمحاربة بكجور الذي كتب إلى العزيز بالله الفاطمي يطلب إليه أن يوليّه دمشق ، وينجده بقوة يستعين بها في الاستيلاء على حلب ، فأجاب الخليفة الفاطمي طلبه سنة ٣٧٣ هـ ، وسار بكجور إلى هذه المدينة وحاصرها ، لكنه اضطر إلى الارتداد عنها أمام قوات الروم التي استعان بها سعد الدولة الحمداني ، وعاد إلى دمشق ليتولى إمارتها . غير أنه عامل أهلها معاملة تنطوي على العنف والشدة مما جعلهم يتذمرون من حكمه ، كما أضمر له الوزير الفاطمي يعقوب ابن كلس العداء لتسكيكه باتباعه ، فصار يحول دون تحقيق رغباته ، ثم أشار على العزيز بعزله ، فأجاب طلبه بعد أن بلغه سوء سيرته في دمشق ، ورحل بكجور إلى الرقة (على نهر الفرات) حيث طلب من سعد الدولة الحمداني أن يعيده إلى ولاية حمص ، فلم يظفر منه بشيء (٢).

ظل بكجور أثناء إقامته بالرقة يواصل جهوده للاستيلاء على حلب ؛ فراسل جماعة من عماليك سعد الدولة الحمداني ، واستياهم إليه ، فأظهروا له ترحيبهم بقدمه إلى حلب . كما أخبره بأن سعد الدولة منشغل بملاقاته عن تدبير شئون دولته ؛ فعزم بكجور على انتهاز هذه الفرصة لتحقيق أطاعه ، ورأى أن يستعين بالفاطميين لعله يظفر بتأييدهم ؛ فأرسل إلى العزيز بالله يطلبه في حلب ويقول له : « إنها دهليز العراق ، ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها » ، كما طلب منه أن ينفذ إليه مجدة من جنده ؛ فعمل

(١) ابن الفلاس . دبل تاريخ دمشق ، ص ٢٧ — ٢٨

(٢) ابن الأثير ج ٩ ، ص ١٩ — ٢٠ ، ٢٩ .

"عزيز على تلبية طلبه^(١) . وأرسل إلى واليه بطرابلس بأن يكون على أهبة الاستعداد للمسير إليه لمساعدته^(٢) .

لما علم سعد الدولة الحمداني بوصول بكجور إلى حلب . بعث إلى باسيل الثاني امبراطور الروم . يخبره بخروج بكجور عليه ويطلب منه النجدة . فأرسل باسيل إلى واليه بأنطاكية يأمره بمعارفته^(٣) ، وقامت الحرب بين بكجور وعاونه المغاربة والعرب ، وسعد الدولة الذي استعان بالروم والديلم والأتراك وبعض العرب من بني كلاب . ولم يحن ثمرة هذه الحرب غير الفاطميين والروم .

استقر رأي سعد الدولة الحمداني بعد وقوفه على ما أصاب دولته من جراء المنازعات الداخلية على إزالة عوامل الخلاف بين جند الحمدانيين وتوحيد صفوفهم ؛ فكتب إلى غلامه بكجور التركي بأن يمتنع عن مناواته ، ويعدده بإقطاعه الأراضي الممتدة بين حمص والرقّة . لكنه أيّ إلا القتال ؛ فدارت الحرب بينهما سنة ٣٨١ هـ ، وحلت به الهزيمة وقتل ؛ واستولى سعد الدولة على أمواله^(٤) .

لم تكن علاقة سعد الدولة الحمداني بالخليفة العزيز بالله الفاطمي على شيء من الصفاء ، فقد أساء سعد الدولة معاملة رسول هذا الخليفة - حين قدم إليه حاملاً رسالة منه يحذره فيها من إلحاق الأذى بأبناء بكجور - وقال له : عد إلى صاحبك وقل له : لست ممن تخفي أخبارك عنه وتمويهاتك عليه ، وما بك حاجة إلى تجهيز للعساكر إلى ، فإن سائر إليك ليكون اللقاء قريباً منك ، وخبري يأتيك من الرملة^(٥) . ولم يمض على ذلك غير قليل

(١) ابن الأثير . ج ٩ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) Cambridge Mediaeval History. Vol. 4 p. 147.

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

حتى توفي سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ وخلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل — وكان قد عهد إليه قبل وفاته وأوصى لؤي الخادم به^(١).

حاول الفاطميون الاستيلاء على حلب في أيام سعيد الدولة ، فأسند الخليفة العزيز ولاية الشام إلى منجوتكين التركي ، وعهد إليه بقيادة الجيش الذي أعده لفتح حلب ؛ فسار منجوتكين إلى دمشق سنة ٣٨٣ هـ ، وبعد أن نظم شئونها خرج منها إلى حلب^(٢).

ولما علم سعيد الدولة بزحف الجند الفاطمي على الشام بقيادة منجوتكين ، استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثاني ، فأرسل هذا الإمبراطور إلى قائده بأنطاكية يأمره بمحاربة الفاطميين وردهم عن حلب ، وعلى الرغم من انتصار منجوتكين على الروم فإنه لم يتمكن من دخول حلب ، بل ارتد إلى دمشق بسبب نفاد القوات ؛ غير أن الخليفة العزيز ما لبث أن أمره بالسير إلى حلب وأرسل الجيوش لحصارها من جديد ، كما أنفذ القوات إلى طرابلس^(٣).

رأى سعيد الدولة أبو الفضائل لؤي الخادم بعد أن اشتد الحصار عليهما بحلب أن يرسل للمرة الثانية إلى إمبراطور الروم يطلبان منه النجدة ، كما خوفاه من سقوط حلب في يد الفاطميين بقولهما : « متى أخذت حلب ، أخذت أنطاكية ، ومتى أخذت أنطاكية ، أخذت قسطنطينية^(٤) » ؛ فسار باسيل الثاني بنفسه إلى بلاد الشام ونزل على حصن شـيزر على مقربة من حماه ، فاستولى عليه ، ثم سار إلى حمص ففتحها عنوة ، وتابع سيره إلى طرابلس ، لحاصرها . ولما تعذر عليه فتحها رحل عائداً إلى أنطاكية ومنها إلى

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٢١٦—٢١٧ .

(٢) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٣١ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٩—١٢٠ .

القسطنطينية (١).

عجز الفاطميون في عهد الخليفة العزيز بالله عن الاستيلاء على حلب ؛ ذلك أن إمبراطور الروم حين سار بقواته تلبية لدعوة سعيد الدولة أبي الفضائل الحمداني ، أرسل لؤاؤ الخادم إلى منجوتسكين القائد الفاطمي ، يحذره من زحف الروم على شمال الشام بقوله : « إن الإسلام جامع بيني وبينك وأنا ناصح لكم ، وقد وافاكم ملك الروم بمجنوده ، فخذوا لأنفسكم » ، فعدل منجوتسكين عن مهاجمة حلب وعاد إلى دمشق (٢).

لما وقف العزيز على مدى تقدم الروم في بلاد الشام ، وبلغه عودة منجوتسكين منزمًا إلى دمشق ، عظم ذلك عليه ، واستقر رأيه على أن يسير بنفسه لفتح حلب وصد قوات الروم ، فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره عيسى ابن نسطورس بإنشاء أسطول يسير بجرأ إلى طرابلس. ولم يكف يتم إعداد هذا الأسطول حتى اشتعلت فيه النيران في ميناء المقس ، وأحرقت منه ستة عشر مركبًا. وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في نفوس المصريين والمغاربة ؛ فثاروا ببعض تجار الروم الذين وفدوا إلى البلاد المصرية قبل ذلك بقليل وقتلوا فريقاً كبيراً منهم حين ثبت لديهم أنهم دبروا مؤامرة إحراقه. وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التي حدثت بالقاهرة بسبب إحراق الأسطول ، وأشار على عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول آخر ، فلبى هذا الوزير رغبته ، وشرع في جمع الأخشاب ، وأمر الصنائع بالإسراع في إنجازه. ولما تم بناؤه ، أبحر إلى أنطوطوس (٤) لنجدة القائد الفاطمي منجوتسكين ؛ غير أن معظم سفنه لم تلبث أن تحطمت بالقرب من

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ١٦٦ ، أبو الحسن ، ج ٤ ، ص ١٢٠ — ١٢١
Cambridge Mediaeval History, Vol., 4. P. 147.

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٠.

(٣) ابن الأثير . ج ٩ ، ص ٣١ .

(٤) من أعمال طرابلس بلبنان وتقع على ساحل البحر .

طرا بلس عنى أثر هبوب عاصفة عليها ، وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصرى (١) . أما الحملة البرية . فخرج على رأسها الخليفة العزيز إلى بلبيس فى طريقه إلى بلاد الشام ، لكن المرض اشتد عليه فجأة ، فتخلف بها وتوفى سنة ٣٨٦ هـ (٢) .

على الرغم من أن سعيد الدولة أبا الفضائل الحمدانى قد نجح فى إبعاد خطر الغزو الفاطمى عن بلاده فى عهد العزيز بالله ، فإن الأمور لم تستقر له فى حلب ، فقد واجه منافسة مولاة لؤلؤ الذى طمع فى الاستئثار بحكم حلب وقتله ، وانتزع الولاية لنفسه من ولديه أبى الحسن على وأبى المعالى شريف وحكم باسمهما . ولم تقف أطماع لؤلؤ عند هذا الحد ، بل عمل على نقل الحكم إلى أسرته ، فأرسل ولدى سعيد الدولة مع سائر أفراد البيت الحمدانى إلى القاهرة (٣) . وأخذ يتقرب إلى الفاطميين ليتقى خصومهم ، فأمر بحذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة ، وأعلن طاعته للخليفة الحاكم بأمر الله ، وأقام الدعوة له فترة من الوقت (٤) .

لما توفى لؤلؤ سنة ٣٩٩ هـ ، خلفه ابنه منصور ، فاعترف بسُلطان الخليفة الحاكم بأمر الله ، وأقام الدعوة له بحلب سنة ٤٠٢ هـ ، ولقبه بهذا الخليفة مرتضى الدولة (٥) ، وبذلك امتد نفوذ الفاطميين إلى حلب مما مهد لهم أمر القضاء على سلطنة الحمدانيين فيها (٦) .

لم يتمتع منصور بن لؤلؤ طويلا بإمارة حلب ، فقد عمل أهالى هذه

(١) تاريخ يحيى بن سعد الأنطاكي ، ص ١٧٨ ، القرىزى : خطط ، ج ٢ ، ص ١٩٥

— ١٩٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٢٢ .

(٣) المسكين بن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٢٧١ .

(٥) ابن الأثير : ج ١ ص ٧٨ .

(٦) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ص ٢١٧ .

المدينة على التخلص منه لكثرة عسفه بهم ، كما قامت الحرب بينه وبين بني كلاب . وكان قد وعدهم بتوزيع بعض الإقطاعات عليهم ، لكنه ما ظلمهم ولم يف بوعوده لهم . ولما عجز منصور عن الاحتفاظ بسلطانه في حلب رحل عنها إلى أنطاكية ، فسهل بذلك على نواب الحاكم دخول حلب والاستيلاء عليها ؛ وظلوا يتناوبون الحكم فيها حتى أسند هذا الخليفة ولايتها سنة ٤٠٧ هـ إلى أمير من بني حمدان يدعى عزيز الملك فأنك ، وابقه أمير الأمراء (١) ، فظل يلى أمورها حتى توفي الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ وخلفه ابنه الظاهر ، فاستأثر في عهده بالحكم في حلب ؛ غير أنه لم يلبث أن قتل على يد غلام له يسمى بدر الذي استولى على حلب ثم سلمها فيما بعد إلى الخليفة الظاهر ؛ وبذلك زال سلطان الحمدانيين في الشام .

لم يتيسر للفاطميين توطيد سلطانهم في حلب في عهد الخليفة الظاهر ، فقد ظهر مناوئ جديد لهم ، وهو صالح بن مرداس أمير بني كلاب الذي تمكن من الاستيلاء على هذه المدينة سنة ٤١٤ هـ من يد حكامها الفاطميين ، كما دخل قلعها بعد حصار طويل (٢) ؛ وظل يتولى حكمها حتى سنة ٤٢٠ هـ حيث أعدله الخليفة الظاهر جيشاً كبيراً لقتاله وقتال بعض أمراء العرب بالشام الذين تحالفوا معه ضد الفاطميين على اقتسام بلاد الشام فيما بينهم . وقد تمكن الجيش الفاطمي من التغلب على قوات هؤلاء الخلفاء في معركة دارت بالقرب من طبرية ، قتل فيها صالح بن مرداس (٣) ؛ وبذلك أتيح للفاطميين استعادة نفوذهم في حلب . على أن هذا النفوذ لم يكن مستقراً بسبب تطلع المرداسيين إلى استرداد هذه المدينة . وقد تجلت مطامعهم في ولايتها

(١) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٩ .

(٢) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٩ .

(٣) Hitti, History of Syria P. 580.

(١) ابن المديم الحلبي : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ص ٢٢٧ .

فما قام به نصر بن صالح بن مرداس الذي جمع قواته وهاجم حلب واستولى عليها من يد الفاطميين ، واتخذ لنفسه لقب شبل الدولة (١) ، وما زال نصر يحكم حلب إلى أن ولي الخلافة المستنصر بالله الفاطمي ، فعهد إلى الفوائد التركي أنوشتكين الدزيري بالزحف إلى حلب واستردادها ، فسار إليهم سنة ٤١٩هـ والتقى بنصر عند بلدة حماة ، وأوقع به الهزيمة وقتله ، وتولد ولاية حلب بدلا منه ، وظل يلي أمورها إلى أن توفي سنة ٤٣٣هـ (٢) .

كان شمال بن صالح بن مرداس بالرحبة إذ ذاك . ولما بلغه اضطراب الأمور في حلب ، عول على الخروج إليها ، ثم حاصرها واستولى عليها سنة ٤٣٤هـ وتقلد زمام الحكم فيها ؛ غير أنه لم يتمتع بالهدوء والاستقرار ، فقد زحف إليه الجنود من مصر بقيادة أبي عبد الله بن ناصر الدولة ابن حمدان سنة ٤٤٠هـ ، فخرج إليهم شمال وقاتلهم واضطروا إلى العودة إلى مصر (٣) .

لم تزل الجنود المصرية توالي زحفها على حلب وتضيق عليها الحصار حتى سئم شمال بن صالح إمارتها وعجز عن القيام بشئونها ، ربعث إلى المستنصر بمصر يطلب الصلح ، فصالحه على أن ينزل عن حلب ، وعهد الخليفة الفاطمي إلى مكين الدولة الحسن بن ملهم بولاية حلب سنة ٤٤٩هـ (٤) .

لم يكد يرضى عامان على تقلد ابن ملهم ولاية حلب حتى ثار عليه أهلها وبعثوا في طلب محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، فقدم عليهم في منتصف سنة ٤٥٢هـ واشترك معهم في محاصرة ابن ملهم . ولما علم بذلك المستنصر ، أرسل إليه نجدة تحت قيادة ناصر الدولة الحسين بن حسن بن حمدان وإلى

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٢) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٩ .

(٣) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٧٩-٨٠ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ .

(٤) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٩٠ .

دمشق ، فدارت بينه وبين محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عدة معارك انتهت بانهزامه واستعادة محمود ولاية حلب ، وعاد ابن ملهم وابن حمدان إلى مصر (١) .

على الرغم من أن أمراء بني مرداس قد بذلوا جهداً كبيراً في سبيل الاحتفاظ بولاية حلب ، فانهم عجزوا عن توطيد نفوذهم فيها لأنهم كانوا مهملين من ناحية الخلافة الفاطمية (٢) ، كما أنه كان لضعفهم أثر كبير في عدم استقرار الأمور في ولايتهم وعلى الأخص منذ بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وقد عجلت هذه الحالة بزوال حكم المراداسيين في حلب بعد أن ظلوا يحكمونها ما يقرب من ستين عاماً .

على أن الفاطميين وإن كانوا قد نجحوا في بسط سيادتهم على حلب بعد أن زالت سلطة الحمدانيين فيها ، فانه لم يتيسر لهم ضمها إلى حوزتهم بعد أن حكمها أمراء من بني مرداس ، بل ظلوا في نزاع مع هؤلاء الأمراء دون أن يتمكنوا من القضاء على سلطتهم .

وقد تعرضت حلب في أواخر القرن الخامس الهجري لهجوم السلاجقة وبعض أمراء العرب ؛ فسار إليها شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل وحاصر قلعتها واستولى عليها من ولاتها المراداسيين سنة ٤٧٣هـ (٣) ، ثم أرسل إلى ملكشاه سلطان السلاجقة ليقره على نيابة حلب على أن يؤدي إليه مبلغاً معيناً من المال ، فأجاب السلطان طلبه (٤) ؛ وبذلك قضى على سلطان المراداسيين .

(١) ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٢) Lammens. La Syrie, Précis Historique Tome I. P. 154.

(٣) ابن الأثير : ج ١٠ ص ٣٩ .

(٤) السكيني بن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٨٠ — ٢٨٢ .

ابن خلدون : المعبر ، ج ٤ ص ٢٧٥ .

٤ - ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام في أواخر القرن

الخامس الهجري

كان نفوذ الفاطميين في بلاد الشام مرتبطاً بقوتهم العسكرية ؛ فإذا ما ضعفت قواتهم هناك ، قام الأمراء المحليون بالعمل على توطيد استقلالهم الذاتي كما فعل بنو الجراح بفلسطين وبنو مرداس في حلب . وقد وجهت الخلافة الفاطمية عنايتها إلى القضاء على منافاة هؤلاء الأمراء والعمل على توطيد سلطانها ببلاد الشام . وليس من شك في أن الاضطرابات التي أثارها بنو الجراح في فلسطين وعدم استقرار الأمور في حلب في عهد بني مرداس ، أتاح كل ذلك الفرصة أمام السلاجقة^(١) ليظهروا على مسرح السياسة في بلاد الشام ويقضوا على النفوذ الفاطمي فيها .

أخذ نفوذ السلاجقة في الازدياد منذ عهد طغرل بك الذي تمكن من جمع صفوفهم وبسط سلطانهم على جهات واسعة من الدولة الإسلامية شملت مرو ونيسابور وكرمان وأذربيجان وجرجان وطبرستان .

كذلك عمل طغرل بك على توثيق الروابط بين السلاجقة والخليفة العباسي القائم بأمر الله ؛ فلما استنجد به هذا الخليفة لينقذه من فتنة أبي الحارث أرسلان البساسيري ، أجاب طلبه ، فسار إلى بغداد وقضى على هذه الفتنة وأعاد إقامة الخطبة للخليفة العباسي سنة ٤٥١ هـ ؛ غير أنه لم يلبث

(١) يرجع أصل السلاجقة إلى إحدى قبائل النز التركية ، وكانوا قوما من البدو يسكنون إقليم تركستان ، وقد قرب ملك هذا الإقليم جدم سلجوق إليه ، فظل في خدمته حتى وصل إليه نبأ تديره ، وأمره للتخلص منه . فهاجر مع قبيلته إلى بخارى ، حيث دخل هو وأتباعه في الإسلام على مبادئ المذهب السني وأصبحوا من المتحمسين له .

المسكين بن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ ، القرطبي . السلوك لمحنة دول الملوك ..

ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣٠ - ٣١ .

أن استأثر بالسلطة دونه . وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة .

وجه السلاجقة اهتمامهم بعد أن استأثروا بالنفوذ في العراق إلى استعادة ما فقدته الدولة العباسية من البلاد ، فأرسل ألب أرسلان سنة ٤٦٣ هـ إلى محمود بن صالح بن مرداس أمير حلب ، يطلب منه إقامة الدعوة للخليفة العباسي بدلا من الخليفة الفاطمي ، فأجابته إلى طلبه . ثم سار بنفسه إلى حلب في انعام التالى وحاصرها شهرا ، فخرج إليه أميرها فأكرمه وأعادته إلى ولايته (١) ، واضطر ألب أرسلان إلى العودة إلى بلاده حين وصله أن الروم اخترقوا بلاد أرمينية يريدون خراسان ، وفي سنة ٤٦٥ هـ ، عهد السلطان ملكشاه إلى أتسز التركاني بالاستيلاء على بلاد الشام ، ففتح الرملة وبيت المقدس ، ثم يعم السير إلى دمشق ؛ غير أن جيوش الفاطميين سرعان ما ردت على أعقابهم (٢) ، لكنه لم يلبث بعد ذلك أن عول على محاصرتها سنة ٤٦٧ هـ ، وأخذ يشدد عليها الحصار حتى تمكن من فتحها ، ثم حذف اسم المستنصر بالله الفاطمي من الخطبة ، وأحل محله اسم الخليفة العباسي المقتدى بالله (٣) ، كما منع الأذان بحى على خير العمل . وكان لعمله هذا أحسن الأثر في نفوس أهالى دمشق (٤) .

ولما استقر الأمر للقائد التركاني أتسز في بلاد الشام خشى أن يعاود الفاطميون مهاجمته ؛ فجهز جيشاً من التركان والعرب والترك وسار قاصداً مصر سنة ٤٦٩ هـ بعد أن أغراه بفتحها ابن بلدكوز الذى احتفى به على

(١) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٣ .

(٣) Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages P. 161.

(٤) ابن خلدون : ج ١ ، ص ٦٥٠ ، ٥٨٨-٥٨٩ .

أثر قدوم بدر الجمالى إلى مصر، وأهدى إليه بعض التحف التى استولى عليها أبوه من خزانة المستنصر بالله الفاطمى (١).

وقد توغل أتسز بقواته فى البلاد المصرية دون أن يصادف مقاومة تذكر، وعسكر خمسين يوماً فى الدلتا بدلاً من أن يسير إلى القاهرة، وأساء أصحابه معاملة الأهالى وأخذوا أموالهم؛ فأرسل رؤساء القرى المصرية إلى الخليفة المستنصر بالله يشكون إليه ما نزل بهم (٢).

لم يكن بدر الجمالى فى الوقت الذى زحف فيه أتسز على مصر مستعداً لمواجهة حملته لانشغاله بإخماد بعض الثورات فى بلاد الصعيد؛ فجند جميع الرجال القادرين على حمل السلاح، ودعا ثلاثة آلاف حاج كانوا متأهبين للسفر إلى بلاد الحجاز لمعارنته فى قتال السلاجقة، فأجابوا دعوته وتخلفوا عن السفر، وأصبح جيش بدر الجمالى يضم كثيراً من العرب وأهالى البلاد. ولما دار القتال بين الفريقين استطاع بدر الجمالى بمهارته أن يستميل إلى جانبه فريقاً من السلاجقة، كما فعل المعز من قبل مع القرامطة؛ وكان ذلك مما عجل الهزيمة بجيشهم، وفر أتسز إلى غزة وأقام بالرملة حتى لحق به من بقى من عسكره، ثم رحل إلى دمشق (٣).

أعلنت بعض المدن الرئيسية فى بلاد الشام على أثر تلك الهزيمة التى لحقت بأتسز ولاءها من جديد للخلافة الفاطمية. وقد شجع ذلك بدر الجمالى على العمل لاستعادة سلطان الفاطميين بتلك البلاد، فأنفذ جيشاً بقيادة نصر الدولة إلى دمشق، فحاصرها حصاراً شديداً حتى اضطر أتسز إلى طلب النجدة من تاج الدولة نقش بن ألب أرسلان — وكان إذ ذاك يحاصر

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٦ .

(٣) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٣٥ — ٣٦ ، ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٣٥ .

حلب - فسار تنش إلى دمشق . ولم يكذب يفترب منها حتى رحل عنها عسكر
مهسر (١).

ولما تقابل تنش أتمع أتمز عند سور دمشق ، أنكر عليه تأخره في
الخروج للقاءه ، ثم ما لبث أن قبض عليه وقتله ، واستولى على دمشق سنة
٤٧١ هـ وأحسن معاملة أهلها (٢). وصار يتولى بمفرده جميع الأمور في بلاد
الشام ؛ غير أن الحالة لم تستقر له طويلاً بملك البلاد ، فحاول بدر الجمالي أن
يسترد دمشق سنة ٤٧٨ هـ . فسار إليها على رأس حملة ، وحاصرها حصاراً
شديداً كما دار بينه وبين صاحبها تاج الدولة تنش قتال ؛ غير أنه لم يتمكن من
التغلب عليه ، ورحل عائداً إلى مهسر (٣) . وما زال بدر الجمالي يوجه اهتمامه
إلى استعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام حتى تمكن سنة ٤٨٢ هـ من
الاستيلاء على معظم بلاد الشام الساحلية . على أن الفاطميين لم يتمكنوا
من الاحتفاظ بسيطرتهم على هذه المدن بسبب تطلع السلاجقة إلى
بسط سلطانهم عليها . ففي سنة ٤٨٥ هـ ، أمر السلطان ملكشاه نوابه
بحلب والرها بالسير مع قواتهم لمعاونة أخيه تاج الدولة تنش في الاستيلاء
على ما للخليفة المستنصر بالله الفاطمي من بلاد بساحل الشام ؛ فساروا
لنجسة ، واستطاع تنش بمساعدتهم أن يستولى على حمص وقلعتي عرفة
وأفامية (٤) (Apamea) .

على الرغم من أن تاج الدولة تنش قد بسط سلطانه على معظم بلاد
الشام فإنه لم يوجه جهوده للعمل على توطيد نفوذه بهذه البلاد - مع أن
الظروف كانت مهيأة له وخاصة من ناحية الفاطميين الذين حال ضعفهم

(١) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٣٨ ، أبو الفداء . المختصر في أخبار البصر ، ج ٢ ،
ص ١٩٤ .

(٢) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٣٨ .

(٣) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٤٩ .

(٤) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٧٠ ، أبو الفداء . المختصر في أخبار البصر ، ج ٢ ، ص ٦٧
أفامية : كورة من كورة حمص ، تقع إلى الشمال من حماه وجنوب معرة النعمان .

بسبب المنازعات الداخلية دون نجاحهم في استرداد سيادتهم على بلاد الشام التي كانت في حوزتهم - ، فقد امتدت أطماع تتش إلى بلاد الجزيرة وفارس وتغلب على كثير منها مما أدى إلى قيام الخلاف بينه وبين أخيه بركياروق سنة ٤٨٦ هـ . وقد تطور هذا الخلاف إلى نشوب الحرب بين تتش وقوات بركياروق ، انتهى الأمر فيها بهزيمة تتش وقتله سنة ٤٨٨ هـ (١) .

اقتسم بلاد الشام بعد مقتل تتش ابناه رضوان ودقاق ؛ فاستقل الأول بولاية حلب ، وانفرد الثاني بدمشق لكنهما لم يكونا على وفاق ، فقد دب الخلاف والتنافس بينهما ، فسار رضوان إلى دمشق طمعاً في الاستيلاء عليها لكنه عجز عن مهاجمتها لحصانيتها ومناعتها ، كما لم يتمكن من الاستيلاء على بيت المقدس . أما دقاق فإنه رأى أن يسير إلى حلب لمحاصرة أخيه رداً على فعله . والتقى الفريقان بقمسرين حيث دارت معركة هزم فيها دقاق الذي ما لبث أن اتفق مع أخيه رضوان سنة ٤٨٩ هـ على أن تقام الخطبة باسميهما في دمشق (٢) .

أما عن الحالة الداخلية في مصر ، فلم تكن إذ ذاك مستقرة ؛ فقد اضطربت فيها الأمور بعد تولية المستعلي الخلافة ، ويرجع ذلك إلى ما قام به الوزير الأفضل بن بدر الجمالي من إقصاء نزار بن المستنصر عن الخلافة رغم أحقيته لها ؛ فخرج أهالي الإسكندرية على طاعة الخليفة الفاطمي الجديد وانحازوا إلى نزار بعد أن قدم إليهم وبايعوه بالخلافة . غير أن الأفضل بن بدر الجمالي ما لبث أن تمكن من إقصاء عليه وعلى من آزره في ثورته في أواخر سنة ٤٨٨ هـ (٣) .

(١) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٨٥ .

(٢) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٩٣ . أبو القدا . المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

— ٢١٠ —

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٥ — ٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،

ص ١٤٤ — ١٤٥ .

على الرغم من أن الحكومة الفاطمية في مصر في أوائل عهد المستعلي بالله شغلت بضبط الأمور في البلاد عن مواصلة جهودها لاسترداد نفوذها في بلاد الشام ، فإن الخلاف بين نواب السلاجقة في هذه البلاد وحالة الضعف التي تجلت في أيامهم ، لم يكن كل ذلك خافياً عنها ؛ فرأى الفاطميون أن ينهزوا هذه الفرصة ليحاولوا من جديد ، عادة سيظرتهم على ما فقدوه من مدن الشام ؛ فسار الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٨٩ هـ على رأس حملة إلى بيت المقدس - وكان يلي هذه المدينة إذ ذاك إبلغازي وسقمان ابنا الأمير أرتق - ، فالتس منهما تسليمه القدس من غير حرب ، فلم يجيباه إلى طلبه (١) . فحاصر المدينة ونصب على أسوارها المجانيق ، واضطر أهل القدس إلى طلب الأمان ، فأمنهم وفتحوا له أحد أبوابها ؛ وبذلك تمكن الأفضل من دخولها والاستيلاء عليها ، ورأى كل من سقمان وأخيه إبلغازي أن يرحلا عنها ؛ ففضى الأول إلى الرها . أما الثاني فسار إلى بغداد (٢) .

أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة على نشر نفوذهم في بلاد الشام إلى عدم استقرار الأمور في هذه البلاد وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبي ؛ فقد زحف الصليبيون على أنطاكية بقيادة بوهمند الترمندى في أواخر القرن الخامس الهجري ، ورأوا أن يستغلوا الفرقة بين الأمراء المسلمين في بلاد الشام ، فأرسلوا إلى أمير حلب ودمشق يطلبون منهما عدم التعرض لهم ، كما ادعوا بأنهم لا يقصدون غير البلاد التي كانت بيد الروم (٣) . ولما وقف رضوان أمير حلب على رغبة الصليبيين في إثارة النزاع بين القوى الإسلامية ليتيسر لهم تحقيق غرضهم ، سارع إلى نجدة أمير أنطاكية وانضم

(١) ابن الفلاني . ذيل تاريخ دمشق ، ١٣٠ .

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

(٣) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٩٥ .

إليه سفنان بن أرتق وقوات من شيزر (١) وحماه وحمص . غير أن المحاولات التي بذلها أمراء المسلمين ببلاد الشام لإتخاذ أنطاكية بآت بالفشل وسقطت المدينة في يد الصليبيين سنة ١٠٩١ (٢) هـ (٣ يونيو ١٠٩٨ م) .

لما رصل إلى الحكومة الفاطمية في مصر نبأ هجوم الصليبيين على أنطاكية ، رأت أن تبذل جهودها لمنع زحفهم على بيت المقدس ، فأنفذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨) سفارة إلى الصليبيين للتفاوض في عقد اتفاق معهم يتضمن أن ينفردوا بأنطاكية وأن تستقل مصر . بيت المقدس على أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية على ألا تزيد مدة إقامتهم بها عن شهر واحد وألا يدخلوها بسيوفهم (٣) .

لم تؤد سفارة الأفضل بن بدر الجمالي إلى الصليبيين ، إلى عدولهم عن تحقيق سياستهم في الاستيلاء على بيت المقدس ، بل كان من أثرها أن وقف الصليبيون على مدى الخلاف السائد بين الفاطميين ونواب السلاجقة ببلاد الشام ؛ ومن ثم استقر رأيهم بعد استيلائهم على أنطاكية على إرسال حملة لفتح بيت المقدس . وقد استولى الصليبيون أثناء سيرهم إلى هذه المدينة على معرة النعمان (٤) ، كما عمل أمير شيزر على تأمين طريقهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه درءاً لخطرهم (٥) .

كانت بيت المقدس في الوقت الذي تقدم فيه الصليبيون لمهاجمتها خاضعة

(١) تقع على مقربة من معرة النعمان شمال حماه .

(٢) أبو الفداء . المختصر من أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

(٣) Guillaume de Tyre (R. Hist Occ. Crois.) T I P. 191 et Seq.

راجع كتاب ، الحرب الصليبية الأولى لحسن جبعي ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(٤) ابن الأثير . ج ١٠ ص ٩٦ .

(٥) حسن جبعي . الحرب الصليبية الأولى ، ص ٧٤ .

للفاطميين وبلى حكمها نائب من قبلهم يدعى افتخار الدولة (١) ؛ فلما شرع الصليبيون في فتح هذه المدينة لقوا مقاومة في بادىء الأمر من الحامية الإسلامية . غير أن جرد فروى قائد الحملة الصليبية ما لبث أن عثر على منفذ المدينة لم يهتم المسلمون بتحصينه ، فدخل منه مع بعض أتباعه من الفدائيين ، وبذلك تيسر لهم فتح أبوابها ، فاضطر المسلمون إلى الاعتصام بالمسجد الأقصى ، فتعقبهم الصليبيون ونسكروا بهم . ولم يجد حاكمها الفاطمي افتخار الدولة بداً من الاستسلام ، وتعهد هو وقواته للصليبيين بالرحيل عنها إلى مصر (٢) .

لم يقف الفاطميون إزاء هجوم الصليبيين على بلاد الشام وحققهم على بيت المقدس مكتوفين اليدين وخاصة بعد أن وصلهم خبر دخولهم هذه المدينة واستيلائهم عليها ، ومحاولة أخذ ما تبقى لهم من المدن الساحلية ، وهجز أمراء السلاجقة عن الوقوف في وجههم . فأعدوا حملة في رمضان سنة ٤٩٢ هـ لاسترداد بيت المقدس . وخرج الأنضل بن بدر الجمالي وزير الخليفة المستعلي بالله على رأس الجيش الفاطمي ، وأقام هذا الوزير بعسقلان في انتظار النجدة التي وعده بها العرب (٣) ، وأرسل إلى الصليبيين ينسكروا عليهم ما فعلوه ويتهددهم (٤) . على أن القوات الفاطمية ما لبثت أن فوجئت بهجوم الصليبيين ، واشتبك الفريقان في عدة معارك انتهت بهزيمة الجند الفاطمي وتراجعهم تدريجياً ، وعاد الأفضل مع خواصه إلى مصر (٥) .

(١) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٩٨ .

(٢) ابن الأثير . ج ١٠ ، ص ٩٨ . حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، ص ٨٣ .

— ٨٥ —

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ ، أبو الحسن . النجوم الزاهرة

ج ٥ ، ص ١٥٠ .

(٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٩٩ .

(٥) المقرئ : خط ، ج ١ ، ص ٣٥٦ ، أبو الحسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،

ص ١٤٩ .

تجلى ضعف النفوذ الفاطمي في بلاد الشام على أثر النجاح الذي أحرزه الصليبيون في زحفهم على هذه البلاد وتأسيسهم إمارتي أنطاكية وبيت المقدس . وقد ظهرت بوادر هذا الضعف منذ حاول السلاجقة إقصاء الفاطميين عن بلاد الشام .

على أن السلاجقة وإن كانوا قد أحرزوا بعض النجاح في بسط سيطرتهم على بعض مدن الشام التي كانت في حوزة الفاطميين ، فإن الخلاف الذي قام بين نوابهم أضعف من سلطتهم ، كما أن التنافس بينهم وبين الفاطميين على امتلاك بلاد الشام كان من أكبر العوامل التي عارنت الصليبيين على الاستقرار في هذه البلاد (١) .

وما لا شك فيه أن الخلافة الفاطمية في أواخر القرن الخامس الهجري لم تكن في حالة تساعد على استعادة مكانتها في بلاد الشام ، فقد أصبحت مصر من الضعف بسبب ما سادها من الاضطرابات ، وما منيت به من منازعات بين طائفتي النزارية (٢) والمستعلية بحيث تعذر عليها الاحتفاظ بما تبقى لها من سلطان على بلاد الشام ، يؤيد ذلك ما قاله المقرئ (٣) عن الخليفة المستعلي بالله الفاطمي (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) ، وفي أيامه اختلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فإنها صارت بين الأتراك والفرنج .

(١) Gaston Wiet, Précis de L'Histoire de L'Egypte Vol. II.P.186

(٢) كانت النزارية تدعى أن المستنصر بالله الفاطمي أوصى لابنه الأكبر تزار بالخلافة من بعده . أما المستعلية ، فادعت أنه أوصى بها لابنه أبي القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي بالله (ابن ميسر . تاريخ مصر ، من ٣٥ - ٣٧)

(٣) خطط ، ج ١ من ٣٥٦ - ٣٥٧ .

الباب السادس

الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

- ١ - سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمدن العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجري.
- ٢ - حركة البساسيري في العراق.
- ٣ - زوال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق بعد دخول السلاجقة بغداد.

الباب السادس

الدعوة الفاطمية في بلاد العراق

١ - سياسة الفاطميين في نشر دعوتهم بمصر والعراق إلى أوائل

القرن الخامس الهجري

كان لظهور القرامطة في بلاد العراق انسفاً والتشابه بين دعوتهم ودعوة الإسماعيلية أكبر الأثر في جذب كثير من أهالي الولايات العباسية إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي (١) ، فصارت بلاد السواد (٢) تموج بأتباع أئمة الإسماعيلية الذين اتخذوا سلمية (٣) دار هجرة منذ عهد الخليفة المأمون العباسي ، كما أصبح لهم أنصار في بغداد نفسها ، بل إن عبيد الله (المهدي) اتخذ دعاقله بهذه المدينة كآية مدونه بأخبار العباسيين . وقد استطاع بفضل

(١) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقلت في بني الحسين إلى جعفر الصادق . ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم تنقلت في بنه . (العلفشندي . صبح الأعشى . ج ١ . ص ١١٥ — ١٢٠) .

(٢) السواد يراد به رستاق العراق وضياعها التي انتجعها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد سمي بذلك لسواده بالزروع والتخيل والأشجار . (ياقوت . معجم البلدان . ج ٣ . ص ١٥٩) .

(٣) بلدة من ناحية البرية من أعمال حماء (ياقوت . معجم البلدان . ج ٥ . ص ١٩٣) .

دعائه المقيمين ببغداد وبلاد الشام التغلب على الصعوبات التي تعرض لها في طريقه من سلمية إلى بلاد المغرب (١).

قام دعاة الفاطميين في بغداد ، بعد أن استقرت الخلافة لعبيد الله المهدي في المغرب بنشاط كبير في نشر دعوتهم ؛ وليس أدل على ذلك من اتجاه ميول بعض كبار رجال الدولة العباسية إلى ما ادعاه الفاطميون من حق في الخلافة والاعتراف بإمامة المهدي فذكر مسكويه (٢) أن يوسف بن أبي الساج - أحد قواد العباسيين في عهد الخليفة المقتدر - أخبر كاتبه محمد بن خلف أنه متى جمع خراج واسط والكوفة وسقى الفرات عن سنة ٣١٤ هـ ، شق عصا طاعة الخليفة العباسي وأظهر الدعوة للمهدي . ثم دعا الناس إلى الدخول فيما دخل فيه ، وسار إلى بغداد ؛ فكتب محمد بن خلف بذلك كله إلى نصر الحاجب ، فأرسله إلى مسامع الخليفة العباسي .

على أنه يستدل بما أورده ابن الأثير (٣) عن اتصال القائد العباسي يوسف بن أبي الساج بالفاطميين أن كاتبه محمد بن خلف هو الذي اتهمه بذلك طمعاً في تقلد الوزارة ؛ فقال : « إن محمد بن خلف النيرماني عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة ، فكتب إلى نصر الحاجب يخطب الوزارة ويسعى بآبى الساج ويقول له إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بإفريقية وأنا نأظرته على ذلك فلم يرجع عنه ، وأنه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي وإنما يأخذ المال بهذا السبب ويقوى به على قصد حضرة السلطان وإزالة الخلافة عن بني العباس . »

(١) حسن إبراهيم وطه شرف . كتاب « عبيد الله المهدي » ص ١٢٥ - ١٢٨ ، ٣٠٧ .

(٢) تجارب الأمم . ج ١ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، حسن إبراهيم . الفاطميون في مصر

ص ٧٢ - ٧٣

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٥٤ .

وعلى الرغم من أنه ليس فيما ذكره كل من مسكويه وابن الأثير عن موقف يوسف بن أبي الساج إزاء الفاطميين ما يدل على محاولته الخروج على طاعة الخليفة العباسي ، فإن هذا الأمر لا يمنعنا من أن نرجع ميله إلى الدخول في دعوة عبيد الله المهدي وإن كانت الفرصة لم تكن بعد لتحقيق هذه الرغبة . يؤيد ذلك ما أشار إليه المقرئ (١) من أن يوسف بن أبي الساج ، بعث إلى عبيد الله المهدي رسالة يعترف فيها بإمامته ويعلن استعداداه لمعارنته (٢) .

كذلك بلغ من نفوذ دعاة الفاطميين في ذلك العهد أن نجحوا في جذب كثيرين من أهالي العراق إلى اعتناق المذهب الإسماعيلي ، ويتضح لنا ذلك من هذا الحديث الذي دار بين علي بن عيسى وزير الخليفة العباسي المقتدر بالله وبين أحد الإسماعيلية من أهل العراق . يقول ابن الأثير (٣) : « جاء إنسان إلى علي بن عيسى وأخبره أن في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر (٤) بالأخبار ، فأحضره وسأله واعترف ؛ وقال : ما صحبت أبا طاهر إلا لما صبح عندي أنه على الحق وأنت وصاحبك (أي الوزير والخليفة) كفار ، تأخذون ما ليس لكم ، ولا بد لله من حجة في أرضه ؛ وأمامنا المهدي فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر

(١) الملقى الكبير . ورقة ٢٢٣ ب .

(٢) حسن إبراهيم . الفاطميون في مصر ، ص ٥٤ .

(٣) الكامل في التاريخ . ج ٨ ، ص ٧٤ .

(٤) تقلد أبو طاهر سليمان الجنابي زمام الحكم في دولة القرامطة ببلاد البحرين سنة ٣٠٥ هـ . وكان طموحا إلى المجد والعظمة ؛ ففضى السنوات الأولى من حكمه ينظم شئون دولته ؛ وبعد المدة للسيطرة على جزيرة العرب . وقد تجلّى في عهده قيام العلاقات الودية بين القرامطة والفاطميين ببلاد المغرب واتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين .

(راجع كتاب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب للمؤلف ص ٣٤ — ٣٥)

«صادق المتقيم ببلاد المغرب . واستأنا كالأرضة والأثنا عشرية الذين يقولون بحملهم إن لهم إماماً ينتظرونه ويكذب بعضهم البعض . . . فقال له علي ابن عيسى : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم . فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال : وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع متى أننى أسلم قوماً مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم لا أفعل ذلك . . .

كان لضعف سلطة الخلفاء العباسيين الذى تجلى منذ بداية القرن الرابع الهجرى بسبب استفحال نفوذ القواد من الأتراك واستقلال الأمراء بولاياتهم ، واستبداد البويهيين (١) بأموال الخلافة أثره فى تشجيع الفاطميين

(١) اشتهر من بين أهالى بلاد الديلم البويهيون . وكانوا جنوداً مغامرين من أصل فارسى ، وقد رفعوا أنفسهم بالدهاء والذكرو كانوا لا يترددون ولا يخجلون من ترك خدمة قائد إلى خدمة آخر يدفع لهم أجراً أكثر من الأول ، فارتقى على بن بويه وأخوه الحسن إلى مرتبة الأمراء فى جيش « ماكان » الديلمى ، ولما لحقت به الهزيمة ، انتقل إلى خدمة مرداويج بن زيار الديلمى ، فولى على بن بويه بلاد الكرج (إلى الجنوب الشرقى من همدان) .

على أن الجسو لم يعف لعل بن بويه ، فقد عول مرداويج على طرده من بلاد الكرج وأرسل جيشاً كبيراً لإخراجه منها . فسار إلى أرجن (إحدى كورفارس) واحتلها سنة ٣٢١ هـ ، ثم دخل شيراز فى العام التالى وتمكن أخوه أحمد بن بويه من احتلال كرمان . لما توفى مرداويج سنة ٣٢٣ هـ ، احتل البويهيون أصفهان والرى واستمروا فى توسعهم نحو الغرب ، فدخل أحمد بن بويه أذربايجان سنة ٣٢٦ هـ واحتفظ بها رغم المقاومة التى لاقاها ، واستطاع أخوه على بن بويه إخضاع بلاد فارس ، وأرسل إلى الخليفة الراضى بطلب اعترافه بسلطته فى فارس فبعث إليه بالخلع مع أحد رسله وأمره ألا يسلمها إليه إلا بعد أن يرسل ثمانمائة مليون درهم إلى بغداد ويتمهد بأن يؤدى إليه مثلاً سنوياً ، لكن على بن بويه احتال على الرسول حتى أخذ منه الخلع ، ثم امتنع عن دفع هذا المبلغ .

لم يكن على بن بويه هو الذى ارتفع شأنه دون غيره من البويهيين ، بل استولى أخوه الحسن على بلاد العراق العجمى : ودعا قواد بغداد أخاه الثالث أحمد بن بويه إلى المسير إليهم حين ساءت الحالة فى عهد الخليفة المستكفى . فوصل بغداد فى ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ . فقابله الخليفة واحتفى به ومنحه إمرة الأمراء وبايعه أحمد بالخلافة ، ولكن يظهر هذا الخليفة تأييده لبني بويه منح زعماءهم الألقاب ، فلقب علياً عماد الدولة ، ولقب الحسن ركن الدولة ، ولقب =

على إرسال دعائهم إلى بلاد الدولة العباسية لمشر الدعوة لهم ، كما حفزهم إلى العمل على تهويض دعائم الخلافة العباسية وانتزاع زعامة الاسلام منها .

وقد كشف المعز لدين الله الفاطمي عن سياسته التي ترمي إلى بسط سلطانه على بلاد المشرق في خطبة ألقاها على رؤساء كتامة بمدينة المنصورية (١) ، رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حال إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم ، وإني لا أفضلكم في أحوالكم إلا فيما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من إمامتكم ، وإني مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب ، أجيب عنها بخطي (٢) .

كذلك عبر المعز قبيل وفاته سنة ٣٦٥ هـ عن أمله في فتح العراق في الحديث الذي دار بينه وبين رسول الأمبراطور البيزنطي الذي قدم إلى القاهرة لزيارته . وقد خاطبه المعز بقوله : « أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي وأنا بمصر ما لك لها ، قال : نعم . قال : وأنا أقول لك لتدخلن علي ببغداد وأنا خليفة (٣) » .

رأى الفاطميون أنه لن يتيسر لهم نشر نفوذهم في بلاد المشرق إلا بفتح مصر لتوسطها العالم الإسلامي ، فضلاً عن قربها من المشرق الذي حرص المعز على إخضاعه ؛ لذلك وجه الفاطميون أنظارهم إليها لانتزاعها من الدولة

= أحمد الذي أصبح مطلق التصرف في العراق من الدولة .

مسكويه . تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٢٩٦ — ٣٠٢ .

حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ، ص ٩٩ — ١٠١ .

الدوري . المصور العباسية المتأخرة ص ٢٤٤ — ٢٤٧ .

(١) أسس الخليفة المنصور الفاطمي مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ هـ في الموضع الذي دارت

فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد غنم بن كيداد على مقربة من القيروان واتخذها حاضرة له .

(٢) راجع كتاب : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبد البكري ص ٢٥ .

(٣) المقرئ : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج ٨ ، ص ٢٢٠ .

العباسية ، واستطاعوا أن يسيطروا سلطانهم عليها سنة ٢٥٨ هـ ، وأقيمت للخليفة الفاطمي الخطبة على منابرها .

ولما أيقن الفاطميون أن دعائهم في بلاد المشرق قد نجحوا في صرف كثير من المسلمين عن تأييد العباسيين ، شرعوا في مواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضي الدولة العباسية ؛ فتخطى نفوذ الفاطمي في عهد المعز الحدود المصرية إلى بلاد الشام ؛ لسكنه لم يكن مستقراً فيها ، بينما نراه ينمو ويزداد في جزيرة العرب بفضل الدعاية الفاطمية التي وجدت من تلقاء نفسها مرعى خصيباً في تلك البلاد ؛ فأقيمت الخطبة في مكة والمدينة لكثير من الخلفاء الفاطميين ، كما انتشر نفوذهم في بلاد اليمن وذاعت دعوتهم في كثير من بلادها ؛ وبذلك تضاهل سلطان الدولة العباسية الروحية في جزيرة العرب كما تضاهل سلطانهم السياسي في بلاد الشام من قبل .

كانت بلاد العراق محط أنظار الفاطميين وعلى الأخص بعد أن استبد البويهيون بالسلطة في بغداد سنة ٣٣٤ هـ . وقضوا على نفوذ الخلفاء العباسيين ، بل شاركوهم في مظاهر سيادتهم الدينية والسياسية .

أقام البويهيون على أثر دخولهم بغداد إمارة وراثية . وكانوا يعتنقون المذهب الشيعي على مبادئ الزيدية التي أدخلها بلاد الديلم حسن بن علي الزيدي (١) . ومن ثم صاروا لا يعترفون بحق العباسيين في السيادة على جميع العالم الإسلامي (١) ، وإنما اعتبروهم مغتصبين للخلافة من

(١) نشر حسن بن علي الزيدي الإسلام بين أهالي الديلم وطبرستان في أوائل القرن الرابع الهجري ، وقضى على الوثنية والمجوسية التي كانت منتشرة بينهم ، واستطاع أن يستميلهم إلى جانبه ، وظلوا مخلصين له طيلة حياته ؛ كذلك نجح حسن بن علي الزيدي في القضاء على النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في بلاد الديلم ، وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة ٣١٤ هـ حين فتح مرداويج بن زيار الديلمي هذا الإقليم .

(الدوري : العصور العباسية المتأخرة ، ص ٧٢ — ٧٣) .

(١) Arnold, The Cailphate p. 61

أصحابها العلويين (١) .

وقد تأثر البويهيون إلى حد كبير بالدعاية الفاطمية في بلاد المشرق ؛ فلما قبضوا على زمام السلطة في بغداد وضعف تبعاً لذلك مركز الخليفة فذكروا في القضاء على الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية مكانها ، وحاول معز الدولة بن بويه (٣٣٤ - ٣٥٦ هـ) إخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل وذلك بنقل الخلافة العباسية إلى أحد العلويين ، لكن خواصه حذروه من سخط الناس ومخالفتهم لأن عامتهم في الأقطار الإسلامية اعتادوا الدعوة العباسية ، وأطاعوا العباسيين طاعة الله ورسوله (٢) .

وقد وضع ابن الأثير (٣) تلك المحاولة التي شرع معز الدولة في تنفيذها ثم لم يلبث أن عدل عنها بقوله : « لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوي أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار بذلك ماعدا بعض خواصه ، فإنه قال : « ليس هذا برأى . فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستعجلين دمه ، ومتى اجلس بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه » .

عدل معز الدولة بن بويه عن عزمه لما قد يتعرض له سلطانه من خطر بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند من الديلم ويكونون أداة في يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء (٤) ، وفضل أن يستبد بالسلطة في ظل

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٦٩ .

(٢) الدورى : العصور العباسية المتأخرة ، ص ٢٤٨ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٤٩ .

(٤) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعا لخليفة يعترف بإمامته ، كما أن أمراء بني بويه (١) الذين خلفوه وأصبحوا مطلقا التصرف في العراق حذروا حذوه ، فلم يقدموا على تحويل الخلافة إلى أحد الملويين ، لكنهم ظلوا على اتصال بالفاطميين ، فسمحوا لدعاتهم بنشر عقائد مذهبهم في بلاد العراق وغيرها من البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ بني بويه (٢) .

كان البويهيون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، فتبذلت الرسائل الودية بين العزيز بالله الفاطمي وعضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ - ٣٧٣ هـ) فاعترف هذا الأمير بإمامة الخليفة الفاطمي ، كما كان لغارات البيزنطيين المتكررة على الأراضي المتاخمة لحدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية أثر كبير في تقريب مسافة الخلاف بينهما وتعارفهما على إيقاف هذا العدو المشترك عند حده ، ويتبين لنا ذلك من الكتاب الذي بعثه العزيز مع أحد رسله إلى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ ، وقد جاء فيه (٣) . . . إن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك ، فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتكم بحق إمامته ، ومحبتكم لأبائه الطائعين الهادين المهديين ، فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنكم ووافق ما كان يتوسمه فيكم وأنت لا تعدل عن الحق . . . وقد علمت

(١) نقف بما ورد في كتاب « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » أن من بين ألقاب بني بويه : شاهنشاه العظم ، ملك الملوك ، سلطان الدولة ، معز أمير المؤمنين ، وعين خليفة الله ، كما لقبوا أحيانا بلقب أمير الأمراء .

أما Stanlely Lane-Poole في كتابه (Muhammadian Dynasties p. 140) فيذكر أن أمراء بني بويه لم يتخذوا لأنفسهم لقب سلطان على السكة ، وإنما استعملوا لقب أمير وملك .

(٢) راجع حاشية رقم ٥ ، كتاب : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين ، وخراب الشام وضعف أهله ، وغلاء الأسعار . ولولا ذلك لترجى أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور ، وسوف يقدم إلى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك عن قريب ، فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله .

ومما هو جدير بالذكر أن رسول العزيز بالله الفاطمي لما وصل إلى بغداد استقبل استقبالاً حافلاً ، فقد اصطفت الجند على جانبي الطريق ، وأخذ القواد وكبار رجال الدولة أما كنهم كل على حسب مكانته ، على حين جلس الخليفة الطائع وراء الستر ، حتى إذا ما رفع هذا الستر رأى الحاضرون الخليفة جالساً على عرش مرتفع ومحيط به مشات الحراس بمشقين سيوفهم : مرتدين أبهى حملهم ، وأمام الخليفة مصحف عثمان ، وعلى كتفيه بركة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويده قضيب الملك ، وتقدم عضد الدولة البويهى وقبل الأرض . هنا سأل رسول الخليفة الفاطمي — وقد أخذت الدهشة منه كل مأخذ — من هذا الذى يسجد له وتقبل الأرض بين يديه ؟ أهو الإله العظيم ، فأجابه عضد الدولة . إنه خليفة الله وظله على الأرض (١) .

لما وصل كتاب العزيز إلى عضد الدولة ، أرسل إليه رداً ، أقره فيه على ائتمائه لأهل بيت رسول الله وأظهر استعدادَه لتنفيذ أوامره (٢) . وقد علق أبو المحاسن (٣) على هذا الكتاب الذى أرسله عضد الدولة البويهى إلى الخليفة العزيز بقوله : « وأنا أتدجب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسى ونهيه ، ويقع فى مثل هذا الخلفاء » صر ؛ وقد علم

(١) السبولى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧ — ٢٧١ .

Arnold, The Caliphate p. 66-67

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

كل أحد ما كان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشنآن . وما أظن عضد الدولة كتب له ذلك إلا عجزاً عن مقاومته ، فإنه قرأ كتابه في حضرة الخليفة الطائع ، وأجاب بذلك أيضاً بعلمه ، فهذا من العجب .

على أن هذه السياسة التي كانت تنطوي على التودد بين الخليفة الفاطمي وعضد الدولة البويهى ما لبثت أن تبدلت في أواخر عهد هذا الأمير ، بل نراه يجهز قواته لغزو مصر واستردادها من الفاطميين بعد أن اتضح له خطر الدولة الفاطمية على سلطان بني بويه ؛ فقد ذكر أبو منصور عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (١) أن عضد الدولة تأهب للسير إلى مصر واقتزاعها من أيدي الباطنية ، وكتب على أعلامه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، أدخلوا مصر إن شاء الله آمين . . . » . لكن هذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة . وقد قيل إن ما قام به هذا الأمير كان نتيجة لشكه في نسب الفاطميين ، ذلك أنه دعا العلويين ببغداد ، وقال لهم : « إن الخليفة بمصر يدعى أنه علوي ، فأنكروا انتسابه إليهم ؛ فبعث إلى العزيز رسولا يقول له : نريد أن نعرف من أنت ؛ فعظم ذلك على الخليفة الفاطمي وأزمع رسول عضد الدولة على العودة إلى بغداد ، وبينما هو في طريقه إليها قتل بطرا بلس (٢) .

على الرغم من أن البويهيين لم يعملوا على مناصرة الفاطميين في بداية عهدهم بالعراق ، فإنهم ظلوا طوال حكمهم يشجعون المذهب الشيعي الذي يدينون به وقربوا إليهم أتباع هذا المذهب ليستعينوا بهم على تحقيق سياستهم في العراق ، بل عرفوا بتعصبهم للشيعه مما أدى إلى قيام الثورات

(١) ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٢) المفريزي : اتعاظ الخنقا ، ص ٣٦ .

من حين إلى حين بين الشيعة والسنيين في بغداد . وليس أدل على ذلك مما قام به بهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩ - ٤٠٣ هـ) ، فقد تعصب لأهل الشيعة في بغداد حين وطدوا عزهم على مناصرة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي بمصر سنة ٣٩٨ هـ ، وصاحوا : يا حاكم ، يا منصور . وكان لتحيز هذا الأمير لهم أثر سيء في نفس القادر بالله العباسي (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) فأمد السنيين بفريق من حرسه حتى يستطيعوا الوقوف في وجههم ، ومن ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين . وانتهى الأمر بهزيمة أهل الشيعة (١).

لم يدخر الفاطميون جهداً في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في بلاد العراق ، فأقيمت الدعوة للخليفة العزيز سنة ٣٨٢ هـ في الموصل على يد أميرها أبي الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي (٢) ، كذلك نجح الحاكم بأمر الله الفاطمي في استمالة قرواش بن المقلد الملقب بمعتمد الدولة - أمير بني عقيل (٣) - الذي آلت إليه السيادة في الموصل ، فخرج على طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١ هـ ، وقام بنشر الدعوة الفاطمية في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة ، كما أحل اسم الحاكم بأمر الله في الخطبة محل الخليفة العباسي .

(١) السبولى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) كان بنو عقيل وغيرهم من القبائل العربية (بنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة) يقيمون بين الجزيرة والشام ، ولما أسس الحمدانيون دولتهم في الموصل ، صاروا من دعاياهم ، يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم في الحروب . على أن بنو عقيل سرعان ما تطلّعوا إلى امتلاك البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى دولة بني حمدان ، فاستولى أميرهم أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع ابن المقلد على نصيبين سنة ٣٧٩ هـ ، ثم سار إلى الموصل وضمها إلى حوزته في السنة التالية ، وأقره بهاء الدولة بن بويه عليها . لم يستع بولايتها طويلاً ، فقد عزله البويهيون سنة ٣٨٢ هـ . ولما توفى أبو الدرداء سنة ٣٨٦ هـ ، استعاد أخوه المقلد ولاية الموصل وأسس بها دولة العقيليين التي ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩ هـ .

ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٢٦ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

يقول أبو المحاسن (١) عن إقامة الخطبة في الموصل للحاكم بأمر الله ، أحضر (معتمد الدولة) الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم (سنة ١٤٠ هـ) وخلع عليه قباء ديبقيا وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين ، وقلده سيفاً وأعطاه نسخة ما يخطب به ، وإليك بعض ما ورد في هذه الخطبة (٢) : . . . اللهم وصل على وإليك الأزهر ، وصديقك الأكبر ، علي بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين اللهم وصل على السبطين الطاهر بن الحسن ، الحسين ، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار ، من أقام وظهر ، ومن خاف فاستتر . اللهم وصل على الإمام المهدي بك . والذي بلغ بأمرك وأظهر حججتك ، نهض بالعدل في بلادك . اللهم وصل على القائم بأمرك والمنصور بنصرك ، اللذين بذلا نفوسهما في رضائك ، وجاهدوا أعدائك . اللهم وصل على المعز لدينك ، المجاهد في سبيلك . . . اللهم وصل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد . اللهم واجعل نواحي صلواتك وزواكي بركاتك ، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية ، عبدك وإليك المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الراشدين . اللهم وفقنا لطاعته ، واجمعنا على كلمته ودعوته ، اللهم وأعنه على ما وليته ، واحفظه فيما استرعيت . . . وانصر جيوشه وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها ، إنك على كل شيء قدير ،

استاء الخليفة القادر بالله العباسي حين بلغه نبأ ذبوع الدعوة الفاطمية في بعض بلاده ، وأنفذ القاضي أبا بكر الباقلاني إلى الأمير بهاء الدولة ليخبره بالخطر الذي يهدد دولته من ناحية الفاطميين ، ويطلب منه العمل

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

على مناهضة نفوذهم (١) ؛ فعدل بهاء الدولة عن تأييد الحاكم بأمر الله لإجابة لرغبة الخليفة العباسي ، وأرسل جيشاً إلى ابن المقلد اضطره إلى وقف الدعوة للحاكم في بلاده وإقامة الخطبة للقادر بالله (٢) .

كذلك رأى الخليفة القادر بالله العباسي بعد أن تجنى له نجاح الدعوة الفاطمية في بعض بلاد العراق أن يلجأ في محاربة الفاطميين إلى سلاح التشهير بسمعتهم في العالم الإسلامي ، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضاء على نفوذهم ؛ فعقد اجتماعاً دعا إليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة ، وأصدروا في شهر ربيع الثاني سنة ٤٠٢ هـ محضراً يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر وفي شرعية إمامتهم ، وأنهم ليسوا من آل البيت ، وقرئت نسخ من هذا المحضر في بغداد. وكان من بين الموقعين عليه الشريف الرضي وأخوه المرتضى ، وفريق من أكابر العلويين . وكان مما ورد فيه : (. . فشهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم . . هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس ، أدعياء ، خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، وأن ذلك باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء . وقد كان هذا الإنكار شائعاً بالخرميين في أول أمرهم بالمغرب . أن هذا الناجم بمصر هو وسلفه . . قد عطلوا الحدود ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية (٣) .

على أنه يتضح لنا مما ورد في كل من ابن الأثير (٤) والمقريزي (٥)

(١) ابن خلدون . المعبر ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ ،

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ج ٩ ، ص ٧٦ — ٧٧ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٨ .

(٥) انما ظالمنا ، ص ٥٠ ، ٤٣ — ٤٤ .

أن الشريف الرضى الموسوى العلوى امتنع عن توقيع هذا المحضر ، يؤيد هذا القول تلك القصيدة التى نظمها وأثبت فيها صحة نسب الفاطميين ، غير أن هذه القصيدة لم ترد فى ديوان شعره خوفاً من الخليفة العباسى القادر بالله وإرضاء لآبيه .

وإليك بعض أبياتها :

ما مقامى على الهوان وعندى مقولٌ صارم وأنف حمى
البسُ الذلُّ فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا ي إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيّدا لنا س جميعاً : محمدٌ وعلى
إن ذلى بذلك الحى عزّ وأوامى بذلك الربع رى

* * *

أثارت هذه الأبيات غضب الخليفة القادر بالله ؛ فبعث إلى الشريف أبى أحمد الموسوى والد الشريف الرضى يعاتبه على ما جاء فى قصيدة ابنه ، بقوله : « قد عرفت منزلتك منا وما لا تزال عليه من الاعتداد بك فى الدولة من مواقف محمود ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ، ويكون ولدك على ما يضادها ، فاستدعى أبو أحمد ابنه ، وقال له : « اكتب خطك إلى الخليفة باعتذار واذكر فيه أن نسب المصرى مدخول ، وأنه مدّع فى نسبه ، فقال الشريف الرضى : لا أفعل ؛ فقال أبوه : أنكذبني فى قولى ، فقال الشريف الرضى : ما أكذبك ولاكنى أخاف من المصرى ، ومن الدعاة التى له فى البلاد ؛ فقال أبوه : أنتخاف ممن هو بعيد عنك وتراقبه ، وتسخط بمن هو قريب وأنت بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك .

لم يقف تيار الدعوة الفاطمية في بلاد العراق رغم ما بذله الخليفة القادر بالله العباسي من مجهود للتضاء على النفوذ الفاطمي في بلاد الدولة العباسية ؛ فقد أتاحت الفرصة لدعاة الفاطميين لمواصلة جهودهم في نشر دعوتهم وصادفوا كثيراً من النجاح حين ساد الاضطراب في بلاد العراق في مستهل القرن الخامس الهجري بسبب تنافس أمراء بني بويه على السلطة ؛ فقام النزاع بين سلطان الدولة الذي ولي الحكم في العراق ، سنة ٤٠٣ هـ وابن أخيه أبي الفوارس ؛ ويعزو ابن الأثير (١) هذا النزاع إلى إغراء الديلم أبا الفوارس بمحاربة أخيه وأخذ ما بيده من البلاد ، كما دارت الحرب بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليبجار الذي استمال إليه بعض أمراء العراق ، واستولى على البصرة وواسط ، ثم تمكن جلال الدولة من استردادهما . كذلك كان لزيادة نفوذ الأتراك أثره في سوء الحالة في بلاد العراق ، فقد أخذوا يتدخلون في تولية أمراء بني بويه وعزلهم ، ويحملونهم على أن يحلفوا لهم على الطاعة والوفاء ، ولم يكن يملك الخليفة إلا تنفيذ رغباتهم . وكان هؤلاء الأتراك ينزعون دائماً إلى الخروج على حكامهم طمعاً في ابتزاز الأموال . وقد قاموا بعدة محاولات ترمي إلى خلع جلال الدولة وتولية ابن أخيه أبي كاليبجار في السلطنة من بعده (٢) .

لم تكن حقيقة الحال في بلاد العراق خافية عن الحكومة الفاطمية في مصر ؛ فلما وصل إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ما حل ببغداد من الفوضى بسبب النزاع والمنافسة بين أمراء بني بويه ، والخلاف بين جند الأتراك ، رأى أن ينتهز هذه الفرصة ليتابع سياسة أسلافه في نشر الدعوة الفاطمية ببلاد العراق ؛ فأرسل في سنة ٤٢٥ هـ إلى بغداد بعض

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٠١ .

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(١٢ م - فاطمير)

دعائه ؛ فاستجاب لهم كثير من الناس (١) .

كان للجهود التي بذلها الفاطميون لنشر دعوتهم عن طريق دعائهم في بلاد الدولة العباسية وعلى الأخص منذ بداية القرن الخامس الهجري أثرها في حمل العباسيين على بث الدعايات السيئة ضد الفاطميين للحط من شأن الخلافة الفاطمية . ولعل أهم ما قاموا به لتحقيق هذه الغاية هو تنفير المسلمين منهم بادعائهم عدم صحة نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة . وقد سار الخليفة القائم بأمر الله العباسي على سياسة أبيه القادر بالله في النيل من الفاطميين ومناهضة نفوذهم ؛ فأصدر ديوانه ببغداد سنة ٤٤٤ هـ محضراً تضمن إنكار انتساب الفاطميين لأهل البيت (٢) .

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ص ٢٧٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥٣ .

٢ - مركز البعاسيرى فى العراق

لم تكن حالة الخلافة العباسية فى عهد القائم بأمر الله أحسن منها فى عهد من سبقه من الخلفاء ؛ فقد تجلى فى أيامه استئثار بنى بويه بالسلطة ، وقيام النزاع والمنافسة بين أمرائهم من جهة ، وبينهم وبين الجند من جهة أخرى ؛ وفى سنة ٤٢٤ هـ ، ظهر التنافس بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليبجار ؛ كما ثار جند الأتراك على جلال الدولة ونهبوا داره وكتبه ودواوينه سنة ٤٢٦ هـ ، وأقاموا الخطبة ببغداد لأبى كاليبجار - وكان إذ ذاك بالأهواز ، غير أنهم ما لبثوا أن اعتذروا له وأعادوه إلى مكة (١) . ولما توفى جلال الدولة سنة ٤٣٥ هـ ، خلفه ابنه الأكبر أبو منصور فيروز الذى لقبه الخليفة « الملك العزيز » ، غير أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بسلطة أبيه فترة طويلة ، فقد أرسل أبو كاليبجار بن سلطان الدولة إلى كبار القوادى يستميلهم إليه ويعدم باغداق الأموال عليهم ؛ فقالوا إلى تأييده وانصرفوا عن « الملك العزيز » ؛ وبذلك استطاع أبو كاليبجار دخول بغداد ، وأقيمت له الخطبة بهذه المدينة فى صفر سنة ٤٣٦ هـ (٢) ، واعترف بنفوذه سائر أمراء العراق .

ظل أبو كاليبجار بعد توليته أمور العراق يعنى بشئون فارس فقضى على حركات الثوار فى أصبهان وكرمان ، كما عمل على إصلاح ما بينه وبين طغرل بك السلجوقى الذى استولى على خراسان والرى ؛ فعقد معه الصلح سنة ٤٣٩ هـ ، وتوثقت عرى المودة بينهما برباط المصاهرة ، يقول ابن الأثير (٣) : « كتب طغرل بك إلى أخيه (إبراهيم بنال) يأمره بالكف عما

(١) ابن خلدون : المعبر ، ج ٣ ، ص ٤٤٨ - ٤٥٠ .

(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٨ - ١٨١ .

(٣) الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٨٤ .

وراء ما بيده ، واستقر الحال بينهما على أن يتزوج طغرل بك بابنة أبي كاليبجار ، ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليبجار بابنة الملك داود أخى طغرل بك . كذلك عمد أبو كاليبجار إلى التقرب من الفاطميين ليتخذهم وسيلة لإرهاب العباسيين حتى لا يحاولوا الاستعانة بالسلاجقة الذين أخذوا يهددون سلطان بنى بويه فى ذلك الحين .

كانت الدعوة الفاطمية إذ ذاك قد لقيت تأييداً عند الديلمة فى فارس على يد الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى (١) الذى قام بدور هام فى نشر الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى فى بلاد الفرس والعراق ، واستطاع بسياسته أن يجذب الملك أباباليبجار البويهى إلى هذه الدعوة (٢) .

وقد وضح هبة الله فى سيرته ، كيف كان يجتمع بالملك أباباليبجار ليلقنه أصول الدعوة الفاطمية ، فقال : « كنت كل ليلة جمعة أمسكث عنده إلى أن يمضى هزيع من الليل ، وهو يسألنى عما يهيجس فى نفسه ، وكنت أجيب عنه جواباً يظهر أكثر تباشير الفرح فى وجهه ، وأسأله كيف وقع هذا الجواب منك ، فربما حرك رأسه يعنى أنه جيد ، فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل فى مسامحة مثله .. » وكان بناء المجالس التى تعقد بمحضرة فى ليالى الجمععات على أن يبتدىء بقراءة شىء من قوارع القرآن ، ويثنى بباب من كتاب الدعائم (٣) ، ويثلى بأن يسأل عما يريد فاجيبه عنه . وأختم

(١) ولد المؤيد فى الدين هبة الله فى شيراز سنة ٣٩٠ هـ وأخذ عن والده موسى بن داود علوم الدعوة الفاطمية ، كما شاهد فى صباه أحمد حميد الدين الكرمانى كبير دعاة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى فارس ، ومن المحتمل أن يكون قد تأثر بمدرسته . وبذل المؤيد نشاطاً كبيراً فى استمالة أمراء بنى بويه إلى الفاطميين .

(٢) مقدمة سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعوة ، ص ١٢ - ١٤ .

(٣) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعوة ، ص ٤٣ .

(٤) يعرف هذا الكتاب باسم « دعائم الإسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام » . وبعد من أهم مراجع فقه الإسماعيلية . وقد ألفه نقاضى أبو حنيفة النعمان =

بالتحميد والخطبة لمولانا الإمام خلد الله ملكه . . . ، ومن جملة ما كنت قررتة معه أننى غير ناهية من استماع ما يريد استماعه من أى لسان كان ، من أى مذهب كان ، ولكن يرجع به إلى ، ويسألنى عما عنده فيه فإن وجد الرجحان فيها عندى لزمه أن يرفض أقوالهم ويعمل بما هو أنجى له وأرجى لخلاصه .

لما رأى الخليفة القائم بأمر الله العباسى الخطر الذى يهدد كيان دولته ومذهبه السنى فى بلاد الفرس والعراق من جراء نشاط المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى نشر الدعوة الفاطمية ، بعث رسولا من قبله إلى الملك أبى كاليبجار يطالب إليه تسليم داعى الفاطميين ويهدده بالاستعانة بالسلاجقة وإغرائهم بالاستيلاء على ما يمتلكه من البلاد^(١) ؛ فلم يحفل أبو كاليبجار فى بادىء الأمر بهذا التهديد ، ثم أنفذ رسالة إلى هبة الله الشيرازى ، حذره فيها من عاقبة بقاءه فى شيراز بقوله^(٢) : « لا شك أن هذه الضجة التى كادت تحرق الأرض وتشق الجبال وقعت فى مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم ، لا يحصوها إلا الله سبحانه ، أعداؤك وخصماؤك ؛ وكانوا أعداءنا فىك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغى الآن أن تأخذ لنفسك وتبتغى سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه الممالك ؛ ثم تأخذ أى صوب شئت . »

على أن الملك أبا كاليبجار لم يكتف بهذه الرسالة التى بعث بها إلى هبة الله

= ابن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمى ، وكان النعمان مالكي المذهب ثم اعتنق المذهب الإسماعيلى ، ودخل فى خدمة عبيد الله المهدي حول سنة ٣١٣ هـ ؛ واقتصر عمله فى عهد المهدي والقائم والمنصور على جمع ونشر مكتب المذهب الإسماعيلى ؛ واتخذ المنصور والمنز قاضيا لهما ؛ وتوفى سنة ٣٦٣ هـ فى خلافة المنز لدين الله .

(راجع : كتاب المنز لدين الله لحسن إبراهيم وطه شرف : ص ٢٥٨) .

(١) سيرة المؤيد فى الدين ، ص ٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ٦٤ .

الشيرازي ، بل أرسل إليه وفداً من كبار رجاله ، فلما التقوا به عبروا له عن أسف الملك للصعاب التي سيلاقها إذا نفذ ما كلفه به من الرحيل عن تلك البلاد ، كما قدموا إليه كتاب الخليفة العباسي الذي تضمن التواعد بطغرك بك والطحين في نسب الفاطميين ؛ وقد جاء فيه (١) : « والقول إنه إن كانت دعوة تعزى إليهم في الأيام المتقدمة ، فلقد كانت في الخفاء والستر .. وإن أحداً ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل (هبة الله الشيرازي) ... من الوقوف في بعض مواقف إظهاره وإشهاره والتجرد لدفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وإزالة أسامينا بالسكينة ، وأنه إذا سارع في بابه وأهمل تسليمه في يد صاحبنا ، فقد أخرجتمونا من عهدة الإيمان والعمود بيننا وبينكم ، وأحوجتمونا إلى استنصار من ينصرنا عليكم .. » .

ظل هبة الله الشيرازي رغم ما وصله عن اهتمام الخليفة القائم بأمر الله بالقضاء على جهوده واضطرار أبي كاليبجار إلى الانصراف عن تأييد دعوته حريصاً على ولائه للفاطميين ؛ فأجاب وفد الملك البويهى الذي أطلعه على كتاب الخليفة العباسي بأنه لا يعرف خليفة غير المستنصر بالله (الخليفة الفاطمي بمصر) ؛ ثم أزمع الرحيل من شيراز وسار قاصداً مصر سنة ٤٣٨ هـ ؛ وهناك سعى إلى لقاء الإمام المستنصر بالله ؛ فوجد من وزيره صدقة بن يوسف الفلاحى ترحيباً لإجابة هذه الرغبة . وقد وصف هبة الله الشيرازي في سيرته (٢) كيف دخل إلى مجلس الخلافة بالقاهرة وحظى بمقابلة الخليفة الفاطمي ، فقال : « فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة وغلبتني العبرة ، وتمتل في نفسي أنني بين رسول الله وأمير المؤمنين - صلى الله عليهما - مائل ، وبوجهي إلى وجهيهما مقابل ، واجتهدت عند

(١) المرجع نفسه ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) ص ٨٥ - ٨٦ .

وقوعى إلى الأرض ساجداً لولى السجود ومستحقته ، أن يشفعه لسانى
بشفاعة حسنة بنطقه فوجدته بعجمة المهابة معزولاً ، وعن مزية الخطابة
معزولاً . . . ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ولا يهتدى لقول ،
وكلما استطرد الحاضرون منى كلاماً ازدادت إعجاباً . وهو خلد الله ملكه
يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة
فترشفتها وتركتها على عيني وصدرى ، وودعت وخرجت . .

ولا شك أن المؤيد فى الدين هبة لله الشيرازى يعد من أخلص دعاة
الفاطميين الذين اتخذوا بلاد المشرق مركزاً لنشر دعوتهم . وقد استطاع
بفضل ما أوتيته من حكمة ودهاء ، وما عرف عنه من حرص على التمسك
بولائه للخلافة الفاطمية أن ينجح فى تحويل كثير من أهالى هذه البلاد إلى
المذهب الفاطمى مما أدى إلى ضعف نفوذ العباسيين فى بعض بلاد المشرق .
وليس أدل على ذلك من أن الديالمه قد أصبحوا - كما يقول المؤيد فى
الدين - « إلى صاحب مصر داعين وباسمه مبايعين » . وكان ذلك مما أثار
حقن الخليفة العباسى ورجال دولته ، فتعاونوا جميعاً على الوقوف فى
وجه دعاة الفاطميين .

وكان الخليفة القائم بأمر الله العباسى وقتذاك يواجه كثيراً من الصعاب
عاقته عن استعادة نفوذه فى دولته ؛ فضلاً عن انتشار الدعوة الفاطمية
فى بعض بلاده ، ظل أمراء بنى بويه رغم تنازعهم وتنافسهم على السلطة
قابضين على زمام الأمور فى بلاد الفرس والعراق ؛ فلما توفى الملك
أبو كالىجار سنة ٤٤٠ هـ ببلدة جناب بكرمان ، استدعى ابنه أبو نصر
خسرو فيروز - وكان ينوب عنه إذ ذاك ببغداد - الجند واستحلفهم ،
كما أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه أن يأذن له بذكر اسمه فى
الخطبة ويلقبه بالملك الرحيم ؛ فأجابه الخليفة إلى طلبه الأول ، وامتنع عن

تلقينه بهذا اللقب (١). وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى ، واستقر ملك الأمير البويهى بالعراق وخوزستان والبصرة (٢) . وكان بعض إخوته ينافسونه في بسط سلطانهم على بعض الولايات حتى أصبحت مدن فارس والعراق مراكز للنزاع بينه وبينهم (٣) .

ومن بين الصعاب التي صادفت الخليفة القائم بأمر الله ثورات الجند الذين كانوا إذ ذاك يتألفون من عناصر مختلفة ، أهمها : العرب والديلم والأتراك ، وقد أثار هؤلاء الجند كثيراً من الشغب في بغداد . وكان العنصر التركي أقوى هذه العناصر نفوذاً ؛ فقد تدخل في عزل بعض أمراء بني بويه وتوليبتهم ، كما قام الأتراك بفتنة في بغداد سنة ٤٤٦ هـ يرجع سببها إلى تدميرهم من وزير الملك أبي كاليبجار الذي ماطلهم في رد الأموال المتبقية لهم ، فحاصروا دار الخلافة بما أزعج الناس وحملهم على إخفاء أموالهم . وبلغت الفوضى ذروتها في بغداد حين ركب جماعة من الأتراك ونهبوا دار الروم ، وأخذوا في نهب الواقفين إلى بغداد ، الأمر الذي أدى إلى غلاء الأسعار وندرة الأقوات . ولما وقف الخليفة العباسي على هذه الأحداث التي ارتكبتها الأتراك ، أرسل إليهم ينهائهم عن إثارة الاضطرابات في المدينة ويطلب إليهم الإخلاء إلى السكنية ، فلم يذعنوا لأوامره ، وظلوا مصدر قلق واضطراب حتى بعد أن رأى وزير الملك الرحيم أن يعيد إليهم الأموال المتبقية لهم (٤) .

(١) ذكر أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٤٦) أن الخليفة القائم بأمر الله لقب الأمير أبا نصر « الملك الرحيم » ، وخلع عليه خلة السلطنة . وكانت الخلع سبع جباب كاملة ، والتاج ، والطورق ، والسوارزين والواوين ، وهذا يخالف ما أورده ابن الأثير (ج ٩ ، ص ١٨٩) من أن الخليفة العباسي لم يوافق على منح الأمير أبي نصر لقب « الرحيم » .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

كان من قواد بني بويه الأتراك في ذلك الوقت أبو الحارث أرسلان البساسيري (١) الذي أعان الملك الرحيم في الاستيلاء على البصرة سنة ٤٤٤هـ من يد أخيه أبي علي بن أبي كاليجار ، ووطد سلطانه (٢) بها ، كما أوقع في السنة التالية بالأكراد والأعراب الذين عاثوا فساداً في بعض بلاد العراق وقطعوا الطريق طمعاً في السلطنة . ولما قامت فتنة الأتراك ببغداد سنة ٤٤٦هـ لم يعمل البساسيري على مؤازرتهم ، بل أقام في دار الخلافة وأظهر استيائه من حركتهم (٣) .

ازداد نفوذ البساسيري في العراق ، بعد أن عينه القائم بأمر الله رئيساً للأتراك ، وما لبث أن استبد بالسلطة في بغداد حتى أصبح الخليفة العباسي لا يقطع أمراً دونه ، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه ، كما هابه أمراء العرب والعجم ، ودعى له على كثير من منابر بلاد العراق والأهواز ونواحيها ، وصار يشرف على ما يدخل بيت المال من الإيراد (٤) . وقد أثار علو شأن البساسيري كوا من الحقد في نفس الوزير أبي القاسم علي ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء ، فأخذ يفسد ما بينه وبين الأمراء والخليفة .

على أن البساسيري وإن كان قد استفحل أمره في بغداد حتى أصبح الخليفة العباسي والسلطان البويهى معه ضعيفي الجانب ، فإنه ما لبث أن

(١) كان أبو الحارث أرسلان مولى لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي وما زالت تنتقل به الأحوال حتى أصبح من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه . وقد عرف بالبساسيري نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها بسا ، وتقع على أربعة مراحل من شيراز ، وبها جمع كبير من الديلم .

(٢) المسكين بن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٧٦ ، ابن ميسر : تاريخ مصر . ص ١١ .

(٣) ابن خلدون : البر ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج ٩ ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ج ٩ ، ص ٣٩٩ — ٤٠٠ ، ابن خلكان وفيات

الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٦ .

واجه بعض الصعاب من جراء ما قام به أبو المعالي قريش بن بدران أمير الموصل من محاصرة مدينة الأنبار والاستيلاء عليها ونهبها ثم إقامته الخطبة على منابرهما للسلطان طغرل بك ؛ فاستاء البساسيري من جرأة أمير الموصل على مهاجمة البلاد التي تحت سلطانه ، وثار ثأرتة حين وصل إليه أن رسولين من قبل هذا الأمير قدما إلى بغداد وأكرم القائم بأمر الله وقادتهما ؛ فعند هذا الموقف من الخليفة تحدياً له وأظهر عدم ارتياحه ، وقال : هؤلاء وصاحبهم (أمير الموصل) كبسوا حلل أصحابي ونهبوا وفتحوا البشوق وأسرفوا في إهلاك الناس ، واستقر رأيه على إلقاء القبض عليهما ، لكنه لم يتمكن من تنفيذ غرضه ، ونسب إلى رئيس الرؤساء (وزير القائم) أنه يقف حائلاً دون تحقيق رغباته ؛ فكان ذلك من أكبر العوامل التي أدت إلى تبدل العلاقات بين البساسيري والخليفة العباسي القائم بأمر الله (١).

على أن رئيس الرؤساء لم يعدل عن خطته في العمل على الكيد للبساسيري وإضعاف شأنه ، فأثار الأتراك البغداديين ضده بانتهامه أنه تسبب في كل ما جرى عليهم من نقص في مرتباتهم ، فأدى ذلك إلى استيائهم منه ، وما لبثوا أن عبروا عن سخطهم عليه في هجومهم على دوره ، واستيلائهم على جميع أملاكه ببغداد ؛ ولم تكن العوامل التي دفعت الأتراك إلى القيام بهذه الحركة خافية عن البساسيري ، فزاد حنقه على رئيس الرؤساء حين ثبت لديه أنه أوعز إلى الأتراك بالخروج عليه (٢).

وكان من الأخطار التي هددت إزاء الخلافة العباسية ، تقرب بني بويه من الفاطميين على يد المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، وميل عدد قليل من جنود بويه من الديلم والأتراك إلى دعوتهم (٣) ؛ بل إن البساسيري

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١١ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

نفسه تأثر بهذه الدعوة ، وأصبح يرى وجوب الانحياز إلى الفاطميين بعد أن ساءت علاقته بالخليفة العباسي وأيقن من إعراضه عنه .

على أن القائم بأمر الله لم يتضح له موقف البساسيري منه إلا بعد أن كتب إليه وزيره (رئيس الرؤساء) أن البساسيري يعمل على خلعهم ؛ وأنه راسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بمصر . فلما تحقق عند الخليفة القائم العباسي صحة ما نسب إلى البساسيري من عزمه على الخروج عليه ومكاتبته الفاطميين بمصر ، عمل على الحد من نفوذه ؛ فأرسل إلى الملك الرحيم البويهى رسالة يقول فيها : « إن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الأعداء (يعنى المصريين) ، وأن الخليفة له على الملك عهداً وله على الخليفة مثلها ، فإن آثره فقد قطع ما بينهما ، وإن أبعد وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره ؛ فأظهر الملك الرحيم استعداده لإجابة طلب الخليفة بإبعاد البساسيري عن بغداد ، كما أن البساسيري نفسه لما علم بما تضمنته رسالة القائم العباسي رحل إلى الحلة (١) حيث نزل على أميرها ديبس بن مزيد لمصاهرة بينهما (٢) ؛ فظل مقبلاً بها حتى اضطر إلى المسير إلى الرحبة (٣) بعد أن دخل طغرى بك بغداد سنة ٤٤٧ هـ (٤) .

لم تكن الحالة في بلاد العراق في الوقت الذى شغل فيه القائم بأمر الله العباسي بالتغلب على الصعاب الداخلية التى واجهته خافية عن السلاجقة الذين ازداد نفوذهم إذ ذاك في شرق الدولة الإسلامية ؛ فعمدوا إلى انتهاز هذه الفرصة لمواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى هذه الدولة . ففى أوائل سنة ٤٤٧ هـ أظهر طغرى بك أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوى صاحبها ، وأمر أصحابه

(١) تعرف بحلة بنى مزيد ، وتقع بين الكوفة وبغداد .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ص ٢١١ .

(٣) مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات .

(٤) ابن خلوت ، المعبر ، ج ٣ ص ٤٦٠ .

بإعداد الأتوات والمؤن ، ثم أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله أنه يدين له بالطاعة ويستأذنه في دخول بغداد - وهو في طريقه إلى مكة - ؛ فأذن له كما أمر الخطباء بإقامة الخطبة له على منابر بغداد ؛ فتم له ذلك في أواخر رمضان سنة ٤٤٧ هـ (١) .

على أن العامة في بغداد ، أظهروا تذمرهم من دخول طغرل بك هذه المدينة وتمكنوا بفضل مساعدة بعض الأتراك من قتل فريق من جند السلاجقة (٢) ؛ فاستاء من ذلك طغرل بك ، واستدعى الملك الرحيم البويهى وأتباعه ، واتهمهم بتدبير ما حدث ، ثم قبض عليهم وأرسل الملك الرحيم إلى قلعة على مقربة من الرى ؛ فظل معتقلاً بها ثلاث سنوات ثم توفي (٣) .

ولما بلغ الخليفة العباسى ما حل بالملك البويهى وأتباعه ، بعث إلى طغرل بك ينسكرك عليه سياسة العنف التى لجأ إليها على أثر دخوله بغداد ويقول : « إنهم إنما خرجوا إليك بأمرى وأمانى ، فإن أطلقتهم وإلا فأنا أفارق بغداد ، فإنى إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً منى أن تعظيم الأوامر الشريفة يزدداد وحرمة الحرم تعظم ، وأرى الأمر بالضد (٤) » . فأطلق السلطان السلجوقى سراح بعضهم ، واستولى على جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم ؛ فكان ذلك مما حمل كثيراً منهم على الرحيل إلى البساسيرى والالتفاف حوله ، فكثرت بهم عدد أنصاره (٥) .

ولما طال مقام السلاجقة ببغداد ، ولحق أهلها بسببهم كثير من الضرر

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٩ ، ص ٤٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٢ .

(٣) Gaston Wiet, Histoire de La Nation Egyptienne Vol. IVP.232

(٤) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٨ .

(٥) ابن خلدون : العبر . ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

والأذى ، رأى الخليفة القائم بأمر الله أن يبلغ عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك بما يعانيه الأهالي من جراء إقامة جند السلاجقة بينهم ؛ فمضى إلى السلطان وأطلعته على حقيقة الحال في بغداد فاعتذر بكثرة الجند وعجزه عن تهذيبهم ؛ وأصدر أوامره بإخراجهم من دور العامة ، ثم ما لبث أن استقر رأيه على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها ، وغادرها في أواخر سنة ٤٤٨ هـ بعد أن ظل بها ثلاثة عشر شهراً لم يحظ فيها بمقابلة الخليفة (١) .

أخذ البساسيري في توطيد علاقاته مع رجال الحكومة الفاطمية في مصر بعد رحيله إلى الرحبة ؛ فأرسل إلى المستنصر بالله الفاطمي يعلن له دخوله في طاعته ، كما تبودلت المكاتبات بينه وبين الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي كان إذ ذاك بالقاهرة يرقب نشاطه في بلاد العراق ؛ ومن بين الكتب التي أرسلها هذا الداعي إلى البساسيري ، كتاب وصله قبيل قدومه إلى الرحبة ، أخبره فيه بأنه سيكون عوناً له ولجنوده البغداديين . فبعث إليه البساسيري كتاباً تضمن شكره والتماسه النجدة . وقد جاء فيه : « فإن أخذتم بأيدينا ، أخذنا لحكم البلاد ؛ وإن قلدتمونا بنجاد نصركم وإنجادكم ، فتحنا من جهنم الأغوار والإنجاد (٢) » .

أيد المستنصر بالله الفاطمي أبا الحارث البساسيري في خروجه على الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، كما عمل على إمداده بالمال والخيول والسلاح . وقد انتهز الوزير أبو محمد الحسن اليازوري (٣) هذه الفرصة لإقصاء الداعي

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ٢١٨ .

(٢) سيرة المؤيد في الدين دامي القضاة ، ص ٩٦ .

(٣) هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ، نشأ في بلدة يازور (وهي قرية من أعمال الرملة) من إحدى الأسر التي كانت تشتغل بالملاحة ، وشغل عدة مناصب ، فولى قضاء الرملة بعد أبيه ، كما عهد إليه النظر في ديوان أم المستنصر ، ثم أسندت إليه الوزارة في =

المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي عن مصر لاستشاره بنفوذ كبير عند الخليفة المستنصر ؛ فرأى أن يعهد إليه بحمل الأموال والأسلحة إلى البساسيري ؛ غير أن المؤيد أدرك حيلة اليازوري ، فأبى في بادئ الأمر القيام بهذه المهمة ؛ فحاول اليازوري أن يثنيه عن رأيه بأن أفضى إليه بموافقة الخليفة على انتدابه سفيراً من قبله إلى البساسيري . ولم يزل يلح عليه حتى عدل المؤيد عن رفضه اصطحاب ركب الإمدادات ، واشترط على الخليفة في كتاب أرسله إليه أن يتولى هذا الأمر دون أن يوجه إليه لوم إذا فشل في أدائه ؛ فقال في كتابه^(١) : . . . وأن على أن أجتهد وأسعى وأكدح ، فما أصبت فيه فيما رحمة من الله وإقبال الدولة أدامها الله تعالى ، وما أخطأت فيه فلا يتوجهن علي عتب ولا ثمة ، ولا تعرضن لي فيما أحل وأعقد يد معترضة .

سار المؤيد لنجدة البساسيري مع فئة قليلة من الرجال ، تحمل الأموال والسلاح والخلع . وقد هاله أن يكون مقدماً على أمر خطير وهو القضاء على الخلافة العباسية دون أن تخرج معه حامية كبيرة ، بل اقتصرت المعونة التي سيقدمها للبساسيري على الأموال والخلع ، وتشمل خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس ، وعدد كبير من السيوف ، وكثير من الرماح والنشاب^(٢) ؛ وعما هو جدير

= السابع من المحرم سنة ٤٤٢ هـ ، وسمح له بالبقاء في وظيفة رئيس خاصة أم الخليفة ولفب بالناصر لدين ، غياث المسلمين الوزير الأجل المكرم ، سيد الرؤساء تاج الأصفاء ، قاضي القضاة ، وداهي الدعاة . وبقى في منصبه حتى قبض عليه المستنصر في أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ بتهمة مراسلته طغرل بك الساجوق ودعوته لغزو مصر .

(راجع ماورد عن اليازوري في ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢١—٢٢٢ ، ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٨—٥ .

(١) سيرة المؤيد ، ص ٩٧—٩٨ .

(٢) أبو الحسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢ .

بالذكر أن وزير المستنصر لم يتردد في أن يضحى بهذه الإمدادات رغم ما كانت تعانيه مصر من أزمة اقتصادية وغلاء حتى إنها لم ترسل ما اعتادت أن ترسله من القمح إلى مكة (١).

وقد وصف المؤيد خروجه من القاهرة بقوله (٢) : « وسرت في جلبة عظيمة ، قد التف فيها من الوحش والركابية المقودين وسفساف الناس من البغالين والجمالين عسكر لو لم يمسسني غير عذابهم عذاباً لكان فيه ما يغني ويكفي . وكان الناس يتمجبون من أمرى . وقد كان موضع العجب ، لعمرى كيف أجرد لمثل هذا الوجه الخطير العظيم رقبتى من دون أن يتبعنى من شيء . يسمى العسكر اثنان ، ويعول بى على عسكر غريب معلوم الشأن ، يستعيز بالله من شرم الثقلان ، عادتهم بالاستخاف بملوكهم معروفة . »

تجلى إخلاص المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى للخلافة الفاطمية فيما قام به من جهود لموازرة حركة البساسيرى في بلاد العراق . وكان الوزير اليازورى قد طلب منه أن يجمع ثلاثة آلاف رجل من العرب الكلبيين بالشام ، يسير بهم إلى الرحبة ؛ وحذره من الاتصال بشمال بن صالح بن مرداس صاحب حلب ؛ غير أن المؤيد أصر على تنفيذ خطته ؛ فسار بما صحبه من الأموال والسلاح والخيول ، وتواعد مع ابن صالح على أن يلقاه في موضع يلى حمص يقال له الروستان (على جسر نهر العاصى) ، وهناك التقى المؤيد بابن صالح ومع كل منهما حامية من الجند . ولما نزلا معرة النعمان لحق بهما فريق من جند البساسيرى . وقد استطاع المؤيد بدهائه وحسن سياسته أن يكسب ثقة شمال بن صالح بن مرداس وأن يستميله إليه ويجعله يبدى استعداداً لمعاونة الفاطميين ، ففتح عند نزوله بباب حلب ما يخصه من الخلع ، ثم دعاه إلى تجديد البيعة للخليفة الفاطمى ، فأجاب إلى

(١) G Wiet, Histoire de la Nation Egyptienne P. 233

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٠٠

ذلك (١). يقول المؤيد: «ولما دخلت حلب جددت عليه من أيمان البيعة في خدمة الدولة ما كانت تميد الجبال لثقله، وتتشقق السموات والأرض من حملة».

أخذ المؤيد بعد وصوله إلى حلب يتأهب للمسير إلى الرحبة حيث يقيم البساسيري وجنده؛ وبينما هو في طريقة إليها، ورد إليه كتاب نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر، يخبره فيه بأنه كان قد انحاز إلى جانب السلاجقة؛ فشاهد من شرهم وغدرهم وظلمهم وجورهم وإطلاقهم الأيدي في الأموال ما جملة يتخلى عنهم، وأظهر رغبته في معاونة المؤيد الذي كتب إليه يرحب به ويطلب منه إقامة الخطبة على منابر بلاده المستنصر بالله الفاطمي (١).

ولما كان المؤيد حريصاً على توحيد كلمة جند البساسيري وبث الطمأنينة في نفوسهم، لذلك طلب من جند الأتراك البغداديين الذين قابلوه وهو في طريقه إلى حلب العودة إلى الرحبة ليخبروا إخوانهم من جند البساسيري بقرب قدومه إليهم لنجدتهم؛ وأنفذ معهم رسالة إلى القواد والحجاب يستميلهم إليه ويدعوهم إلى نصرته، ويبين لهم اهتمام الخليفة الفاطمي بأمرهم، فقال: «وغير خاف عنهم ما كان من إنعام مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بالإحفاء بهم والتلطف بوجه المراجعة إليهم، رغبة فيما يردهم إلى أهلهم وديارهم...»، كما حذرهم من طغربك السلجوقي بقوله: «إذ كانت الطاغية التركانية من حيث أخذت عصا التسيار وإلى حيث انتهت من الديار، لم تنازل ملكاً مولا، ولا سلطاناً معماً بعز الاتساع في العساكر والجيوش

(١) سيرة المؤيد، ص ١٠٠—١٠٢، ١٠٧—١٠٨.

(٢) سيرة المؤيد، ص ١٠٨، ١١٣—١١٥.

فحولا ، ولم تنزل من غير منازل الغدر والخديعة منزلا (١)

واصل المؤيد مسيره إلى الرحبة وبصحبه ثمال بن صالح بن مرداس على رأس جنده من بني كلاب. ولم يكذب يعلم أبو الحارث أرسلان البساسيري بأن ركب المؤيد في طريقه إليه حتى أسرع في الخروج إلى لقائه ومعه جنده البغداديون . وقد رحب البساسيري وجنده بوصول المؤيد إلى الرحبة أحسن ترحيب ، إذ اطمأنوا إلى أن الخليفة المستنصر بالله أجاب ملتزمهم فأعاهم بالمال والسلاح ، وازدادت محبتهم المؤيد حين أخذ يوزع عليهم ويمنحهم الأموال ، وما لبثوا أن عبروا عن ولائهم للخليفة الفاطمي ، فحلفوا له بأيمان البيعة ، وكان منهم من يحلف ويأخذ الذي يأخذه بالشكر ويضعه على الرأس والعين على ماجرت به عادة أخيار الناس ، ومنهم من يستقل القدر الذي يعطاه ويرده ، ظاناً أن الذي يصير إليه من بعد استخلافه فهو كالجزاء عن يمينه التي أقسم بها وهو محقوق بأضعاف ما عرض عليه معها (٢)

ولما فرغ المؤيد من توزيع الخلع والأموال على أتباع البساسيري من الأعراب والأكراد والآتراك ، خلع على البساسيري نفسه في احتفال كبير أقيم لهذا الغرض ، وقرأ العهد الذي أنقذه إليه المستنصر في شهر صفر سنة ٤٤٨ هـ . وقد جاء فيه (٣) : « من عبد الله وولاه معه أبي تمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلا صاحب الجيش : سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأل أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين . . . ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره في ديار العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه في

(١) سيرة المؤيد ، ص ١١٦ — ١١٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٢ — ١٢٤ .

قضاء الآفاق ، المشمرين عن ساعد الجد بما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيد أعواد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ناضرة العود ، رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه — أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقم على رأسك لمزية التقدم راية جمالها ، وينوط بك أمورها كلها ، ويكل إليك عقدها وحلها .

استقر رأى المؤيد بعد وصوله إلى الرحبة على استمالة أمراء العرب لضمان نجاح حركة البساسيري ، فأرسل إلى نور الدولة ديبس بن مزيد صاحب الحلة أن يلحق به في الرحبة ، واستطاع بعد قدومه إليه أن يقنعه بمعاونة البساسيري ، كما أن الخليفة الفاطمي رغبة منه في اكتساب ولاء ابن مزيد وتشجيعه على موازنة البساسيري ، منحه عهداً لقبه فيه «بالمير سلطان ملوك العرب ، سيف الخلافة ، صني أمير المؤمنين» ، كما قلده زعامة عرب العراق ، ومنحه ولاية ما يفتح من البلاد شرقي نهر الفرات .

سار البساسيري على رأس جيشه ومعه ديبس بن مزيد ، كما قدمت إليه نجدة من دمشق ، قوامها السكليون الذين رفضوا في بادئ الأمر المسير مع الجيش إلا إذا انفصل العرب عن غيرهم من جند الأكراد والأتراك ، لكن المؤيد مالبت أن حملهم على العدول عن رأيهم بالأموال التي أغدقها عليهم (١) .

كان من أثر الإمدادات التي وصلت إلى البساسيري أن انتصر هو وأعوانه على جيوش قریش بن بدران صاحب الموصل وقتلهم ابن عم السلطان طغرل بك في موقعة سنجار (٢) سنة ٤٤٨ هـ . وقد لقي قتلهم من أهل سنجار العنت ، كما بالغوا في إلحاق الأذى به . أما قریش بن بدران فقد لجأ إلى نور الدولة ديبس بن مزيد ، فأعطاه خلعة كانت قد أرسلت إليه من مصر ، ثم

(١) سيرة المؤيد ، ص ١٢٧-١٣٠ .

(٢) تقع بنواحي الجزيرة على مقربة من الموصل .

انحاز إلى جانب البساسيري وسار بصحبته إلى الموصل حيث أقاما الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي (١).

أيقن المؤيد أن نجاح حركة البساسيري ودخوله بغداد، يتوقف على تحقيق أحد أمرين: إما القضاء على قوة السلاجقة بها أو تشتيت شمل جيوشهم في معارك متفرقة، ومن ثم عمد إلى مراسلة بعض الأمراء الذين كانوا على اتصال بالسلاجقة وحاول أن يستميلهم إلى جانبه؛ كما أرسل كتاباً إلى عميد الملك الكندري - وزير طغرل بك - قلل فيه من شأن الخليفة العباسي فقال: « وكثر العجب من السيد (عميد الملك الكندري) على ماقرأه من السَّير وعرفه من أنباء الأمر أن يكون العباسي (القائم بأمر الله) عنده خليفة الله... ولم تعتقد فرقة من فرق الإسلام أن العباس (ابن عبد المطلب) خليفة أصلاً، وسوى هذا فإنه على عدم الخلافة عادم لصدق القول وصدق اليقين وحسن الوفاء... كما أشار في كتابه إلى أن ابن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله هو الذي أغرى السلاجقة بدخول بغداد، وأن هذا العمل الذي قاموا به لا يعد نصراً كبيراً لهم. ونوه في خطابه بعلو شأن الخليفة الفاطمي وبسيادته على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز وبما لديه من الأموال والأسلحة والعساكر (٢).

كان المؤيد يرمى من وراء هذه الرسائل التي أنفذها إلى بعض أمراء العرب دعوتهم إلى تأييد الفاطميين، كما أن رسالته إلى وزير طغرل بك كان الغرض منها صرف السلاجقة عن تأييد العباسيين؛ غير أن هذه المكاتبات جميعها لم تؤد إلى تحقيق الغاية التي أرسلت من أجلها، ذلك أن عميد الملك الكندري كان في الوقت الذي وصلتته رسالة المؤيد يعمل على تفريق شمل أمراء العرب ويفريهم بإسناد بعض الولايات إليهم، فيعد أحدهم بالموصل،

(١) ابن الأثير، ج ٩، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) سيرة المؤيد، ص ١٥٤-١٥٦.

على حين يمتنّى غيره بولاية البصرة وواسط (١) وقد أدت هذه السياسة التي اتبعها عميد الملك إلى اختلاف كلمة هؤلاء الأمراء وعدوهم عن معاونة البساسيري ، بل إن بعضهم كنز الدولة دبّيس بن مزيد وقريش بن بدران بعث إلى طغرلبيك يستعطفه ؛ فعفا عنهم ، واضطر البساسيري إلى العودة إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون وجماعة من بني عقيل (٢).

ظل المؤيد حريصاً على التودد للأمراء العرب بالعراق رغم ملاحظته من ترددهم في نصرة البساسيري ؛ فأرسل كتبه إلى كل من نور الدولة دبّيس بن مزيد وقريش بن بدران رغبة في الإبقاء على مودتهم . ثم أزمع الرحيل إلى الرحبة ، ومنها سار إلى حلب حيث التقى بأميرها ثمال بن صالح ابن مرداس ، ولحق به البساسيري ، فنزل بموضع يسمى بالس على مقربة من حلب وبصحبتة قريش بن بدران ونخبة من وجوه بني عقيل .

أخذ نفوذ السلاجقة في بلاد العراق في الازدياد منذ عودة طغرلبيك إلى بغداد سنة ٤٤٩ هـ إذ قابل الخليفة القائم بأمر الله الذي أفاض الخلع عليه وخاطبه بملك المشرق والمغرب ، وطلب وزيره أن يبلغه هذا القول : « إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفعلك ، مستأنس لقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عبادته ، فاتق الله فيما ولاك ، وأعرف نعمته عليك في ذلك ، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية (٣) » .

على أن طغرلبيك رغم ذلك لم ينعم بالاستقرار في دولته فخرج عليه أخوه لأبيه إبراهيم بنال الذي كان قد استولى على بلاد الجبل (٤) وهمذان

(١) سيرة المؤيد : ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٤) اسم لبعض بلاد ماوراء طبرستان .

وامتد سلطانته على ما حولها من البلاد إلى حلوان سنة ١٢٧ هـ ، ثم طلب منه طغرلبيك أن يسلمه همذان ، فرفض في بادئ الأمر ؛ غير أنه ما لبث أن اضطر إلى النزول عنها بعد أن هزم في القتال الذي دار بينه وبين أخيه (١) . وظل الخلاف منذ ذلك الوقت قائماً بين طغرلبيك وإبراهيم بنال الذي بعث رسولا من الموصل إلى حيث يقيم البساسيري ، وقريش بن بدران وكان ظاهر رسالته الترغيب في الدخول في طاعته ليقلدهما ولاية البلاد ، أما باطنها فتضمن مخاطبة المؤيد ليرسل إليه الخلع والأموال والألقاب والألوية التي يلتبسها من الخليفة الفاطمي ، حتى إذا ماتغلب على طغرلبيك وخلفه في الملك جعل الخطبة للفاطميين ، بالخلافة والإمامة مقدمة على خطبته . ولما وقف المؤيد على ما تضمنته رسالة إبراهيم بنال ، تعهد بأن يجيب طلبه فيما يتعلق بالمال والخلع والألقاب (٢) .

لما وثق المؤيد من أن جهوده في سبيل نشر الدعوة الفاطمية ببلاد العراق قد كللت بالنجاح ، استقر رأيه أثناء إقامته بحلب على العودة إلى مصر ، ويترك البساسيري وجنده البغداديين وغيرهم من أعوانه يواجهون السلاجقة والعباسيين ؛ غير أنه لم يفصح عن خطته في العدول من متابعة البساسيري إلا حين وصله خبر خروج إبراهيم بنال من الموصل وتركها بها حامية صغيرة من جند السلاجقة ، فاتهز هذه الفرصة وقال للبساسيري : « قد آن لك أن ترجع إلى الرحبة وتتدبرها وتستعين على وقتك بارتفاعها ، ونحن بعد ذلك نسوق إليك كل سنة مالا كثيراً يكون إضافة إلى ما تستجلبه الرحبة ، فتتسع يدك ولا تنقاص حالك ، ثم وجه حديثه إلى قريش بن بدران بقوله : « وأنت يا قريش قد حان لك أن ترجع

(١) ابن خلدون . المعبر ، ج ٣ ص ٤٦٢-٤٦٣

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٧٥-١٧٦ .

إلى بلدك الموصل . . . واثردمة التي بها فلا قبل لهم بالثبات في وجهك ،
لا سيما إذا شد منك البساسيري . . . وقد استطاع المؤيد بما عرف عنه من
سعة الخيلة أن يقنعهما بوجهة نظره ، ثم مضى في طريقه إلى مصر (١) ،
ورحل البساسيري وقریش بن بدران من حلب لمواصلة جهودهما في نشر
نفوذ الفاطميين بمدن العراق .

كانت ثورة إبراهيم ينال على أخيه طغرل بك مما مهد السيل أمام
البساسيري لتحقيق أغراضه ، ذلك أن إبراهيم ينال لما غادر الموصل إلى بلاد
الجيل سنة ٤٥٠ هـ ، عزى السلطان طغرل بك رحيله إلى خروجه على طاعته
وبعث إليه رسولا يستدعيه ومعه الخلة التي خلعها عليه الخليفة العباسي ؛
فعاد إبراهيم إلى السلطان - وهو إذ ذاك ببغداد - . ولما أيقن البساسيري
وقریش بن بدران أن القوة التي تركها إبراهيم بالموصل من الضعف
بحيث يسهل عليهما التغلب عليها ، زحفا على هذه المدينة وتمكنا من
الاستيلاء عليها (٢) .

كان للصعاب التي واجهت السلطان طغرل بك من ناحية البساسيري
أسوأ الأثر في نفسه ، ففضلا عن الهزيمة التي لحقت جيوشه بسنجار
انتزعت منه الموصل ، لذلك نراه يتأهب لدفع الأخطار عن البلاد التي تحت
سلطانه . فأنفذ كتبه إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر ويستنفر الناس
خفافا وثقالا ، حتى حشد من الحشود الجم الغفير والعدد الكثير . وجعل
قصد الشام ، ومصر همه ، علما بأن تلك الجموع التي اجتمعت على قدمه
ودفعه بعيدا تجتمع (٣) . . . وسرعان ما تحقق ظن طغرل بك فيما يتعلق

(١) سيرة المؤيد ، ص ١٧٦-١٧٨ .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ، ابن خلدون . العبر ،

ج ٣ ، ص ٤٦٣ .

(٣) سيرة المؤيد . ص ١٧٩ .

بالموصل ، فقد انسحب منها كل من البساسيري وقريش ابن بدران ، فلما سار إليها لم يجد بها أحداً ، ثم اتجه إلى نصيبين ليتبع آثارهم ، ويخرجهم من البلاد التي يستولون عليها . وبينما هو في طريقه فارقه أخوه إبراهيم ينال الذي سار نحو همدان فوصلها في أواخر شهر رمضان سنة ٨٤٥ هـ .

وقد أشار ابن الأثير (١) إلى العوامل التي دفعت إبراهيم ينال إلى الخروج على أخيه طغرل بك بقوله : « وكان قد قبل إن المصريين كما تبوءه والبساسيري قد استماله وأطمعه في السلطنة والبلاد » . ومن الثابت أن إبراهيم ينال كان على اتصال بداعي الفاطميين المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي . ونستدل على ذلك من قول المؤيد نفسه : « وكشف القناع عما كان استقر بيني وبين إبراهيم ينال ، كما أتاني رسوله الصوفي وأنا بحلب (٢) » .

أدرك طغرل بك الخطر الذي يهدد سلطانه من جراء خروج أخيه إبراهيم ينال عليه ومن ثم عول على السير في أثره حتى يتسنى له إخضاعه ، ولحق به من كان يتبعه من الأتراك (١) . وقد وصف المؤيد (١) خروج طغرل بك لمحاربة أخيه بقوله : « فاخبط طغرل بك وعسكره ، ففرقوا ، وهام طغرل بك على وجهه مقتفياً لأثره حتى غاب حسه ولم يدر أي طريق سلك ، وفي أي واد هلك » .

ولم يكن جيش طغرل بك من القوة بحيث يمكنه إحراز النصر على أخيه ، بينما اجتمع إلى إبراهيم ينال كثير من الأتراك الذين كانوا ينقمون على طغرل بك وحلف لهم أن لا يصلح أخاه ولا يدخل بهم العراق لـ « كثرة نفاقه » ، كما أتى إليه بعض أبناء أخيه أرتاش مع كثير من جندهم ، فاشتد بهم ساعده

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٩ ص ٢٢٣ .

(٣) سيرة المؤيد : ص ١٧٩ .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٢) سيرة المؤيد : ص ١٨٠ .

وقوى أمره . واضطر طغرلبيك إلى التوجه إلى الري حيث استنجد بابن أخيه ألب أرسلان وطلب منه المعونة . فأقبل إليه ألب أرسلان من سجستان إلى حدود العراق ، وفي ١٩ من جمادى الآخرة سنة ٤٥١ هـ هزم إبراهيم ينال بالقرب من الري وأخذ أسيراً إلى طغرلبيك الذي قتله في نفس السنة تخلصاً منه (١) .

انتهر البساسيري فرصة انشغال طغرلبيك بإخماد حركة أخيه إبراهيم ينال وزحف إلى بغداد على رأس أربع مائة فارس حاملاً الرايات المستنصرية التي كتب عليها (٢) : « الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أبو المؤمنين » ، كما سار معه قريش بن بدران في مائتي فارس من بني عقيل ، وتمكن من الاستيلاء عليها في ٨ ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ دون مقاومة تذكر . فمال إليه أهل الكرخ لكونهم من الشيعة ورحبوا بقدومه . وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة أقام البساسيري الخطبة بجامع المنصور للمستنصر بالله الفاطمي ، كما أمر بأن يؤذن بحي على خير العمل ، ثم خطب للخليفة الفاطمي على جميع منابر بغداد ، وضرب السكة باسمه ، وبعث إليه يبشره بفتح بغداد وإقامة الدعوة له . وقد وصف المؤيد دخول البساسيري هذه المدينة بقوله (٣) : « ولما رأى البساسيري أن الله سبحانه قد قطع (بطغرلبيك) الأسباب . . . علم أن بغداد فريسة لمن طلب وقبضة لمن رغب ، فزحف بالرايات المستنصرية ، وصادف فيها أرضاً تعج إلى الله تعالى من ظلم التركمانية وقلوباً ملئت غيظاً من العباسي وابن المسلمة الذي كان

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٣

ص ٤٦٣ .

(٢) أبو الفدا . المختصر في أخبار البصر . ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ . ج ٩ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، أبو المحاسن النجوم

الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١ ، ٦ .

سبب استدعائهم وتسليطهم على حرم الناس وأموالهم ودمائهم . فكان قدوم البساسيري عليهم كنزير الرحمة من سمائهم . فشدوا حيازيمهم معه لإقامة الدعوة المستنصرية على بغداد .

ضعفت سلطة الخليفة القائم بأمر الله العباسي بدخول البساسيري بغداد ، وانصرف عن تأييده كثير من الناس مما اضطره إلى طلب الأمان من قريش بن بدران ، فأمنه ، كما أعطى أماناً لرئيس الرؤساء ؛ فاستاء من ذلك البساسيري وأرسل إلى قريش بن بدران يقول : أتخالف ما استقر بيننا ؟ - وكانا قد تحالفا ألا يتفرد أحدهما عن الآخر بشيء ، ويكون العراق بينهما نصفين - ؛ فقال قريش : ما عدلت عما استقر بيننا ، عدوك ابن المسلمة (يعني رئيس الرؤساء) نخبذه . وأنا آخذ الخليفة ، فرضي البساسيري بذلك (١) .

عول البساسيري بعد أن استقر له الأمر في بغداد على التخلص من رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة ، فلما قدم إليه قال له : مرحباً بمدمر الدولة ومهلك الأمم ، ومخرب البلاد ، ومبيد العباد . فقال له ابن المسلمة : العفو هند المقدرة ، فقال : قد قدرت فسا عفوت ، وأنت تاجر صاحب طيلسان . ولم تبق على الحريم والأموال والأطفال ، فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سيف . وقد أخذت أموالى وعاقبت أصحابي ودرست دورى وسيتنى وأبعدتنى . كذلك أظهر العامة نعمتهم على ابن المسلمة حين قدم لمقابلة البساسيري وهموا بالاعتداء عليه . غير أن البساسيري حال بينه وبينهم . ثم أمر بقتله (٢) .

أما فيما يتعلق بالخليفة القائم بأمر الله العباسي . فإن البساسيري كان

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٩ .

(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٠ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ .

قد عزم على أخذه من قريش بن بدران وإرساله إلى مصر وحدث خلاف بينهما حول ذلك (١)؛ فرأى قريش أن يبعث به مع ابن عمه الأمير محبي الدين مهارش بن المجلى العقيلي إلى حديثة (٢) عانة؛ فأنزله بها مع أهله وحرمة وحاشيته (٣). وكان البساسيري قد أرغمه قبل مغادرته بغداد على كتابة عهد. اعترف فيه بأنه لا حق لبني العباس ولا له في الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظاً بقصر الخلافة حتى استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على محتوياته سنة ٥٦٧ هـ، فأنفذه إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله في بغداد مع بعض التحف والهدايا على أثر وفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر (٤).

كذلك أرسل البساسيري إلى المستنصر بالله ثوب الخليفة القائم العباسي وعمامته وشباكه (٥) الذي كان يجلس فيه، وغير ذلك من الأموال والتحف. وقد أثار وصولها وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماساً عظيماً بين أهالى مدينة القاهرة الذين أقاموا الزينات ابتهاجاً بهذا النصر (٦)، كما سر الخليفة المستنصر وأنفق كثيراً من الأموال لإعداد القصر الذى بناء العزيز ويعرف باسم القصر الغربى الصغير ليكون مقراً لإقامة الخليفة القائم

(١) انظر: ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ١٩٠-١٩٥.

(٢) تقع بالقرب من الأبار.

(٣) ابن خلدون: المعبر، ج ٤، ص ٢٦٦.

(٤) القريرى: خطط، ج ١، ص ٤٣٩.

(٥) كان هذا الشباك كهفة يجلس فيها الخليفة ويعتمد يديه على حافته، وقد بقى محفوظاً عند الخليفة الفاطمى حتى نقل إلى دار الوزارة التى عمرها الأفضل بن بدر الجمالى؛ فصار يجلس فيه الوزير وينكئ عليه، وما زال بها إلى أن عمّر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكر الحاقاه الركنية، فأخذ من ألقاض دار الوزارة شباك الخليفة العباسى وجعله فى لقيه.

(٦) راجع ماورد فى القريرى: خطط، ج ١، ص ٤٣٩.

(٦) القريرى: خطط، ج ٢، ص ١٢٥.

بأمر الله (١). إذا ما تحقق أمله في القبض عليه . وكان من بين مظاهر الاحتفال باستيلاء البساسيري على بغداد وإقامة الخطبة باسم المستنصر على منابرها أن وقفت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة تنشد هذين البيتين :

يا بني العباس صُدُّوا ملك الأمر معدُّ
ملككم كان معاراً والعواري تستردُّ

فأعجب المستنصر بغنائها وأقطعها أرضاً لا تزال تعرف إلى اليوم في مدينة القاهرة باسم أرض الطباله (٢).

على الرغم من المجهودات التي بذلها البساسيري في سبيل نشر نفوذ الخلافة الفاطمية ببغداد ، فإنه لم يتلق من الخليفة المستنصر بالله ما يشجعه على مواصلة القيام ببسط سلطانه على بلاد العراق ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى حقد الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي (٣) عليه . وكان هذا الرجل قد رحل إلى بغداد وانضم إلى البساسيري ، وما لبث بعد ذلك أن انقلب معادياً له وفر إلى مصر حيث أخذ يحذر الخليفة من عاقبة أطاعه (٤) ، فتخوف منه المستنصر وصار لا يُعنى بإجابة طلباته ؛ غير أن البساسيري

(١) القريري : خطط ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧ .

(٣) نشأ أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد على المغربي في مصر في عهد الحاكم بأمر الله ، ثم سار إلى العراق بعد أن تسكن هذا الخليفة بعض أفراد أسرته . وما زالت تثقل به الأحوال حتى عاد إلى مصر في عهد المستنصر وأصطنعه وزيره أبو محمد الحسن البازوري . فولاه ديوان الجيش . وأصبح منذ ذلك الوقت موضع رعاية أم المستنصر . ولما آتت الوزارة إلى أبي الفرج عبد الله بن محمد البابلي بعد وفاة البازوري ، قبض عليه ، فلم يزل معتقلاً حتى أسند إليه منصب الوزارة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠ هـ ولقب بالوزير الأجل الكامل الأوحدي صني أمير المؤمنين وخالسته ؛ وظل يتقلد هذا المنصب حتى هزل في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٤٥٢ هـ ، ثم ولي ديوان الإنشاء ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ .

(٤) القريري : خطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١ .

رغم ذلك حرص على إخلاصه للخليفة الفاطمي ؛ فأخذ يتابع إغاراته في بلاد العراق حتى استولى على واسط والبصرة ، ثم أمر بإقامة الخطبة فيهما للمستنصر بالله (١) . وقد علق أبو المحاسن (٢) على موقف المستنصر من البساسيري بعد دخوله بغداد بقوله : « ولولا تخوف المستنصر من البساسيري وترك تحريضه على ما هو بصدده ، لكانت دعوته تتم بالعراق زمناً طويلاً » .

لما تم طغربك القضاء على حركة أخيه إبراهيم ينال عول على المسير إلى العراق لإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته ؛ فأرسل إلى البساسيري وقريش بن بدران يطلب منهما إعادة الخليفة العباسي إلى بغداد ويقول إنه سيقنع بذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة ، ولا يدخل العراق (٣) . كذلك أنفذ طغربك وهو في طريقه إلى العراق الإمام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران يشكره على حسن معاملته للخليفة ومحافظته على حياته ، ويخبره بأنه عهد إلى ابن فورك بمصاحبة القائم بأمر الله في عودته إلى بغداد (٤) .

لم يحب البساسيري طغربك إلى طلبه ، كما أن قريش بن بدران سعى لدى الأمير محي الدين مهارش صاحب الحديثة ليحول درن عودة الخليفة العباسي إلى بغداد . وكان يرى أن تحقيق هذه الغاية قد يؤدي إلى عدول السلاجقة عن السير إلى العراق . ويتبين لنا ذلك من رسالته إلى الأمير مهارش التي جاء فيها (٥) : « قد علمت أننا أردنا الخليفة عندك ثقة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البصر ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ .

ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢١٥ - ٢١٧ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ - ٣٠٧ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

بأمانتك ، وقد طلبوه الآن . وربما قصدوك وحصروك وأخذوه منك ،
نخذه وارجل به وأهلك إلى البرية . فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا في
البرية لم يصدوا العراق ونحكم عليهم بما نريد . لكن الأمير مهارش رأى
ألا يذعن لرغبة قريش بن بدران ؛ فبعث إليه يقول : « كان بيني وبين
البساسيري عهد وموائق نقضها ، وأن الخليفة استحلقتني بعهود وموائق
لا مخلص منها ، ثم أزمع المسير إلى بغداد بصحبة الخليفة في ١١ ذى القعدة
سنة ٤٥١ هـ (١) .

كان طغرلبيك إذ ذاك في طريقه إلى بغداد ، فلما اقترب منها أدرك
البساسيري أنه لا قبل له بمقاومته لأنه لم يتلق من مصر مساعدات أخرى
تمكّنه من الوقوف في وجه السلاجقة ، ومن ثم خرج من بغداد مع جنده
وسار قاصداً الكوفة في اليوم السادس من ذى القعدة سنة ٤٥١ هـ (٢) .

رأى طغرلبيك أن يبالغ في الاحتفال بعودة القائم بأمر الله إلى بغداد
ليظهر له مدى إخلاصه له ؛ فأرسل إليه وهو في طريقه إلى هذه المدينة
وزيره عميد الملك الكندري والأمراء والحجّاب ليقوموا على خدمته . ولم
يكتف بذلك ، بل خرج لاستقباله عند وصوله إلى النهر وان وقبل الأرض
بين يديه ، وأبدى له اغتباطه بعودته ، كما اعتذر له عن تأخره في نجدة
بانشغاله في إخماد فتنة أخيه إبراهيم ينال ، وقال له إنه عزم على المضى خلف
البساسيري ، والمسير إلى الشام ، والوقوف من الخليفة الفاطمي بمصر
موقفاً حازماً يتلاءم مع أفعاله (٣) .

خلت مدينة بغداد من أعيانها في الوقت الذي عاد فيه الخليفة القائم
بأمر الله إلى مقر خلافته حتى لم يكن في استقباله منهم غير القاضي أبي عبد الله

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٧

(٢) أبو القدا : المختصر في أخبار البصر . ج ٢ ، ص ١٧٨ — ١٧٩

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

الدامغاني وثلاثة من الشهود ، وأظهر طغرل بك حرصه على الاحتفاء
بقدمه - وكان قد سبقه في المسير إلى هذه المدينة - ؛ ولم يكد يستقر الأمر
للخليفة العباسي في بغداد حتى عهد السلطان إلى القائد خمار تكين الطغرائي
بالمسير على رأس ألفي فارس إلى الكوفة حيث يقيم البساسيري ، كما ضم
إليه طائفة من الجند بقيادة ابن منيع الخفاجي وسار بنفسه في أثرهم . ولم
تزل قواته تتعقب البساسيري حتى أوقعت به الهزيمة عند الكوفة ، وقضت
عليه في ذي الحجة سنة ٤٥٥ هـ (١) . وبذلك تيسر لطرل بك القضاء على حركة
البساسيري وإعادة الخطبة في بغداد للخليفة القائم بأمر الله العباسي .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : المعبر ، ج ٣ ،

٣ - زوال نفوذ الفاطمي ببلاد العراق

بعد دخول السلاجقة بغداد

ازداد نفوذ السلاجقة في بلاد العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، فاستأثر طغرل بك بالسلطة دون القائم بأمر الله بعد أن أنقذه من تحكم البساسيري وأعادته إلى مقر خلافته ، وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة حتى أصبحت حالة الخلفاء العباسيين لا تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه في أيام بني بويه ، ذلك أنه بينما كان أمراء بني بويه يقيمون في بغداد ويستبدون بالسلطة فإن السلاجقة استأثروا بالنفوذ في بلاد العراق ، أضف إلى ذلك أن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي كانوا يعيشون من إقطاعات مقرررة يستولون على دخلها (١) . ولم يبق لهم من سلطانهم القديم سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة .

على أن معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين كانت أفضل بكثير من معاملة بني بويه لهم ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى اعتناق السلاجقة المذهب السني الذي يعد الخليفة العباسي رئيسه الأعلى . وقد ذكر أرنولد (٢) أن السلاجقة كانوا لا يحترمون الخليفة لمركزه السياسي ، بل لأنه خليفة الله في الأرض .

ضعف شأن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي ؛ فقد عمل السلاجقة على الحد من نفوذهم ، بل تعسف بعضهم في معاملتهم ؛ من ذلك ما قام به السلطان ملكشاه ، إذ صمم على طرد الخليفة المقتدى من بغداد سنة ٤٨٥ هـ

(١) ابن الأثير : تاريخ دول الأتابكة ، ٩١-٩٢ .

(٢) The Caliphate. P. 80

لأنه رأى فيه ميلا إلى التدخل في الحكم (١)، كما أخذ السلاجقة من الخليفة المسترشد بردة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كان الخلفاء يرتدونها عند توليتهم الخلافة أو عند حضورهم الحفلات الدينية (٢).

كان السلاجقة يدركون الخطر الذي يهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الشرق الإسلامي، ومن ثم وجهوا سياستهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد سنة ٤٥١ هـ إلى مناهضة هذا النفوذ وقد صادفهم كثير من النجاح في تحقيق هذه السياسة؛ فأقام أمير مكة محمد بن جعفر الدعوة لكل من الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٤ هـ (٣)، وفي السنة التالية تمكن ألب أرسلان من بسط سلطان السلاجقة على حلب، كما أصبحت دمشق سنة ٤٦٨ هـ تحت سيادتهم، وأبطل فيها الأذان بحى على خير العمل (٤)؛ وهو يعد من من مظاهر المذهب الشيعي التي كانت سائدة إذ ذاك في الأراضي الخاضعة لنفوذ الفاطميين.

كذلك حرص السلاجقة على تعقب دعاة الإسماعيلية الذين قاموا بنشر الدعوة للفاطميين في بلاد الفرس، كما تعصبوا للمذهب السني، وبلغ من تعصبهم لهذا المذهب أن أقصوا غير السنيين عن وظائف الحكومة؛ وأحسن مثل لذلك ما قام به نظام الملك وزير السلطان ملكشاه الذي فصل الحسن بن الصباح من ديوان السلاجقة بسبب اعتناقه المذهب الإسماعيلي واتصاله بدعاة الفاطميين (٥).

وعلى الرغم من اهتمام السلاجقة بالقضاء على دعاة الإسماعيلية، فإن كثيراً من هؤلاء الدعاة تبجلى نشاطهم منذ أواخر القرن الخامس الهجري

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٨١—١٨٢.

(٢) Arnold The Caliphate P. 80

(٣) راجع كتاب « النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب » للؤلف ص ٢١—٢٢.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨٠.

(٥) طه شرف: كتاب « دولة التزارية » ص ٤١—٤٢.

في بلاد الفرس ، و يرجع السبب في ذلك إلى بعد هذه البلاد عن بغداد مركز الخلافة العباسية ، كما أن السلطان ألب أرسلان (٤٥٤ - ٤٦٥) بالغائه نظام البريد جعل من المتعذر على السلاجقة استقصاء أخبار دولتهم مما ساعد الإسماعيلية على إحكام أمورهم في شرق الدولة الإسلامية . وقد وضع البنداري (١) ذلك بقوله ، وكان منهم رجل من أهل الرى . . . ، وكانت صناعته الكتابة ، نخفي أمره ، حتى ظهر ، وقام من الفتنة كل قيامة ، واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة ، وبدأ من القتل والقتك بأمور شنيعة ، وخفيت عن الناس أحوالهم ، ودامت حتى استتب على استتار ، بسبب أنه لم يكن للدولة أصحاب أخبار . :

أما عن الدعوة الإسماعيلية في بلاد العراق فإنها لم تظفر بكثير من النجاح في أوائل العهد السلجوقي لأن هذه البلاد كانت مقراً للخلافة العباسية السنية التي كان من أهم أركان سياستها مناهضة أتباع المذهب الإسماعيلي ، كما أن السلاجقة من ناحية أخرى عمدوا إلى تعقب دعاة هذا المذهب ، وفضلاً عن ذلك فإن الخلافة الفاطمية في مصر لم تعمل منذ منتصف القرن الخامس الهجري على مواصلة جهودها لنشر دعوتها في بلاد العراق ، كما كانت الحال عند قيام البساسيري بحركته ، بل اقتصر اهتمامها على الاحتفاظ بما تبقى لها من نفوذ في الجزيرة العربية ، وتأييد دعاة الإسماعيلية في بلاد الفرس واليمن الذين استطاعوا باتخاذهم هذه البلاد مركزاً لهم أن يكونوا بعيدين عن تنكيل العباسيين والسلاجقة بهم .

وليس من شك في أن اضطراب الحالة الداخلية في مصر في أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمي ، كان له أثر كبير في صرف الحكومة الفاطمية عن الاهتمام بنشر دعوتها في بلاد العراق ؛ فقد ظهر التنافس بين العناصر

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(م ١٤ - فاطمين)

الأجنبية وبخاصة الأتراك والبيزنطيين . كما خرج ناصر الدولة الحسين بن حمدان النعلبي الذي كان يتولى قيادة الأتراك على طاعة الخليفة الفاطمي . وبعث سنة ٢٦٢ هـ إلى ألب أرسلان سلطان السلاجقة بالعراق رسماً لا من قبله ، يسأله أن يرسل إليه نجدة ليقم الدعوة العباسية على أن تؤول إليه السيادة على مصر ، فرحب ألب أرسلان بذلك ؛ غير أنه ما لبث أن شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ثم مصر (١) .

لما بلغ المستنصر أن ناصر الدولة أرسل إلى ألب أرسلان يستدعيه إلى الديار المصرية ، جهز إليه عساكر كثيرة من الأتراك لمحاربتة بإقليم البحيرة فأوقع بهم ناصر الدولة الهزيمة وغنم منهم مغانم كثيرة ، وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي في الإسكندرية ودمياط ، وجميع أنحاء الوجه البحري ؛ وحال دون وصول الأقوات إلى القاهرة ومصر (٢) . وكان مما زاد الحالة سوءاً تلك المجاعة التي بدأت بانخفاض النيل سنة ٤٥٧ هـ واستمرت سبع سنين ، فقلت الأقوات واشتد الغلاء . وقد عانى الأغنياء وكبار رجال الدولة من هذه المجاعة مثل ما عاناه الفقراء تماماً ؛ واضطر بعض أصحاب النفوذ والأعيان إلى مغادرة مصر والرحيل إلى بلاد الشام والعراق (٣) .

ظل ناصر الدولة بن حمدان يبذل أقصى جهده لإضعاف شأن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي والاستئثار بالحكم ؛ وتجلى خروجه على طاعته سنة ٤٦٤ هـ حيث عارذ القيام بحذف اسمه من الخطبة في الوجه البحري ، كما بعث إلى القائم بأمر الله العباسي ببغداد يلتمس الخلع . ثم قدم إلى القسطنطينية على رأس جيش كبير من العرب والبربر وتولى الحكم فيها ، وأنفذ إلى المستنصر رسولا يطلب منه الأموال . ولم يكتف بذلك بل سار إلى القاهرة

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ١٩٠ ، ص ٢ .

(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٠ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٢ ، أبو المحاسن : انجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٠ .

وبالغ في إهانة الخليفة الفاطمي وأظهر ميله إلى مذهب أهل السنة . واضطر كثير من أقارب المستنصر إلى النزوح إلى المغرب والعراق . على أن ناصر الدولة لم تستقر له الأمور طويلاً بالقاهرة ، فسرعان ما ثار به الأتراك الذين كانوا إذ ذاك من أهم عناصر الجيش الفاطمي ونجحوا في القضاء عليه والتخلص من جميع أفراد أسرته (١) .

لم تكن الظروف مهيأة في أواخر القرن الخامس الهجري لتستعيد الدعوة الفاطمية مكانتها في بلاد العراق ؛ فقد ضعف أمرها وأصبحت مهددة بالزوال من جراء ذلك النزاع الذي نشأ حول الخلافة الفاطمية بعد وفاة المستنصر سنة ٨٧٧ هـ والذي ترتب عليه انقسام الإسماعيلية في مصر وبلاد الشرق الإسلامي إلى طائفتين ، عرفت الأولى بالنزارية ، أما الثانية فتعرف بالمستعلية . وقد انحاز دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن إلى هذه الفرقة التي اتخذت مصر مقراً لها ، وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلي (٢) ، بينما انحاز غيرهم من الدعاة في بلاد الفرس بزعامة الحسن بن الصباح إلى نزار وادعوا أن المستعلي اغتصب منه الخلافة والإمامة (٣) .

وكانت الدعوة الفاطمية في حاجة إلى توحيد جهود دعائها حتى يتيسر لهم الإبقاء عليها ، لكن انقسام الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب كان له أثر كبير في صرفهم عن تحقيق هذه الغاية ؛ فشغلت الحكومة الفاطمية بالقضاء على الفلاقل التي أثارها أتباع النزارية في مصر بإيعاز من رؤساء دعوتهم في فارس الذين كانوا يمدونهم بالمال . وقد تجلّى خطر النزارية على الخلافة الفاطمية في عهد الأمر ؛ فأبوا الاعتراف بإمامته وإمامة أبيه المستعلي ، هذا فضلاً عن اعتقادهم أنهما وليا الخلافة دون حق . وكان ذلك مما حمل الخليفة الأمر

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) راجع كتاب « النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب » للمؤلف ص ٨٤-٨٦ .

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٦٥ ، طه شرف : دولة النزارية ، ص ٦٦ .

الفاطمي سنة ١٦٤ هـ على أن يعهد إلى وزيره أبي عبد الله المأمون بن البطائحي بكتابة رسالة لزعيمهم الحسن بن الصباح يدحض فيه آراء النزارية في الإمامة ويدعوه إلى الحق ، كما بعث في طلب وثقهاء من الإسماعيلية والإمامية للاجتماع في قصره ، وقال لهم وزيره المأمون البطائحي : ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية ، فقال كل منهم : لم يكن لنزار إمامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله (١) .

على أن هذه الرسالة لم يتح لها أن تصل إلى يد الحسن بن الصباح لعدول رسل الخليفة الأمر عن مواصلة السفر إليه بسبب الأنباء التي وصلت إلى مصر عن ازدياد نفوذ طائفة النزارية ببلاد المشرق واتصالها بأتباعها في مصر لتدبير مؤامرة لقتل الخليفة الفاطمي ووزيره المأمون البطائحي (٢) . لذلك لا نعجب إذا رأينا الحكومة الفاطمية تتبع حركاتهم في جميع البلاد الخاضعة لنفوذها وتعمل على التخلص من تحوم الشبهات حول انحيازهم إليهم . وبلغ من اهتمام المأمون البطائحي بالبحث عن النزارية وتقصي أخبارهم أن اتخذ جواسيس لاقتفاء آثار أتباع هذه الطائفة بمصر والقاهرة (٣) .

وقد وضع ابن ميسر (٤) ما قام به هذا الوزير من مجهود في سبيل إبعاد خطر النزارية عن الدولة الفاطمية ، فقال : « إنه أركب في يوم من الأيام جماعة من العسكر وفرقهم وأمر بمسك من عينه ، فمسك منهم جماعة كثيرة ، منهم رجل كان يقرئ أولاد الخليفة الأمر ، ومسك معهم المال الذي سيره ابن صباح برسم نفقة مصر ، فأخذه وكانت هذه الفعلة من المأمون من عجائب الحذق ، وبث مع ذلك الجواسيس في أقطار الأرض ، وكان الباطني إذا خرج من الموت ، لا تزال أخباره تصل إلى المأمون متعاقبة

(١) المقرئ : خط ، ج ١ ص ٤٠٧ .

(٢) ابن ميسر تاريخ مصر ، ص ٦٥-٦٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

(٤) تاريخ مصر ، ص ٦٦ .

حتى يصل « بلبيس » ، فيمسك بها ، ويحمل إليه فيقتله ، . وعلى الرغم من اتخاذ الحكومة الفاطمية الحيلة للقضاء على « وامة الزارية لاغتيال الأمر ، فإن فريقاً منهم كنوا له بجزيرة الروضة ، ثم انقضوا عليه وقتلوه على مقربة من المقياس في ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١) .

واجهت الدعوة الفاطمية منذ أوائل القرن السادس الهجري سواء في مصر أو بلاد الشرق الإسلامي كثيراً من الصعاب مما جعلها مهددة بالزوال ؛ فقد أدى عدم استقرار الأمور في مصر في أواخر العصر الفاطمي وانصراف الحكومة الفاطمية عن بذل جهودها لنشر دعوتها إلى إتاحة الفرصة أمام الخلفاء العباسيين - رغم ما كانوا يعانونه من ازدياد سلطان السلاجقة - للقضاء على ما تبقى للفاطميين من نفوذ . وقد حالفهم النجاح في بلاد العراق وغيرها من بلاد الشرق الإسلامي حيث أضحي النفوذ الفاطمي في اليمن والحجاز روحياً فقط ، وصار لا يمثل إلا في السكة والخطبة .

كذلك كان لوقوف بعض وزراء هذا العصر في وجه رجال الدعوة في مصر حتى لا يتيسر لهم الوصول إلى الزعامة أو السلطان ، وعدم حرص رجال الحكومة الفاطمية على الاحتفاظ بمظاهر المذهب الإسماعيلي أثره البالغ فيما أصاب الدعوة الفاطمية في بلاد الشرق الإسلامي من وهن وانحلال ؛ ولا غرو فقد أصبح التحمس لهذا المذهب ونصرته أو إضعافه ومناهضته تابعاً لرغبة الوزراء وميولهم . وليس أدل على ذلك من أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ظل مشايعاً للمذهب الفاطمي حتى توفي

(١) المقرئى خطه ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،

المستعلى وخلفه الأمر سنة ٤٩٥ هـ ، فأخذ يميل ميل السفين^(١) . وقد تجلت هذه الظاهرة في إلغاء الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد ابنته فاطمة ، وعلى بن أبي طالب ، ومولد الخليفة القائم بالأمر . ولا يخفى علينا أن عمله هذا يؤدي إلى إضعاف نفوذ الفاطميين الذين كانوا يحرصون على الاحتفال بهذه الأعياد لتأييد انتسابهم إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢) . ولما استأثر ابنه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل بالنفوذ سنة ٥٢٤ هـ ومنع الحافظ من التصرف في شئون الدولة وبيعه في خزائن ، أمر بحذف إسم إسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة وأحل محله إسم محمد المنتظر الإمام الثاني عشر عند طائفة الإمامية ، كما أمر بعدم إضافة عبارة «حى على خير العمل إلى الأذان وزاد في إضعاف المذهب الإسماعيلي بأن عين سنة ٥٢٥ هـ أربعة من القضاة اثنين من الشيعة ، أحدهما من طائفة الإمامية الاثنى عشرية والآخر من الإسماعيلية ، واثنين من السنين أحدهما شافعي والآخر مالكي ، وأعطى لكل منهم السلطة في إصدار أحكامه وفق مذهبه^(٣) . وقد أثارت هذه السياسة التي اتبعها الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل غضب الإسماعيلية ، وكذلك الأمراء وغيرهم ؛ فدبروا مؤامرة لاغتياله^(٤) .

وهكذا مهدت الأحوال الخارجية والحوادث الداخلية الطريق للقضاء على الدعوة الفاطمية ، فاضطهد السلاجقة في بلاد العراق كثيراً من

(١) ذكر ابن الأثير (ج ١٠ ، ص ٢٠٩) أن الإسماعيلية كانوا يكرهون الأفضل ابن بدر الجمالي لأسباب منها : تضييقه على إمامهم ، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم . ومنها تركه معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم ، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها .

(٢) حسن إبراهيم ، الفاطميون في مصر ، ٢٧٩ .

(٣) ابن ميسر ، تاريخ مصر ص ٧٥ ، المقرئى . خطط . ج ٢ ص ٢٧١ ، ٣٤٣ .

(٤) حسن إبراهيم . الفاطميون في مصر ص ٢٣٠ .

الشيعة ، كما وقفوا من دعاة الإسماعيلية الذين استفحل خطرهم في بلاد الدولة العباسية موقفاً ينطوي على الحزم والشدة ، فبذلوا جهودهم لإخماد حركاتهم . ولم يكن الخلفاء العباسيون أقل تحمساً منهم في مقاومة نفوذهم إذ كانوا يرون في طائفة الإسماعيلية خطراً يهدد الدولة الإسلامية ؛ وفضلاً عن ذلك فإن نهوض هؤلاء الخلفاء لاستعادة سلطانتهم القديم^(١) ، وسعيهم

(١) حاول بعض الخلفاء العباسيين أن يستعيدوا سلطنتهم التي استأثر بها السلاجقة وصار الخليفة المسترشد بخطى واسعة في هذا السبيل ، فخرج في سنة ٥٢٠ هـ على السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهزم قواته ، وكاد يستقل بالأمر لولا المساعدة التي قدمها حاكم البصرة للسلطان (ابن الأثير . ج ١٠ ص ٢٧٠ — ٢٧٢) . ولما توفي السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ ، عمل الخليفة المسترشد على استعادة سلطنته فجمع الجيوش لاسترداد ما كانت للعباسيين من نفوذ ، واتخذ من الخلاف الذي قام بين أفراد البيت السلجوقي فرصة ليستأثر بأور العراق ؛ وبلغ من جرأته أنه أمر بعدم إقامة الخطبة للسلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ مما أدى إلى الحرب بينهما ، فدارت معركة بين الجيوش العباسي والسلجوقي قرب همدان . انتهى الأمر فيها بهزيمة الخليفة وأسرته ، ثم قتله نفر من الإسماعيلية بإيعاز من السلطان مسعود سنة ٥٣٧ هـ .

لما آلت الخلافة إلى الراشد بعد وفاة أبيه المسترشد ، تهدد السلطان مسعود في كتاب شهد فيه بعض القضاة أنه إذا حاول محاربته أو جرد السيف على أصحابه حق عليه الخلع من الخلافة ؛ غير أن الخليفة ما لبث أن اعتذر من عدم استطاعته دفع هذه الأموال لرسول السلطان ، ثم ألب عليه حكام دولته ، فقام الجميع بنادون بمحاربة مسعود وخلعه . ولما كان السلطان مسعود ، سرعان ما حاصر بغداد ، واضطر الخليفة إلى الخروج منها هارباً إلى الموصل سنة ٥٣٠ هـ . فدعا السلطان مسعود . بعد دخوله بغداد . العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان وحملهم على إقرار بحضر بخلع الخليفة الراشد وولي مكانه عمه المقتني لأمر الله .

لما توفي السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ ، لم يخلفه في السلطنة من يستطيع الاحتفاظ بقوة السلاجقة في العراق ، بل ضعف أمرهم منذ ذلك الوقت . وأخذ الخليفة المقتني ووزيره ابن هبيرة يميلان على إحياء مجد الخلافة واستعادة نفوذها ، وليس أدل على مبلغ ضعف السلاجقة من أن سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه لم يقدم على دخول بغداد إلا بعد موافقة الخليفة المقتني ، كما حلف لهذا الخليفة في اجتماع عقد بداره على النصح والوفاق ولزوم الطاعة ، وأنه لا يتعرض إلى العراق بحال . ولم يبق له من مظاهر السطة سوى ذكر اسمه في الخطبة .

وهكذا فقد سليمان شاه الحقوق التي كان يتمتع بها أسلافه ، وأخذ النفوذ السلجوقي في العراق تيمناً لذلك في الانحلال حتى زال نهائياً سنة ٥٩٠ هـ .

(راجع . ابن الأثير ؛ ج ١١ ص ٣٤ ، ٧٧ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء . ص ٢٨٧ ،

لإحياء مجد الخلافة ونجاحهم في تحقيق هذه الأمنية ، ساعد إلى حد كبير على تقوية الشعور الإسلامى ضد الطوائف الشيعية .

ولم تكن حالة الدعوة الإسماعيلية في مصر مقر الدولة الفاطمية خيراً منها في بلاد المشرق ؛ فقد تجلى ضعف المذهب الإسماعيلي في العصر الفاطمى الأخير وانصراف بعض الوزراء عن تأييد هذا المذهب ، بل تنصب بعضهم كعلى بن السلار - وزير الخليفة الظافر - لمذهب السنة ، فأنشأ في سنة ٥٤٦ هـ بالإسكندرية مدرسة للشافعية ، أسند إدارتها إلى الحافظ السافى الفقيه الشافعى (١) ؛ وبذلك هب السبيل لرجوع المذهب السنى إلى مصر . وقد أدى تعصبه لهذا المذهب ورغبته في إحلاله بمصر محل المذهب الإسماعيلي إلى حقد الخليفة ورجال دولته عليه ، فقتل بإيعاز منه (٢) . وما زال المذهب الإسماعيلي أخذاً في الاضمحلال من الديار المصرية حتى تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمى سنة ٥٦٤ هـ ؛ فوجه اهتمامه - بعد إضعافه سلطة هذا الخليفة - إلى القضاء على المذهب الشيعى في مصر ، فأنشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعى ، وأخرى لتدريس المذهب المالكي ، وعزل قضاة الشيعة ، وعين صدر الدين عبد الله بن درباس الشافعى قاضياً للقضاة في جميع أنحاء الديار المصرية (٣) ؛ فاستعاد بذلك المذهب السنى قوته ، وأخذ المذهب الشيعى في الاختفاء تدريجاً حتى لم يبق له أنصار في مصر .

ولا شك أن هذه العوامل التى تقدم ذكرها وإن كانت قد عجلت بزوال النفوذ الفاطمى ببلاد المشرق . فإنها من ناحية أخرى أفادت الخلافة العباسية ؛ فقد ساعدتها على الاحتفاظ بسيادتها على البلاد الإسلامية .

(١) ابن خلدكان : رفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٢) حسن إبراهيم : الفاطميون في مصر ، ص ٢٩٦ .

(٣) القرينى : خطط ، ج ٢ ، ٣٤٤ .

الباب السابع

علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

- (أ) علاقة الفاطميين بالأمويين في الأندلس.
- (ب) علاقة الفاطميين بالزيريين في المغرب.
- (جـ) الفاطميون وجزيرة صقلية

الباب السابع

علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

(١) عمرو الفاطميين بالأمويين في الأندلس :

أخذ عبيد الله المهدي منذ أن استقرت خلافته في إفريقية ، يبعث بدعائه إلى بلاد الأندلس لنشر الدعوة الفاطمية . لكن الجهود التي بذلت في هذا السبيل لم تكفل بالنجاح حتى عهد المعز لدين الله ؛ فلم تجذب تلك الدعوة إليها إلا فريق ضئيل من رجال الفكر الأندلسيين (١) .

ولا شك أن قيام الخلافة الفاطمية في إفريقية ونشاط دعائها في نشر المذهب الشيعي ، أصبح خطراً يهدد كيان الأمويين بالأندلس ؛ ولذلك وجه عبد الرحمن الناصر منذولى الحكم في الأندلس سنة ٣٠٠ هـ اهتمامه إلى الوقوف في وجه الفاطميين والقضاء على أطماعهم ؛ فعمل على إعداد أسطول قوى ؛ بلغ عدد قطعه نحو مائتي مركب (٢) ، ليستعين به في صد هجمات الأسطول الفاطمي ، كما حرص على اجتذاب أنصار له من بين قبائل الزناتيين الموادية للفاطميين في المغرب .

ولما وقف عبيد الله المهدي على خطورة السياسة التي يتبناها عبد الرحمن الناصر ضده ، أمر قائده مصالة بن حبوس بمحاربة الزناتيين سنة ٣١٢ هـ ؛ فخرج مصالة من تاهرت والتقى بقوات محمد بن خزر زعيم قبيلة مغرارة ، في معركة عنيفة ، انتهت بمقتل مصالة وهزيمة جيشه (٣) .

(١) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ص ٦٠٨

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان اليتيم والخبر . ج ١ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن هزاري ، البيان المغرب في أخبار المغرب . ج ١ ، ص ٢٦٦ .

وكان عبد الرحمن الناصر وقتذاك قد استولى على سبته ، وعزم على اتخاذها قاعدة حربية للسيطرة على بلاد المغرب الأقصى ، ومحاربة وإلها موسى بن أبي العافية . غير أن هذا الوالى لم يلبث أن اضطر بعد أن تخرج مركزه إلى خلع طاعة عبيد الله المهدي ، والدخول في طاعة عبد الرحمن الناصر الأموي بالاندلس . وفي ذلك يقول ابن خلدون (١) : « ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة ، وانحرف إلى الأموية من وراء البحر ، وبث دعوتهم في أقطار المغرب » .

ولما علم عبيد الله المهدي بانضواء موسى بن أبي العافية تحت لواء عبد الرحمن الناصر ، جهز جيشا وسيره إلى المغرب الأقصى بقيادة عامله على تاهرت حميد بن يصال ؛ فأوقع الهزيمة بموسى ، وتمكن من دخول فاس سنة ٣٢١ هـ . وأعاد الدعوة فيها لعبيد الله المهدي ؛ لكنها لم تلبث أن أقيمت بعد وفاته باسم الخليفة الناصر الأموي .

اتخذ العداء بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية بالاندلس مظهرا قويا في عهد المعز لدين الله ؛ فلم يمض سنتان على توليته الخلافة حتى هاجمت إحدى السفن الأندلسية سفينة فاطمية كانت تحمل رسولا من قبل الحسن ابن علي وإلى صقلية ؛ فجهز المعز أسطولا ، سيره إلى الأندلس بقيادة هذا الوالى سنة ٣٤٤ هـ . فلما وصل المرية ، هاجم مرساها ، وأحرق الجند جميع ما فيه من السفن ، ثم دخلوا المدينة وعاثوا فيها نهباً وقتلاً ، وعادوا بعد ذلك إلى المهديّة (٢) .

وبلغ من شدة العداء بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في المغرب ،

(١) ابن خلدون : العبر ودبوان البتدا والخبر . ج ٤ . ص ٣٩ — ٤٠

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ . ج ٨ . ص ١٧٠ ، انظر أيضا : النعمان : كتاب

المجالس والمسائر . ج ١ . ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .

أن عمدة عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس إلى توطيد علاقته بإعداء الخلافة الفاطمية ؛ فتحالف سنة ٣٤٤ هـ مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن الذي كان يطمع في استرداد صقلية من أيدي الفاطميين (١). كما أمر بلعن الخليفة الفاطمي من منابر بلاد الأندلس ؛ وكتب بذلك إلى جميع عماله (٢).

على أن عبد الرحمن الناصر لم يلبث أن أنفذ أحد رسله إلى حاضرة الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ومعه كتاب إلى بعض رجال المعز ، يطلب فيه المودة والصلح ؛ فرفض المعز إجابة طلبه ، وقال لرسول الناصر (٣) : ... وأما ما دعا إليه من السلم والكف والمودة والصلح ، وهو يزعم أنه أمير المؤمنين ، — كما تسمى دون من سلف من آباءه — ، وإمام الأمة بدهواه وانتحاله . ونحن نقول : إننا أهل ذلك دونه ودون سواء ... ،

وما أنا بالمدهن في دين الله ، ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله ، ولا بالمخادع في أمر من أمور الله عز وجل . إرجع بجوابي هذا إليه ، فإله عندي سواء ، ومالي من الأمر من شيء . إن الأمر كله لله ، عليه توكلت وإليه أنيب ... ،

أخذ عبد الرحمن الناصر — برغم عدم استجابة المعز لطلب الصلح معه ، يوالي إنفاذ رسله ورسائله إليه ، رغبة في مصالحته . لكن المعز كان يدرك ما يرمى إليه الناصر من وراء هذه المكاتبات ؛ فقال : « إنما أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه (٤) » .

(١) Dozy, Hist. des Muaulmans d' Espagne, T.H, p.159

(٢) ابن عذارى . البيان القرب ج ٢ . ص ٢٣٦ .

(٣) النعمان ، كتاب « المجالس والسيارات » ج ١ ص ٢٣٠ — ٢٣٤

(٤) نفس المرجع . ج ١ ص ٢٣٨ .

شرع عبد الرحمن الناصر - بعد أن أعرض المعز عن عقد الصلح معه - في إعداد قواته البرية والبحرية ؛ ثم سير هذه القوات لمهاجمة البلاد الخاضعة لسلطان الفاطميين بالمغرب ؛ فأرغمت الهزيمة بالقوات الفاطمية التي تصدت لها سنة ٣٤٦ هـ . وكان ذلك مما أثار سخط أهالي بلاد المغرب الأقصى على الفاطميين ؛ فجهز المعز جيشا ضخما ، لاستعادة سلطان الخلافة الفاطمية على تلك البلاد ، أسند قيادته إلى جوهر الصقلي ، الذي مضى في فتح مدن المغرب حتى استرد بجلجاسة وفاس . ولكنه عجز عن الاستيلاء على سبتة وطنجة (١) .

ولما توفي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ هـ ، وخلفه ابنه الحكم المستنصر ، استمر النزاع قائما بين الفاطميين والامويين بالاندلس . وكان من مظاهره تلك الحملة التي أرسلها الحكم سنة ٣٦٢ هـ إلى بلاد المغرب الأقصى والأوسط للقضاء على الدعوة الفاطمية التي قويت شوكتها في ذلك الوقت . ولم تلبث هذه الحملة أن تمكنت من بسط سلطان الخليفة الأموي على تلك البلاد . وخرج زعماء زناته من مغراوة ومكناسة على طاعة المعز لدين الله الفاطمي ، وأقاموا الدعوة للحكم المستنصر من منابرهم (٢) . لم ينته العداء بين الفاطميين والامويين في الاندلس بعد وفاة المعز سنة ٣٦٥ هـ ؛ ويتبين لنا ذلك مما رواه ابن خلكان (٣) ؛ فقد ذكر أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، تلقى من العزيز الخليفة الفاطمي بمصر كتابا ، يسيبه فيه ويهجوّه ؛ فكتب إليه الحكم المستنصر : « قد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » .

(١) السلاوي - الاستقما لأخبار المغرب الأقصى ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ ، حسن إبراهيم وطه شرف - كتاب « المعز لدين الله » ص ٤٣ - ٤٤
(٢) ابن خلدون . المعبر وديوان البنداء والخبر ج ٤ ص ١٤٦
(٣) وفيات الأعيان - ج ٢ ص ١٥٢ .

كان الأمويون في الأندلس يتحينون الفرص للقضاء على الخلافة العاطمية الشيعية في مصر ؛ وتبجلى ذلك في الثورة التي قام بها رجل يقال له أبو ركة (١) وهو من ذرية هشام بن عبد الملك بن مروان ، نزح إلى برقة واستقر بين قبيلة بني قرة على أثر استبداد المنصور بن أبي عامر بالسلطة دين الخليفة هشام المؤيد بالله الأموي ، وهناك افتتح له مكتباً يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ، كما اجتذب الناس إليه بورعه وذلاقة لسانه ونبل أخلاقه .

ولما رأى أبو ركة أن الفرصة قد سنحت لإظهار شخصيته دعا إلى عمه هشام المؤيد الخليفة الأموي بالأندلس ؛ فلقبت دعوته قبولاً حسناً من نفوس البدو في أنحاء برقة ، كما استجاب إليه بنو قرة الذين كانوا ساخطين على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي لإسرافه في قتل زعمائهم وكبرائهم . ولم يلبث أن سار على رأس جيش كبير ؛ وأوقع الهزيمة بجند الحاكم ، ومن ثم تيسر له بسط سلطانه على برقة سنة ٣٩٥ هـ ، وأمر بحذف اسم الحاكم من الخطبة وتلقب بالثائر بالله ، وضرب السكة باسمه ، وأظهر الرفق والعدل في معاملة أهالي هذه الولاية ، فهرعت إليه الوفود لتأييده .

ولما وصل إلى الخليفة الحاكم نبأ ما قام به أبو ركة في برقة ، أعد العدة لمحاربته ؛ فجهز جيشاً كبيراً مكوناً من خمسة آلاف فارس تحت قيادة دینال الطوبل ، — أحد قواد الأتراك — ؛ غير أن هذا الجيش ما لبث أن هزم بسبب استياء الجند المغاربة من قائدهم التركي وخروجهم على طاعته ، كما وقع دینال أسيراً وقتل واستولى أبو ركة على مائة ألف دينار كانت معه ، فاستفحل بذلك أمره وزادت هيئته ، وأخذ يتطلع إلى امتلاك مصر .

(٢) سمي بذلك لأنه كان يحمل ركة (وعاء من الجلد) لوصوئه على عادة الصوفية .

لم يكن يعلم الحاكم بما استقر عليه رأى أبى ركة من الزحف على مصر ، حتى شعر بفداحة الخطر الذى يهدد مملكته ، فسير لمحاربة أبى ركة جيشا ضخما قوامه الجنود الشامية والغلمان الحمدانية تحت قيادة الفضل ابن عبد الله فى ربيع الأول سنة ٤٣٩٦ هـ ؛ فالتقى الفريقان بالقرب من الاسكندرية حيث دارت بينهما معارك شديدة ، ارتد بعدها الفضل صوب القاهرة ، ثم واصل أبوركة زحفه حتى وصل صحراء الفيوم ، فتبعه الفضل بقواته وأوقع به الهزيمة ، وظل يطارده حتى حدود النوبة حيث ظفر به رئيس ربيعة أبو المكارم هبة الله . وانتهى أمر أبى ركة بقتله (١) .

(١) أبو الحسن . النجوم الزاهرة ج ٤ . ص ٢١٥ - ٢١٧ .

(ب) عهدة الفاطميين بالزيريين في المغرب

لما عزم المعز لدين الله الفاطمي على الرحيل إلى مصر سنة ٣٦١ هـ ، عهد بولاية إفريقية والمغرب إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ؛ وقال له (١) : « إن نسيت ما وصيتك به ، فلا تنس ثلاثة أشياء ، لا ترفع الجباية عن أهل البلاد ، ولا ترفع السيف عن العبر ، ولا تول أحدا من إخوانك وبني عمك . فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، واستوحى بالحضر خيراً . »

ظل بلكين بن زيري موالياً للفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر ؛ فلما توفي خلفه ابنه الفتح المنصور . وكان يزعم الاستقلال عن الخلافة الفاطمية ، ويتجلى لنا ذلك من قوله لشيوخ القيروان الذين قدموا إليه لتهنئته بالإمارة (٢) : « إن أبي يوسف وجدى زيري كانا يأخذان الناس بالسيف ، وأنا لا آخذم إلا بالإحسان ، ولست بمن يولى بكتاب ويعزل بكتاب (٣) ، لأنى ورثته عن آباءى وأجدادى . . . »

ولما وقف الخليفة العزيز بالله على رغبة هذا الأمير في الاستقلال بالبلاد التي يحكمها ، عمل على إثارة قبائل البربر عليه ؛ فأرسل سنة ٣٧٦ هـ داعياً من قبله يدعى أبو الفهم الخراساني إلى قبائل كتامة ليدعوه إلى طاعته . وكان الخليفة الفاطمي ، يرى من وراء ذلك إثارة قبائل كتامة على أمراء بني زيري . فلما قدم عليهم هذا الداعي ، التفوا حوله وكون منهم جيشاً ، زوده

(١) ابن هزاري : البيان للمغرب . ج ١ . ص ٢٦٣ ، القريري : العاقل المختار ص ١٤٤

- ١٤٥ -

(٢) ابن هزاري : البيان للمغرب . ج ١ . ص ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ

ج ٩ . ص ١٢

(٣) يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله .

(م ١٥ - فاطميين)

بالسلاح ، فاستاء المنصور من نشاط هذا الداعي ، وكتب إلى الخليفة العزيز بذلك ؛ فأرسل إليه العزيز ، ينهيه عن التعرض له . لكن المنصور لم يصغ لقوله وعول على محاربة كتامة ، ثم زحف بجيوشه سنة ٥٢٧٨ هـ إلى بلادهم ، واشتبك معهم في موقعة ، انتهت بانتصاره عليهم (١) . أما فيما يتعلق بالداعي أبي الفهم فإن المنصور ظل يتعقبه حتى قبض عليه وقتله . ولما بلغ ذلك العزيز ، أدرك أن خطته التي تطوى على إضعاف شأن الأمير منصور ، باءت بالفشل ؛ ومن ثم أثر سياسة التودد إليه (٢) .

انبع الخليفة الحاكم بأمر الله سياسة أيه العزيز مع أمير زيري في بداية عهده . لكنه رأى - بعد أن بلغه أن الأمير نصير الدولة باديس يعمل على الاستقلال عن الخلافة الفاطمية - أن يثير الصعاب في وجهه ؛ فأمر يانس العزيزي - واليه على برقة - بالمسير إلى طرابلس سنة ٥٣٩٠ هـ ، والاستيلاء عليها ، - وكانت وقتذاك تابعة لباديس - ، ففضى يانس في سيره إليها . غير أن قوات باديس ما لبثت أن تصدت له ؛ ودارت بين الفريقين معركة ، أسفرت عن هزيمة الجيش الفاطمي وقتل يانس (٣) .

رأى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، بعد تلك الهزيمة التي لحقت بجيش يانس العزيزي أن يعتمد إلى حيلة أخرى ، لعله يصل من ورائها إلى إضعاف نفوذ بني زيري في المغرب الأدنى ؛ فأثار قبيلة زناته ضد باديس ، وحشأ على التقدم إلى طرابلس والاستيلاء عليها ؛ فاستجابت له ، وأنفذت جيشاً إلى طرابلس . لكن باديس ما لبث أن زحف إليها على رأس جيش كبير ، وتمكن من دخولها في شعبان سنة ٥٤٠٠ هـ ، واضطر قائد زناته إلى طلب العفو

(١) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٨

(٢) انظر ابن عداري . البيان المغرب ج ١ ص ٤٣٩ ، ٣٥٣

(٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٦٥٥

والأمان منه ؛ فأجاب طلبه ؛ وبذلك احتفظ باديس بسلطاته على البلاد التابعة له ، الأمر الذي حمل الخليفة الحاكم بأمر الله على العودة إلى سياسة التودد مع أمراء بني زيري التي اتبعها أبوه العزيز من قبل ؛ فأرسل إلى الأمير باديس هدية سنة ٤٠٣ هـ كما أمر بإضافة برقه وأعمالها إليه (١) ؛ وسادت العلاقات الودية بينه وبين هذا الأمير منذ ذلك الوقت .

استمر النفوذ الفاطمي سائداً في إفريقية حتى ولي إمارة بني زيري المعز بن باديس الصنهاجي - وكان منحرفاً عن مذاهب الشيعة ويعتق مذهب السنة - فحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك ابن أنس رضي الله عنه ، وحسم مادة الخلاف في المذاهب (٢) . . . وعلى الرغم من انحراف هذا الأمير عن المذهب الإسماعيلي الذي يدين به الفاطميون ، فإن الخليفة الحاكم بأمر الله لم يظهر اعتراضه على سياسته المذهبية ؛ بل عمل على استجلاب محبته ، فخطبه بشرف الدولة في جهل أرسله إليه سنة ٤٠٧ هـ (٣) ، كما أوفد إليه رسولا سنة ٤١١ هـ ومعه بعض الهدايا .

ولما جاء الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ، اقتدى بأبيه الحاكم في الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الأمير المعز بن باديس ، فزاده سنة ٤١٤ هـ لقباً (٤) ، وصار يعرف بشرف الدولة وعندها ، وبعث إليه بالهدايا (٥) . على أن علاقة هذا الأمير بالفاطميين في مصر ما لبثت أن تبدلت في

(١) ابن هزاري . البيان للغرب ج ١ - ص ٣٧٣ ، ٣٧٤

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ - ص ١٣٧

(٣) ابن هزاري . البيان للغرب ج ١ - ص ٣٨٨ - ٣٨٩

(٤) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٥٩

(٥) ابن هزاري . البيان للغرب ج ١ - ص ٣٩٢

أوائل عهد المستنصر بالله ؛ فأعلن سنة ٥٤٤ هـ خروجه على طاعة هذا الخليفة، وأمر بحذف اسمه من الخطبة والسكة والطرز ، وأقام الخطبة للقائم بأمر الله العباسي (١) (٤١٢ - ٥٤٦٧ هـ) ؛ كما أمر بلبس السواد شعار العباسيين وأعد أعلاماً سود وملابس سوداء لرجال الدولة (٢) .

استاء الخليفة المستنصر بالله الفاطمي من خروج المعز بن باديس عليه وإقامته الخطبة للخليفة العباسي ، وعول على الانتقام منه . فأشار عليه الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري بأن يستعين بقبائل بني هلال (٣) الذين استقروا في صعيد مصر - في محاربة بني زيري ، فإذا ما انتصروا عليهم وأصبحوا أعواناً للدعوة وعمالاً للدولة في إفريقية ، وإذا هزموا ضعف أمرهم وتخلصت الخلافة من عدوانهم فلق هذا الرأي قبولاً من نفس المستنصر ، وعهد الوزير اليازوري إلى أمير الأمراء مكي الدولة أبو علي الحسن بن ملهم - الذي اشتهر بحسن رأيه وكياسته (٤) - بالمسير إلى هذه القبائل بخلع سنبة وأموال ؛ فوزعها عليهم ؛ ثم أباح لهم الوزير الفاطمي إجازة النيل ، وقال لهم : قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي ، العبد الآبق ، فلا تفتقرون (٥) ، فسار بنو هلال إلى برقة ؛ ولما نزلوا بها فتحوها أمصارها واستباحوها ، ثم مضوا في سيرهم إلى إفريقية ، فالتقوا بجيوش المعز بن باديس التي كانت تضم عناصر من العرب والبربر

(١) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ . ج ٩ ص ١٨٠ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١٥٩

(٢) ابن عذاري . البيان للغرب ص ٤١٥

(٣) تضم هذه القبائل أحياء من جفم وزغبة ورياح ورييمة وعدى . ولم يكونوا على وفاق فيما بينهم ، بل استمرت الحروب بين بعضهم مما جعل البلاد التي يقيمون فيها تتعرض لكثير من مذبذبهم . وفي ذلك يقول ابن خلدون « ج ٦ ص ١٤ » « وقد هم ضررهم وأحرق البلاد والدولة ضررهم » .

(٤) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٦٧

(٥) ابن خلدون . ج ٦ ص ١٤

والعبيد ؛ ودارت الحرب بين الفريقين في ذى الحجة سنة ٤٤٢ هـ . لكن حدث أثناء القتال أن جند العرب الذين كانوا مع المعز استهوتهم العصبية العربية ؛ فانصرفوا عنه وآثروا الانضمام إلى عرب بني هلال ، كما خذله أنصاره من زناته وصنهاجه ؛ فخلت به الهزيمة في موقعة حيدران (١) . ونجا بنفسه مع بعض أنبأه إلى القيروان (٢) .

على أن بني هلال ما لبثوا أن تعقبوا ابن باديس ؛ فقصدوا القيروان وحاصروها ، وأخذوا يعيشون فيها فسادا ، وخرّبوا عمرانها ، كما أتوا على معالمها مما اضطر أهلها إلى الرحيل عنها (٣) .

ضعف منذ ذلك الوقت شأن بني زيري ؛ فأشار المعز بن باديس على رعاياه بالانتقال إلى المهدية ، واتخذها مقراً له (٤) . ولم يزل مقبلاً بها حتى توفي سنة ٤٥٤ هـ ، خلفه ابنه تميم الذي تقلص في عهده ملك بني زيري حتى لم يعد يجاوز جزءاً من الساحل يحيط بالمهدية (٥) .

أما عن الخلافة الفاطمية فإنها لم تلبث أن واجهت كثيراً من الصعاب سواء في مصر أو أقطار الشرق الإسلامي التي امتد نفوذها إليها . لذلك تعذر عليها الاحتفاظ بسيادتها على بلاد المغرب . وظلت الخطبة تقام للعباسيين في هذه البلاد حتى قامت دولة الموحدين في أوائل القرن السادس الهجري وقطع أميرها عبد المؤمن بن علي الدعوة للخليفة العباسي المقتنى (٦)

(١) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٦٩ ، ابن خلدون ج ٦ ص ١٥

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٩٦

(٣) ابن خلدون ج ٦ ص ١٥

(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٩٧

(٥) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٥٤

(٦) انظر . أبو المحاسن ليجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥١

وأخذ يوسع ملكه في شمال إفريقيا فاستولى على مراکش سنة ٥٤٢ هـ .
ثم تقدم شرقا . فبسط سلطانه على إقليمي الجزائر وتونس . وظل يتابع
زحفه حتى حدود مصر الغربية فاستولى على طرابلس وبرقة . وبعد أن
تم لعبد المؤمن فتح هذه البلاد ، عاد أدراجه إلى المغرب الأقصى وأدركته
الوفاة سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) .

(ب) الفاطميون وجزيرة صقلية

يرجع إمام المسلمين بجزيرة صقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان ؛
لخارلوا غزوها أكثر من مرة وبخاصة في القرن الثاني الهجري دون أن
يظفروا بفتحها . فلما ولي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إمارة الأغلبة
في إفريقية في عهد الخليفة المأمون العباسي ، أعد جيشاً وأسطولاً ، يتألف
من مائة مركب لغزوها بقيادة قاضي القيروان أسعد بن الفرات سنة
٢١٢ هـ^(١) . وقد تمكن المسلمون من الاستيلاء على بعض حصون الجزيرة
ومدنها ، لكنهم سرعان ما كانوا يتخلون عنها تحت ضغط الروم ، وظلوا
على هذه الحال حتى توفي زيادة الله بن الأغلب سنة ٢٢٢ هـ ، فأخذ بعض
أمراء الأغلبة من بعده في تسير الحملات والسرايا إلى صقلية لإتمام
فتحها^(٢) . واستطاع المسلمون بعد أن قضوا ما يقرب من خمسين عاماً في محاربة
الروم في هذه الجزيرة ، أن يستولوا على بعض ثغورها ومدنها ، نذكر من
بينها : بلرم ، وقصريانة ، ومسينا ، وقطانيه ، وطرميس^(٣) . وكانت
سرقوسة التي تعد من أهم مدن صقلية ، آخر معقل سقط في أيديهم في
عهد إبراهيم الثاني بن الأغلب سنة ٢١٤ هـ^(٤) .

أصبحت جزيرة صقلية منذ أن تيسر للمسلمين فتحها في مستهل القرن
الثالث الهجري ، ولاية يتناوب حكمها ولاية من قبل أمراء الأغلبة ، واستمر
الحال على ذلك إلى أن زحف أبو عبد الله الشيعي داعي الفاطميين ببلاد

(١) انظر : أماري : للكنية الصقلية . ج ١ . ص ٤٢٧ - ٤٢٩

(٢) انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١٦٧ ، ج ٧ ص ١٩٩ ، ٢٠٠

(٣) ابن خلدون : ج ٤ . ص ٢٠٠ - ٢٠٣

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، تاريخ الإسلام السياسي .

المغرب على إفريقية وتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها سنة ٢٩٥ هـ. ثم التفت قواته بأصحاب زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغابة، في جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ؛ فأوقعت بهم الهزيمة (١). واضطر هذا الأمير إلى الرحيل عن إفريقية والفرار إلى مصر، بعد أن حمل معه ما خف وزنه وغلا ثمنه (٢). وفي مستهل رجب من هذه السنة، دخل أبو عبدالله الشيعي رقادة، ونزل ببعض قصورها (٣). وبذلك زال نفوذ بني الأغلب في إفريقية.

ولما بلغ أهل صقلية ما أحرزه أبو عبدالله الشيعي من نصر على الأغابة، ثاروا على واليهم السني الحسن بن رباح وولوا بدله على بن أبي الفوارس سنة ٢٩٦ هـ، وكتبوا إلى داعي الفاطميين يطلبون منه أن يقرهم على ما فعلوا، فأجاب طلبهم (٤). غير أن عبيد الله المهدي - أول الخلفاء الفاطميين المغرب - مالبث أن عزل هذا الوالي وعين الحسن بن محمد بن أبي خنيز الكشامي محله سنة ٢٩٧ هـ. ولكنه لم يستمر طويلا في الولاية؛ فقد ثار به السنيون من أهل صقلية لإساءته معاملتهم وحبسوه (٥). فولى عبيد الله المهدي مكانه على بن عمر البلوي. ولم يكن أقل تعسفا من سلفه، فخرج أهل الجزيرة على طاعته - وبخاصة العناصر العربية التي ساء لها أن يولى عليهم الفاطميون واليا من البربر -، ووقع اختيار زعمائهم سنة ٣٠٠ هـ على أحمد بن قرعب (٦) - وكان عربيا -؛ غير أن هذا الوالي لم تطل ولايته، فقد ثار به الجند بسبب طموحه إلى تدعيم نفوذه بصقلية. ولم يلبث أن انحرف عن الفاطميين وأعلن ولاءه للمقتدر العباسي، فأقام له الخطبة بدلا من

(١) الفريزي: الحنفا، ص ٨٦-٨٧

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٠١

(٣) الفريزي: انماط الحنفا، ص ٨٧

(٤) انظر: أمدى: المكتبة الصقلية ج ١، ص ٤٣٤

(٥) ابن خلدون: ج ٤، ص ٢٠٧

(٦) ابن الأثير: الكامل و التاريخ، ج ٨، ص ٢٣

عبيد الله المهدي ولم يكتف بذلك ، بل أنفذ أسطوله لمهاجمة سواحل بلاد المغرب واستطاع في بادئ الأمر أن يوقع الهزيمة بالأسطول عند ساحل إفريقية . لكن الفاطميين سرعان ما ضاعفوا جهدهم في إعداد أسطولهم وأحلوا الهزيمة بقوات ابن قرعب حين شرعت في مهاجمة إفريقية ، وقبضوا عليه وأرسلوه إلى المهدي حيث قتل (١) . وهكذا قضى على أول محاولة ترمي إلى إعادة صفلية إلى حكم العباسيين ، واستعاد الفاطميون سيادتهم عليها .

لم تستقر الحالة في صفلية بعد أن ولي عبيد الله المهدي الخلافة ؛ فكثيراً ما كانت تقع المنازعات بين أهلها من المسلمين ، في عزلون ولانهم ويعينون من يشاؤون ؛ ولذلك استقر رأى هذا الخليفة على إرسال جيش مع الوالي يدفع عنه خطر الثائرين ، فضلاً عن اتخاذه وسيلة لقمع الولاة إذا ما حدثتهم أنفسهم بالخروج على طاعته (١) .

وكان الفاطميون يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الجزيرة ، لانخاضها قاعدة لأسطولهم في البحر المتوسط ، لصد الحملات التي يوجهها الروم نحو إفريقية (٢) ؛ ومن ثم استمروا في إرسال ولاتهم إليها حتى قامت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد فلما قضى على هذه الثورة ، عين المنصور ، الفاطمي الحسن بن علي الكلي والياً على صفلية سنة ٣٣٦ هـ (٣) . وفي عهده تفاقم النزاع بينه وبين مسيحي صفلية الذين لجأوا إلى قسطنطين السابع إمبراطور الدولة البيزنطية لنجدتهم ؛ فلبى طلبهم وأنفذ قواته إلى صفلية

(١) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٢٠٧ ، حسن إبراهيم وطه شرف : كتاب عبيد الله المهدي ، ٢٠٢-٢٠١ .

(٢) انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٩٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ، ص ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ .

حيث اشتبكت مع قوات الحسن السكبي وحلت الهزيمة بالجيش البيزنطي؛ واضطر الإمبراطور إلى طلب الصلح (١).

على أن الإمبراطور البيزنطي لم يحترم شروط الصلح الذي عقده مع الحسن السكبي، وأرسل إلى صقلية سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) حملة تمكنت من فتح بعض مدنها. لكن الروم لم يتمتعوا بشمار هذه الانتصارات التي أحرزوها في صقلية، وانسحبوا إلى قلورية (٢) (Calabria).

لم تنعم جزيرة صقلية بالاستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها في عهد المعز؛ فقد قامت بها الحرب بين الجيوش الفاطمية وأنصار البيزنطيين، واستطاع واليها أحمد بن الحسن السكبي سنة ٣٥١ هـ أن يستولي على قلعة طبرمين - وهي من قلاعها المنيعه -، ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المعزية (٣) نسبة إلى المعز لدين الله، وتبع ذلك استسلام بعض المدن للجيش الفاطمي على حين استنجدت مدن أخرى بالإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس؛ فجمز قوات برية وبحرية وسيرها لمحاربة الفاطميين في صقلية. وبذل والي هذه الجزيرة من ناحيته جهوداً كبيرة في سبيل إعداد الأسطول والجيش لصد القوات البيزنطية، كما أمده الخليفة المعز ببعض النجندات؛ ولكن البيزنطيين تمكنوا رغم ذلك من الاستيلاء على بعض مدن صقلية سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م).

استمرت الحرب سجالاً بين قوات الفاطميين في صقلية وقوات البيزنطيين التي تفوقها في العدد. وقد تمكن الجند الفاطمي أن يثبتوا أمام تلك القوات،

(١) ابن خلدون: ج ٤، ص ٢٠٩.

(٢) انظر: كتاب «المعز لدين الله» ص ٥٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٧٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٨٣.

كما أن القائد الفاطمي الحرس عمار استطاع بعد أن نظر جيشه أن يلتقي بالقائد البيزنطي مايويل وينقضي عليه : أوفى جنده هاربير . وبذلك حلت الهزيمة بالبيزنطيين ، وأخذ المسلمون في صقلية بتهتمهم حتى رفع في أيديهم كثير من الأسرى والسبي ، وغنموا منهم مغانم كثيرة . ثم مضى أحمد ابن الحسن السكابي - وإلى صقلية - إلى مسينا لينقضي على فلول البيزنطيين ؛ فوجدهم قد رحلوا عنها ؛ فلحق بهم وانتصر عليهم في موقعة المجاز (١) سنة ٣٥٤هـ (٢) .

أما عن الحالة الداخلية في جزيرة صقلية ؛ فإن المعز أبقى أحمد بن الحسن السكابي واليا عليها حتى سنة ٣٥٨هـ ، ثم ولي مكانه يعيش ، مولى الحسن السكابي . ويظهر أن الخليفة الفاطمي كان يرى إقصاء السكابين عن الحكم في هذه الجزيرة حتى لا يستبدوا بأمورها . لكنه لم يلبث أن عدل من هذه السياسة ؛ فأسند إليهم بعض المناصب الكبرى ، وولى أبا القاسم بن الحسن السكابي ولاية صقلية في منتصف سنة ٣٥٩هـ (٣) ؛ فرحب به أهلها ، واتفقوا على طاعته ، واستقرت بذلك الأمور في الجزيرة

ولما انتقل المعز لدين الله إلى مصر واتخذها مقراً لخلافته سنة ٣٦٢هـ ، لم يجعل لوالى إفريقية والمغرب حكماً على صقلية ، بل صار يلى أمورهما وال مستقل من قبل الخليفة الفاطمي ، أجز له الرجوع إليه في تصريف شئون ولايته .

أخذ النفوذ الفاطمي في جزيرة صقلية في الضعف من أواخر القرن

(١) يقصد به الخليج الذي يفصل بين صقلية وإيطاليا

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ٨٠ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ . كتاب « المعز لدين الله »

ص ٥٨ - ٥٩

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ٨٠ ، ص ١٨٤ . كتاب « المعز لدين الله »

ص ٦٣

الرابع للمجرى ، رغدت علاقة الخلفاء الفاطميين بهذه الجزيرة مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شئونها . لكن بعض هؤلاء الولاة مثل أحمد الأكل أثار الانقسام بين المسلمين من أهلها بسبب التفرقة في معاملتهم ، فاضطر جماعة منهم إلى التمسير إلى المعز بن باديس أمير إفريقية سنة ٤٣٧هـ ، وشكوا إليه ما حل بهم ، وقالوا له نحب أن نكون في طاعتك وإلا سامنا البلاد إلى الروم (١) . . فكان ذلك الانقسام الذي طرأ على مسلمي صقلية مما شجع البيزنطيين على غزوها في عهد الإمبراطور ميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤٤ م) الذي أنفذ إليها حملتين : الأولى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧ م) لم تحرز أى نجاح . أما الثانية ، فكانت في السنة التالية . وقد استطاعت هذه الحملة أن تستولى على مدينتي ومعظم البلاد الواقعة على الساحل الشرقي من الجزيرة ، غير أن المسلمين سرعان ما تمكنوا من استعادة أكثر البلاد التي استولى عليها البيزنطيون (٢) .

على أن الاضطرابات ما لبثت أن سادت هذه الجزيرة من جراء النزاع بين أمراءها المسلمين والحروب الداخلية . وقد مهد ذلك ، السبيل أمام النرماندين لغزوها ، فتمكن روجر بن تنكرد النرماندى من الاستيلاء على جميع أرجائها سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١ م) (٣) .

(١) انظر : أمارى : المكتبة الصقلية ج ١ ، ٢٧٤

Cambridge Med. Hist. Vol. IV. p. 150.

(٢)

Hitti, History of the Arabs, p. 606.

(٣)

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية
والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(أ) الفاطميون والبيزنطيون.

(ب) الفاطميون والمدن الإيطالية.

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية ، والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(١) الفاطميون والبيزنطيون :

واجه الفاطميون منذ قدمت جيوشهم في بلاد الشام صعوبات كثيرة من ناحية البيزنطيين الذين أخذوا يهددون حدود سورية الشمالية بغاراتهم المتتالية ، كما زحفت قواتهم على أنطاكية سنة ٢٥٨هـ (٩٦٩ م) ، واستطاعوا بعد ذلك بمدة وجيزة أن يدخلوا حلب ، وأن يرغموا حاكمها على عقد صلح معهم^(١) .

انجمرت سياسة المعز لدين الله إلى استعادة المدن التي استولى عليها البيزنطيون في شمال الشام ليقضوا بذلك على الأخطار التي تهدد نفوذهم في تلك البلاد ؛ وقام بتنفيذ هذه السياسة القائد الفاطمي جعفر بن قلاح. لكن الحملات الفاطمية التي أرسلت لإجلائهم عن أنطاكية فشلت في تحقيق هذه الغاية لانشغال الفاطميين بصد القرامطة والقضاء على ما بقي لهم من نفوذ بالشام^(٢) .

اتخذ البيزنطيون من النزاع بين الفاطميين والقرامطة فرصة سانحة لمواصلة شن إغاراتهم ؛ فتقدم إمبراطور الروم حنا زيمسكيس (John Tzimiscen) في سنة ٩٧٥ م من أنطاكية إلى حمص ، ومنها إلى بعلبك ؛ واضطرت دمشق إلى التسليم ودفع الجزية له ، كما سلمت له طبرية وقيسارية ،

Hitti, History of Syria p. 480

(١)

(٢) انظر . كتاب النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ٢٢

ثم سار الإمبراطور شمالاً حيث استولى على بيروت وحيدا . ولما حاول الاستيلاء على طرابلس أوقعت حامية المدينة يعاونها الأسطول الفاطمي الهزيمة بقواته ؛ ثم عادت الجيوش البيزنطية إلى أنطاكية وعاد الإمبراطور إلى القسطنطينية حيث توفي في أوائل سنة ٩٧٦م^(١)

ظل النزاع قائماً بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية حتى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) حيث قدمت إلى مصر رسل الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥ م) ، تحمل هدية للخليفة العزيز وتطلب عقد صلح بين الدولتين . واشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب ؛ فأجاب الخليفة الفاطمي طلب هؤلاء السفراء واشترط للصلح عدة شروط منها .

- ١ - أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من الأسرى المسلمين .
 - ٢ - أن يدعى للخليفة العزيز بجامع القسطنطينية في خطبة الجمعة .
 - ٣ - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة سبع سنوات^(٢) .
- لم يكن لهذه الهدنة أثر كبير في وقف تيار الحرب بين الفاطميين والبيزنطيين لأن سعيد الدولة أبا الفضائل بن حمدان أمير الحمدانيين في حلب ، لما علم بتوغل الفاطميين في بلاد الشام ، استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثاني ؛ فأمدّه الإمبراطور بحملة ، والتقت القوات المصرية والبيزنطية على ضفاف نهر العاصي ، ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين سنة ٣٨١ هـ . وعاد القائد الفاطمي منجوتكين إلى دمشق لنقاد الأقوات ، فاستاء العزيز لذلك ، وأمره بفتح حلب ، وأرسل إليه المؤمن ، فسار منجوتكين إليها في العام التالي ، وحاصرها حصاراً شديداً حتى اضطر أميرها إلى الاستنجاد بالإمبراطور البيزنطي مرة ثانية ، وكتب إليه يقول : « متى أخذت حلب ، أخذت أنطاكية ، ومتى أخذت أنطاكية ، أخذت قسطنطينية »^(٣) .

(١) Cambridge Medieval History Vol IV p 148

(٢) أبو الحسن . النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ١٥١ - ١٥٢

(٣) أبو الحسن . النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ١١٩ - ١٢٠

لما رأى باسيل الثاني الخطر الذي يهدد بلاده من جراء هجوم الفاطميين على حلب ، عوّل على "البحر" لا يها بنفسه . فاستولى على حصن شيزر (١) . ثم فتح حمص ، وأخذ يتابع سيره حتى وصل طرابلس . ولما تعذر عليه فتحها عاد إلى القسطنطينية سنة ٢٨٥ هـ (٩٩٥ م) بعد أن بسط سلطانه على معظم ساحل الشام (٢) .

وعندما وقف العزيز على مدى تقدم البيزنطيين في بلاد الشام ، استقر رأيه على أن يسير بنفسه لصد قواتهم ؛ فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول يسير بحرا إلى طرابلس ؛ غير أن هذا الأسطول اشتعلت فيه النيران في ميناء المقس بالقاهرة وأحرقت منه ستة عشر مركبا . وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في نفوس المصريين ، فاتهموا الروم بتدبير مؤامرة إحراقه وخاصة أنهم كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس ، وحملوا عليهم وقتلوا فريقا كبيرا منهم ، وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التي حدثت بالقاهرة ، بسبب إحراق الأسطول ؛ ثم أمر بإنشاء أسطول آخر ، فلي وزيره عيسى بن نسطورس رغبته ، وشرع في جمع الأخشاب وأمر الصناع بالإسراع في إنجازه (٣) . ولما تم بناؤه أبحر إلى أنطوطوس (٤) ؛ غير أن معظم سفنه لم تلبث أن تحطمت في البحر على أثر هبوب عاصفة عليها ، وأمر الروم بعض رجال الأسطول المصري (٥) . أما الحملة البرية ، فخرج على رأسها الخليفة العزيز بنفسه إلى بلبيس ، لكن المرض اشتد عليه فجأة فتخلف بها وتوفي سنة ٣٨٦ هـ (٦) (٩٩٦ م) .

(١) يقع على مقربة من مرة النعمان شمال حماه .

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ص ١٦٦

(٣) القرينى ، خطط ، ج ٢ ، ص ١٩٥-١٩٦

(٤) من أعمال طرابلس ببلتان تقع على ساحل البحر .

(٥) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ص ١٧٨

(٦) أبو الحسن . النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٢٢

ظل البيزنطيون ينهرون الفرص للنيل من الفاطميين ؛ فلما خرج أهل صور على طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٨٨ هـ بزعامه رجل ملاح يعرف بعلاقة ، اتخذ عملة جديدة نقش عليها هذه العبارة : « عزا بعد فاقة للأمير علاقة » ، وأعلن استقلال مدينته (١) ، أرسل برجوان الذي كان يلي إذ ذاك الوصاية على هذا الخليفة حملة كبيرة بقيادة جيش بن الصمصامة الكتامي إلى صور . وكان علاقة التأثير بها قد استنجد بالإمبراطور باسيل الثاني ؛ فبعث إليه بإمدادات في البحر ؛ ورأى برجوان من حاجته أن ينفذ إلى مياه صور بعض سفن الأسطول المصري . فحوصرت المدينة من البر والبحر ، ونشبت بين الفريقين معارك شديدة انتهى الأمر فيها بسقوط صور في أيدي القوات الفاطمية وهزيمة البيزنطيين وحليفهم الأمير علاقة الذي أسر وأرسل إلى القاهرة حيث قتل . وواصل جيش بن الصمصامة الكتامي سيره إلى أقاميه (٢) (Apamea) . وهناك التقى بالبيزنطيين . فتغلب عليهم ، وأخذ يطاردهم حتى أبواب أنطاكية (٣) .

وعلى الرغم على تتابع انتصارات الفاطميين على البيزنطيين ، فإن برجوان عول على مهادنتهم ليتسنى له التفرغ للقضاء على الفتن الداخلية بمصر . فأرسل إلى باسيل يفتتح عليه عقد الصلح . فرحب الإمبراطور البيزنطي بهذه الدعوة ، وأنفذ سفيراً إلى الخليفة الفاطمي ليتفق معه على شروط الصلح . وبينما كانت المفاوضات تدور بالقاهرة غزا باسيل بلاد الشام لوقف زحف القوات الفاطمية إلى أنطاكية . وكاد مشروع الصلح ينهار لولا الفشل الذي لحق بالإمبراطور في هجومه الجديد ، فارتد مسرعاً

(١) حق . تاريخ سورية . ص ٢١٣

(٢) مدينه حصينة ، وهي بلدة من كور حنس

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ج ١ ، ص ١٨١ — ١٨٤ ، ابن خلدون ، ج ٤

نحو أرمينية وآثر استتباب السلم في حدود بلاده الجنوبية حتى يتفرغ لمواجهة البلغار

استؤنفت على أثر ذلك المفاوضات في القاهرة بين رجال الدولة المصرية والسفير البيزنطي . ولما تم الاتفاق على شروط الصلح ، انتدب برجوان أريسطيس بطريرك بيت المقدس لمصاحبة السفير البيزنطي في سفره إلى القسطنطينية لعرض هذه الشروط على الإمبراطور وإقرارها منه . فقام أريسطيس بهذه المهمة ، وتم بذلك إبرام معاهدة صداقة بين مصر والدولة البيزنطية تقرر فيها ما يأتي :

- ١ - تظل الهدنة قائمة بين مصر والدولة البيزنطية مدة عشر سنوات .
- ٢ - يتمتع المسيحيون الذين يقيمون في أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم وبنائهم .
- ٣ - يتعهد الإمبراطور باسيل الثاني بإمداد مصر بما تحتاج إليه من الحبوب .

على أن الإمبراطور البيزنطي سرعان ما قطع علاقته بالدولة الفاطمية حين وصلته أنباء سياسة الحاكم العدائية إزاء النصارى ؛ وظل الحال على ذلك إلى أن توفي هذا الخليفة وخلفه ابنه الظاهر ؛ فحاولت عجمته ست الملك - التي قامت بالوصاية عليه - توطيد العلاقة بين مصر والدولة البيزنطية . وتنفيذاً لهذه الرغبة ، أرسلت نيقفور بطريرك بيت المقدس سفيراً إلى باسيل الثاني ليعمل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين ، وليخبره بالإجراءات التي اتخذت في القاهرة لرفع الحيف عن النصارى وتجديد بناء الكنائس . بيد أن هذه السفارة لم تأت بطائل ؛ وظلت غارات البيزنطيين تتوالى على شمال الشام حتى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) حيث أنفذ الظاهر سفارة إلى الإمبراطور قسطنطين الثامن لعقد الصلح ؛ فتم الاتفاق بين الفريقين على

إبرام معاهدة تضمنت شروطاً اتزم تنفيذها كل من الخليفة الفاطمي والإمبراطور البيزنطي ، وفيما يلي هذه الشروط (١) :

١ - أن يسمح للإمبراطور البيزنطي بإعادة بناء كنيسة القيامة في بيت المقدس .

٢ - أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الحاكم عدا التي حوّلت إلى جوامع .

٣ - أن يعين الإمبراطور البيزنطي بطريقاً في بيت المقدس .

٤ - ألا يقوم الفاطميون بأي عمل عدائي نحو حلب حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التي كانت تدفعها الدولة البيزنطية ، منذ عام ٩٧٠ م .

٥ - ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأي عدو من أعداء الدولة البيزنطية وخاصة أهل صقلية الذين هددوا هذه الدولة وعاثوا في جزر بحر الأرخيل ، وكان الإمبراطور البيزنطي يخشى انضمام الأسطول الفاطمي إلى هؤلاء ، فيتعذر عليه إخضاعهم .

وفي مقابل هذه الشروط ، يتعهد الإمبراطور بما يأتي :

١ - أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمي في الخطبة ، في جامع القسطنطينية والمساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية .

٢ - أن يعيد بناء جامع القسطنطينية .

٣ - أن يطلق سراح الأسرى المسلمين الذين في قبضة الروم .

٤ - ألا يقدم الإمبراطور أية مساعدة لحسان بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة الذي خرج على الخليفة الظاهر الفاطمي .

٥ - أن يسحب الإمبراطور طلبه الخاص بالاستعاضة عن شيزر بأفامية .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ص ٢٧٠ - ٢٧١

G. wiet, Hist. de La Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe)
p. 222, 223.

على أن الأمر الذي يسترعى النظر في هذا الصلح أن الإمبراطور البيزنطي تعهد بإعادة بناء جامع القسطنطينية . وكان البيزنطيون قد أقدموا على هدمه حين بلغهم هدم كنيسة القيامة في بيت المقدس ، ثم أعادوا بناءه في أيام الظاهر الفاطمي .

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة ٤٠٢ هـ ، وانضموا إلى بعض أمراء العرب بالشام الذين كانوا يعادون الفاطميين ؛ فساروا مع حسان بن مفرج بن الجراح الطائي صاحب الرملة . وكان قد لجأ إليهم بعد أن هزمه جند الخليفة الظاهر الفاطمي عند طبرية - ، وأغاروا على أقامية وغنموا منها مغنم كثيرة واستولوا على قلعتها وأسروا كثيراً من أهلها (١) .

تحسنت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين في أوائل عهد المستنصر بالله ، فعقد هذا الخليفة هدنة مع الإمبراطور ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) وسمح له بإتمام إصلاح كنيسة القيامة على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم ، فأخلى الإمبراطور سبيل الأسرى وأرسل المماريين إلى بيت المقدس ، وأنفق كثيراً من الأموال على تجديد بناء هذه الكنيسة (٢) .

ولما ولي قسطنطين التاسع الحكم حافظ على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين ، فبعث إلى المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٣٧ هـ هدية عظيمة اشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب الأحمر ، قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية (٣) .

(١) أبو الفدا . المختصر في أخبار البعير ، ج ٢ ، ص ١٥٨

(٢) أبو الفدا . المختصر في أخبار البعير ، ج ٢ ، ص ١٦٢

(٣) الأبرشيه . المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٥٤

استغل الخليفة المستنصر بالله الفاضى فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على إنعاش الحالة الاقتصادية فى دولته ؛ فأرسل على أثر المجاعة التى حلت بمصر سنة ٤٤٦ هـ إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع يطلب منه أن يمدّه بأربعمائة ألف أردب من القمح ؛ فأظهر الإمبراطور استعداداه لإجابة هذا الطلب ؛ لكنه لم يلبث أن توفى وخلفته الإمبراطورة تيودورا ، فاشتطت لتقديم هذه المساعدة أن يمدّها المستنصر بالجنود إذا ما اعتدى على بلادها أى معتد ؛ غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط ، فأجابته تيودورا على ذلك بأن حالت دون إرسال الغلال إلى مصر .

أثارت سياسة هذه الإمبراطورة غضب الخليفة المستنصر ، وعول على محاربتها ، فجهز حملة تحت قيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم ؛ وما لبث هذا القائد أن نزل بالقرب من أقامية ثم تجول فى أعمال أنطاكية^(١) ؛ فأنفذت الإمبراطورة حملة بحرية أوقعت به الهزيمة . وأسر هو وكثير من جنده سنة ٤٤٧ هـ . وكان ذلك مما حمل المستنصر على أن يعهد للقاضى أبى عبد الله القضاعى بالذهاب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتين ؛ فلم تحفل الإمبراطورة بوجوده ، على حين رحبت برسول السلطان طغرل بك السلجوقى الذى قدم إذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتبس فيها أن يصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فأذنت له بذلك ؛ فدخله وصلى فيه صلاة الجمعة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى . ولا غرو فقد كان السلاجقة فى ذلك الوقت أشد خطراً على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضمحل سلطانهم فى بلاد المغرب وأصبحوا يواجهون فى مصر كثيراً من الصعاب .

ولما وقف الخليفة المستنصر على سياسة الإمبراطورة العدائية إزاءه

(١) القرىزى ، ج ١ ، ص ٣٣٥

والإساءة إلى لحقت بسفيره . بحث في طلب كنوز كنيسة القيامة ونفائسها؛ فأرسلت إليه (١) : وإزداد بذلك التوتر في العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين .

عاد العداء بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية سيزته الأولى ؛ وظل الحال على ذلك إلى أن وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام ، وأسسوا بها إمارات أنطاكية وبيت المقدس ؛ وصاروا يشتبكون من وقت لآخر في معارك حربية مع القوى الإسلامية بتلك البلاد وبخاصة في عهد نور الدين محمود أمير حلب الذي أمره بغزو دمشق إليه سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) (٢) .

ولما أخذت الأخطار تواجه الفرنجة بيت المقدس من جراء ازدياد نفوذ نور الدين محمود ببلاد الشام وطموحه إلى بسط سلطانه على مصر ، بحث أموري ملك بيت المقدس يستنجد بملوك أوروبا لوقت الخطر الذي يهدد الإمارات اللاتينية بالشام ، لكنهم شغلوا عنه ؛ لذلك لم يبدأ من الاستعانة بالإمبراطور البيزنطي ماثيول الذي رحب بمعد يد المعونة إليه واتفق معه على المسير بحراً إلى مصر ؛ وأنفذ إليه أسطولاً يعاونه حملة من الفرسان والمشاة مزودة بالموثون والعتاد الحربي (٣) . وتوجهت هذه القوات إلى دمياط حيث أحاطت بها برا وبحراً في صفر سنة ٥٦٥هـ (١) . (١١٦٩م) . وكان الإمبراطور البيزنطي يرجو أن تحقق هذه الحملة أطماعه في التوسع ، فتصبح مصر من بين الأقطار الداخلة في دائرة نفوذه . ولما بلغ صلاح الدين وزير الخليفة الفاطمي العاضد ميسير قوات الفرنجة

(١) Stanley Lane - Poole, A History of Egypt in the Middle Ages p.148

ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٧

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٧٤-٧٥

(٣) حسني جبهى : نور الدين والصليبيون ، ص ١٣٥

(٤) القريري : خطط ، ج ١ ، ص ٢١٥

والبيزنطيين إلى دماط ، عول على النهوض لصدها ، فأرسل جنده عن طريق النيل ، وبعث إلى محمد بن محمود خطاب الأمداد (١) ، فأجاب طلبه ، كما حرص الخليفة على مده بالأموال (٢) .

على أن هؤلاء المغيرين على دماط من الفرنجة والبيزنطيين لم يقدموا على التوغل في داخل البلاد المصرية ، بل اضطروا إلى الرحيل عن هذه المدينة - بعد أن ظلوا يحاصرونها نحو خمسين يوما - والعودة بجيوشهم إلى بلادهم ، بسبب ما بلغهم عن شدة جور الدين في الإغارة على بلاد الإمارات اللاتينية بالشام ، فضلا عن وقوع الخلف بين قوادهم ؛ وبذلك عجزت الحملة الصليبية التي عاونها البيزنطيون عن تحقيق أطماعها في مصر (٣) .

(١) ابن واصل ، مرجع ، مكروب و أخبار بني أيوب ، ج ١ ، ص ١٨١

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ١٣٢ ، القرطبي ، خفاط ، ج ١ ،

ص ٢١٥

(٣) حبي حبي ، نور الدين و الصليبيون ، ١٣٨-١٣٩

(ب) "الفاطميون والمدرسة الإيطالية"

كانت مدينة أمالفي أول المدن الإيطالية التي أنشأت علاقات مع مصر والشام في العصر الفاطمي ؛ ومن دلائل ذلك أن أحد أثرياء هذه المدينة ويدعى Maurus ، استعان بمهرة الصناع والفنانين من الإسكندرية لتزيين بعض قصوره بالفسيفساء . وما يذكر عنه أنه لما شرع في بناء دير بيت المقدس - وكانت إذ ذلك خاضعة للسيادة الفاطمية - ، اقتضت الضرورة إجراء محادثات مع الحكومة الفاطمية بمصر في عهد الخليفة الظاهر سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) على منحه قطعة من الأرض بالحى المسيحى بالمدينة شيد عليها دير Mario de Latina لإيواء الحجاج والتجار من أهل أمالفي (١)

كذلك حرصت مدينة بيزا على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين ، فأرسلت سنة ١١٥٤ م سفيراً إلى بلاط الخليفة الظاهر الفاطمي لتسوية بعض المشاكل الناجمة عن اعتداء بعض التجار من رعاياها في إحدى السفن على فريق من التجار المصريين بالقتل والسلب . وثارت الحكومة الفاطمية لرعاياها المصريين بمعاقة التجار البيزانة المقيمين بمصر . فلما وصل سفير الحكومة البيزية استطاع أن يتفق مع رجال الحكومة الفاطمية على تسوية ، تضمنت تعهداً من حكومة بيزا بالاقتصاص من المعتدين والامتناع عن تقديم أى مساعدة للصليبيين في الشام وغيرهم من أعداء مصر ، كما تضمنت تعهداً من الحكومة الفاطمية بإطلاق سراح رعايا مدينة بيزا الذين أودعوا السجن بسبب اعتدائهم على بعض المصريين ، وحماية الحجاج والتجار البيزانة الذين يسافرون في سفن غير حربية .

(١) Hayd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age

Tome I. p. 102 - 104

وبلغ من اهتمام حكومة بيزا بتوطيد علاقاتها برجال الحكومة الفاطمية أنه عندما أسندت الوزارة في مصر إلى طلائع بيزا رريك ، صارت إلى إرسال وفد لتقديم تهنئتها إليه ، فرحب بقدمهم وأكرم وقادتهم ، ووعد بالعمل على حماية رعاياهم .

على أن حكومة بيزا لم تكن مخلصاً في تقريبها للفاطميين ؛ ووضح ذلك حين أخذ أموري ملك بيت المقدس بهدد الفاطميين في مصر فأظهرت بيزا استعدادها لمعاونة الصليبيين ، ووعدها أموري ببعض الامتيازات في البلاد المصرية . ولما اتضح للبيازنة أن الصليبيين لن يتيسر لهم البقاء في مصر ، وأنهم في سبيل الاتفاق مع الحكومة الفاطمية للجلاء عن البلاد ، سارعت حكومة بيزا إلى الوساطة بين الطرفين ، وأقادها هذا العمل . إذ منحها الخليفة العاضد الفاطمي امتيازات تجارية لكنها لم تلبث أن عادت إلى إثارة مصالحها الخاصة ، فاشتركت مع الصليبيين سنة ١١٧٠ م في الهجوم على ثغر ديباط رغم الامتيازات التي منحتها لها الحكومة الفاطمية^(١) .

وكانت مدينة جنوة تحرص أيضاً على التودد إلى الفاطميين . وقد نمت العلاقات بينها وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي ؛ فعقد مندوب عنها معاهدة تجارية مع الحكومة الفاطمية عام ١٠٦٣ م ، كما وافق بعض الخلفاء في أواخر العصر الفاطمي على حماية رعايا هذه المدينة أثناء إقامتهم بأراضي الدولة الفاطمية^(٢) . وكان كثير من تجار جنوة يتوافدون إلى الإسكندرية لاستيراد بعض السلع ومن بينها الشب

(١) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age

Tome I. pp, 392 - 396

Stanléy Lane - Poole. A History of Egypt in the Middle Ages
P. 182

(٢) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age

Tome I. p, 391 .

والنظرون التي احتكرت الحكومة الفاطمية تجارته ، واحتفظت لنفسها بحق بيعه للروم (١) .

ولم يكن اهتمام البندقية بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين في مصر والشام أقل من غيرها من المدن الإيطالية . ففي القرن العاشر الميلادي كانت تنقل إلى العرب الخشب اللازم لبناء السفن . ولما تعرضت لتهديدات الإمبراطور البيزنطي حنا زيمسكيس (John Zimisces) بالانتقام منها إذا لم تمتنع عن مد مصر وغيرها من البلاد الإسلامية بالخشب الذي يصلح لهارة السفن ، أصدرت أمراً بمنع تصدير هذا النوع من الخشب وسمحت بإمدادها بالخشب الذي لا يصلح لبناء السفن (٢) . وكان لهذا القرار أثر سيء في مصر ، فقد ترتب عليه أن ندر وجود خشب السفن في مصر حتى إنه لما أراد الوزير عيسى بن نسطورس أن ينشئ أسطولاً يقوم مقام الأسطول الذي كان معداً لوقف تقدم البيزنطيين بالشام واحترق ، أمرت الحكومة الفاطمية بقطع الأخشاب من مختلف جهات القطر (٣) .

على أن حكومة البندقية رأت ألا تضحي بمصالحها الخاصة في سبيل إرضاء أباطرة الدولة البيزنطية ، فأرسلت بعثات إلى مصر حصلت على امتيازات لسفنها (٤) ، كما أن تجارها عملوا على تنمية العلاقات التجارية مع المسلمين ، وصارت سفنهم تنقل من موافى مصر منتجات آسيا إلى أسواق أوروبا .

(١) المقرئى . خطط ، ١ ، ص ١٠٩

(٢) متر . الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأطاكي ، ص ١٧٨

(٤) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age

Tome I, p. 114.

المصادر والفهارس الأبجدية

مصادر الكتاب

١ - ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى .

(١) الكامل فى التاريخ . (١٢ جزءاً)

٢ - (ب) تاريخ دول الأتابكة .

٣ - أحمد أمين .

« ظهر الإسلام » . الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٥)

٤ - الأدقوى : (ت ٧٤٨ هـ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب ابن جعفر بن على الأدقوى الشافعى .

« الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد » .

٥ - أرنولد : سير توماس . Arnold : Sir Thomas. W.

The Caliphate (Oxford, 1924)

٦ - أمارى : ميشيل — Amari ; Nichel

مكتبة صقلية العربية (جزءان)

Biblioteca Arabo — Sicula. 2. Vola.

٧ - أولبرى دى ليسى : (De Lacy) O' Leary.

A Short History of the Fatimid Khalifate

٨ - إيوانو : Evunow

The Rise of the Fatimids

- ٩ - باخرمه : أبو محمد عبد الله بن أحمد الطيب باخرمة .
« المختار في تاريخ ثغر عدن » ، « صنوبر شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة » .
- ١٠ - البغدادي : (ت ٥٤٢٩ ، م ١٠٣٧) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر .
« الفرق بين الفرق » ، (القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ١٩١٠ م) .
- ١١ - البكري : (ت ٤٨٧ هـ ، م ١٠٦٤) أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري .
« المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب » .
- ١٢ - البنداري : (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري)
« الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني » .
« تاريخ دولة آل سلجوق » ، (القاهرة ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠ م)
- ١٣ - البهاء الجندی : (ت ٧٢٢ هـ ، م ١٣٣١) أبو عبد الله بهاء الدين ابن يوسف بن يعقوب الجندی
« أخبار القرامطة باليمن » ، المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموالى والملوك .
- ١٤ - ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) . جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن أبي الحسن علي بن محمد
« المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » .
- ١٥ - حتى : فيليب - Hitti Philip
(١) History of the Arabs
١٦ - (ب) History of Syria

- ١٧ - حسن إبراهيم حسن
(١) الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص
(القاهرة - ١٩٣٢)
تاريخ الدولة الفاطمية
(القاهرة - ١٩٥٩ م)
- ١٨ - (ب) تاريخ الإسلام السياسي (الجزء الثالث . القاهرة - ١٩٤٦)
- ١٩ - حسن إبراهيم حسن وطه شرف .
(١) عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة
الفاطمية في بلاد المغرب .
(القاهرة - ١٩٤٧ م)
- ٢٠ - (ب) المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة
الفاطمية في مصر .
(القاهرة - ١٩٤٨ م)
- ٢١ - حسن حبشي :
(١) الحرب الصليبية الأولى
(القاهرة - ١٩٤٧ م)
- ٢٢ - (ب) نور الدين والصليبيون
(القاهرة - ١٩٤٨ م)
- ٢٣ - ابن حزم : (ت ٥٦٢ هـ ، ١٠٦٤ م) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
ابن حزم بن غالب بن صالح الأندلسي الظاهري .
« جمهرة أنساب العرب » ،
(تحقيق وتعليق أ . ليفي . بروكسسال - القاهرة ١٩٤٨ م)
- ٢٤ - الحمادي اليماني : محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني .
(من فقهاء السنة في أواسط القرن الخامس الهجري)
« كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » .
(م ١٧ - قاطين)

٢٥ - الخطيب البغدادي : (ت ٤٦٣ هـ) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي
و تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (١٤ جزءاً)

٢٦ - ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد
و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، (٧ أجزاء - بولاق ١٢٨٤ هـ)

٢٧ - ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي
و وفیات الأعيان ، (جزءان - بولاق - ١٢٨٣ هـ)

٢٨ - دحلان : (ت ٣٠٤ هـ) أحمد زيني دحلان المكي .
و خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام ،

٢٩ - الديبع الشيباني : (ت ٩٤٤ هـ) الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن
ابن علي بن محمد الشيباني الشافعي المشهور بالديبع الزبيدي .
و قره العيون في تاريخ اليمن الميمون ، (صور شمسية بدار الكتب
المصرية بالقاهرة) .

٣٠ - دي غويه : De Goeje M. C.

Memoire Sur Les Carmathes du Bahraiu et Les Fatimides.
(Leyden 1886)

٣١ - سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٢ هـ ، ١٢٥٧ م) شمس الدين أبو المظفر
يوسف بن قز او غلي . و مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، .
(صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٥١ تاريخ)

٣٢ - ابن سعيد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٢٧٥ م) علي بن موسى المغربي .
و المغرب في حلي المغرب و المشرق في حلي المشرق ، .

- ٢٣ - السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى .
« الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » ،
(٤ أجزاء - القاهرة ١٣١٠ - ١٣١٢ هـ) .
- ٢٤ - السيد عبد العزيز سالم :
« المغرب الكبير » ، (العصر الإسلامى) . (القاهرة ١٩٦٦ م) .
- ٣٥ - سيدة إسماعيل كاشف :
« مصر فى عصر الأخشيديين » ، (القاهرة ١٩٥٠ م) .
- ٣٦ - السيوطى : (ت ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر
جلال الدين . « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » .
- ٣٧ - طه شرف :
« دولة النزارية أجداد أغاخان » ، (القاهرة - ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م) .
- ٣٨ - عبد العزيز الدورى :
« دراسات فى العصور العباسية المتأخرة » ، (بغداد - ١٩٤٥ م) .
- ٣٩ - عبد القادر الأنصارى : (الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدرى
محمد بن إبراهيم الأنصارى) من علماء القرن العاشر الهجرى .
« درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » ،
مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- ٤٠ - ابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ ، ١٢٦١ - ١٢٦٢ م) كمال الدين
أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد هبة الله .
« زبدة الحلب فى تاريخ حلب » .

٤١ - العرشى : القاضي حسين بن أحمد العرشى الزيدى (من علماء القرن الرابع عشر الهجرى)
« بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام » .

(نشر الادب أنستاس مارى الكرملى) .

٤٢ - عمارة اليمنى (ت ٥٦٩ هـ ، ١١٧٤ م) أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكيم اليمنى الملقب بنجم الدين .

(١) تاريخ اليمن ، (نشر Henri Cassels Key) .

“Yaman, Its Early Mediaeval History”.

٤٣ - (ب) « النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية » .

(نشر Hartwig Derenbourg - باريس ١٨٩٧ م) .

٤٤ - ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٢٧٣ م) الشيخ المكي جرجس ابن العميد « تاريخ المسلمين » (ليدن - ١٦٢٥ م) .

٤٥ - أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ ، ١٣٣١ م) إسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماء

« المختصر فى أخبار البشر » .

٤٦ - فييت : جاستون فييت - Wiet, G. .

(١) Histoire de La Nation Egyptienne Vol IV.

(L’Egypte Arabe).

٤٧ - (ب) Précis de L’Histoire d’Egypte T. II. (L’Egypte Musulmane).

٤٨ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ ، ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة « ذيل تاريخ دمشق » .

٤٩ - الفلفشندى : (ت ٨٢١ هـ ، ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد
، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (١٤ جزءاً) .

٥٠ - الكندى : (ت ٢٥٠ هـ ، ٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف
، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، (ليدن - ١٩٠٨ م) .

٥١ - لامانس : Lammens ; Père Henri
La Syrie, Précis Historique, Tome 1.

٥٢ - لينبول : ستانلى . Lane - Poole : Stanley .
A History of Egypt in the Midde Ages (١)

٥٢ -- (ب) The Muhammadan Dynasties

٥٤ - ابن المؤيد النبى : (يحيى بن الحسين)
، أنباء الزمن فى تاريخ الين ، (صور شمسية بدار الكتب
المصرية بالقاهرة ، رقم ١٣٤٧) .

٥٥ - متز : آدم . Mez . Adam .
Die Renaissance des Islams.

نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده بعنوان :
(الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) - (جزءان -
القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٤١) .

٥٦ - ابن الجاور : (٦٩٠ هـ) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب
ابن محمد المعروف بابن الجاور الشيبانى الدمشقى .
، تاريخ ابن الجاور ، (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة
رقم ٥٣٤٢) .

٥٧ - أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ ١٢٥٤ م) جمال الدين يوسف بن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة) .

٥٨ - محمد جمال الدين سرور .

(أ) النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب . (الطبعة الرابعة . القاهرة ١٩٦٤) .

٥٩ - (ب) النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق . (الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٤) .

٦٠ - مسكويه : (ت ٤٢١ هـ ، ١٠٣٠ م) أبو علي أحمد بن محمد ، كتاب تجارب الأمم .

٦١ - المقدسي : (ت ٣٨٨ هـ ، ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي المعروف بالبشاري .

د أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (المكتبة الجغرافية العربية - المجلد الثالث . طبعة دى غويه ليدن ١٩٠٦ م) .

٦٢ - المقرئى : (٨٤٥ هـ ، ٤٤١ م) آقى الدين أحمد بن على .

(أ) السلوك لمعرفة دول الملوك ، (نشر الدكتور زيادة) .

٦٤ - (ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ) .

٦٤ - (ج) انعاظ الخفا بأخبار الأئمة الخلفاء ، (نشر الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٨) .

٦٥ - ابن ميسر : (ت ٨٦٧٧ ، ١٢٧٨ م) محمد بن علي بن يوسف بن جلب
« تاريخ مصر » ، (طبعة هنري ماسيه Henri Masae) القاهرة
١٩١٩ م) .

٦٦ - النعمان : (٣٦٣ ، ٩٧٣ م) : أبو حنيفة المغربي .
« المجالس والمسائرات » ، (٣ أجزاء - مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة)
٦٧ - النويري : (ت ٨٧٣٢ ، ١٢٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
« نهاية الأرب في فنون الأدب » ، (صور شمسية بدار الكتب
المصرية بالقاهرة . رقم ٥٤٩) .

٦٨ - هبة الله الشيرازي : (ت ٨٤٧٠ ، ٧٧٠ م) المؤيد في الدين هبة الله .
« سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » .
(نشر الدكتور محمد كامل حسين - القاهرة ١٩٤٩ م) .

٦٩ - الهمداني : حسين - Al-Hamdani, (Husain)

« Letters of Al-Mustanair Billah. »

(Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol VII part 2. 1934)

٧٠ - هيد : Heyd, W

Histoire de Commerce du Levant au moyen Age (2 Vols. —
Leipzig, 1923)

٧١ - ابن واصل : (ت ٨٦٩٧ ، ١٢٩٧ - ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد بن
سالم بن واصل

« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » .

(نشر جمال الدين الشيال - ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ م) .

٧٢ - ابن الوردي : (ت ٨٧٥٠ ، ١٣٤٩ م)

« أتممة المختصر في أخبار البشر » ، (القاهرة - ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م) .

٧٣ - ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي .

« معجم البلدان » ، (١٠ أجزاء - القاهرة ١٩٠٦ م) .

٧٤ - يحيى بن سعيد الأنطاكي : (ت ٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م) .

صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، (جزءان - بيروت ١٩٠٩ م) .

٧٥ - اليماني : محمد بن محمد .

« سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلميه ووصوله إلى سجلماسة » (نشر إيفانو . مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - ديسمبر ١٩٣٦) .

٧٦ - السجلات المستنصرية .

« سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرهم » .

(نشر وتحقيق دكتور عبد المنعم ماجد سنة ١٩٥٤) .

٧٧ - مجموعة الوثائق الفاطمية .

(جمعها وحققها دكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٨ م) .

Encyclopaedia of Islam. — ٧٨

Encyclopaedia of Religion and Ethics — ٧٩

٨٠ - تاريخ كامبردج العصور الوسطى

Cambridge Mediaeval History vol IV.

فهرس الأعلام

(١)	بأبي المنصور) - ص ٤٧ ، ٤٨ ،
الأمر بأحكام الله الفاطمي -	١٢٢ ، ١١٦
ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،	أحمد الأكحل - ص ٢٣٦
٢١٣ ، ٢١٢ ، ١٠٢	أحمد بن بويه = معز الدولة
ابراهيم بن الحسين الحامدي - ص ٩٩	أحمد بن الحسن السكلي - ص ٢٣٤
ابراهيم بن عبد المجيد الشيعي -	٢٣٥
ص ٧٧	أحمد حميد الدين الكرمانى -
ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الزيدى	ص ١٨٠ هـ
- ص ٦٧	أحمد بن على بن ابراهيم بن الزبير
ابراهيم بن محمد الأخيضر - ص ٥٥	الفساني الأسواني - ص ١٠٤
ابراهيم ينال - ص ١٧٩ ، ١٩٦ ،	أحمد بن قرعب - ص ٢٣٢ ، ٢٣٣
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،	أحمد بن مرزبان - ص ٦٤
٢٠٤ ، ٢٠٥	الأخشيدي = محمد بن طنج
أئسر التركاني - ص ١٥٢ ، ١٥٣ ،	إدريس بن زيري الصنهاجى -
١٥٤	ص ٢٤ .
أحمد بن أبي سعيد الحسن (الملقب	أرتاش - ص ١٩٩
	أرتق - ١٥٦

تنبيه : اعتمدنا في ترتيب الأسماء على أول الإسم دون المبالاة بأداة التعريف ، وبلغظى الأب والابن . مثال ذلك : (ابن باديس) فقد ذكرناه في حرف الباء ، و (ابن جفتم) تجده في حرف الجيم ، و (أبو القاسم) في حرف القاف . وكل اسم ورد بعد رقم يليه الحرف (هـ) فهو من أسماء الأعلام الواردة في الهوامش .

أمورى (ملك بيت المقدس) -

ص ٢٥٠

أنوشتكين الدزبرى (القائد التركى)

- ص ١٤٢ ، ١٤٩

أونوجور (ابن محمد بن طنج

الأخشيذ) - ص ١١٤ ، ١١٥

إيلغازى بن الأمير أرتق -

ص ١٥٦

(ب)

باسيل الثانى (الامبراطور البيزنطى)

- ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥

١٦٧ ، ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

٢٤٤ ، ٢٤٥

باديس - ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

بدر (غلام عزيز الملك فاتك) -

ص - ١٤٨

بدر الجمالى - ص ٨٦ ، ٨٧ ، ١٥٣

١٥٤

برجوان - ص ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

بركياروق - ص ١٥٥

البساسيرى = أبو الحارث أرسلان

البساسيرى .

بكجور التركى - ص ١٤٣ ، ١٤٤

أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب

المعروف بابن فورك - ص ٢٠٤

أريسطيس (بطريرك بيت المقدس)

- ص ٢٤٣

اسحق بن عسودا - ص ١٢٠

أسد بن الفرات (قاضى القيروان)

- ص ٢٣١

أسعد بن أبى يعفر - ص ٦٨

أسعد بن شهاب - ص ٨٣

أسماء بنت شهاب - ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤

اسماعيل بن ابراهيم بن جابر -

ص ٦٣ ، ٦٤

اسماعيل بن جعفر الصادق - ص

٥٦ (أ) ، ١٦٣

اسماعيل بن يوسف بن محمد

الأخضر - ص ٥٥

الأصغر بن أبى الحسن الثعلبى -

ص ٥١

افتخار الدولة - ص ١٥٨

أفتكين (أبو منصور التركى

الشرابى) ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥

١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

الأفضل بن بدر الجمالى (الوزير) -

ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٥

٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠

١٢٢ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٣٩

جوهري الصقلي - ص ٢٤ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ٢٢٢

جود فردي - ص ١٥٨

جياش - ص ٨١

أبو الجيش إبراهيم - ص ٦٨

أبو الجيش اسحق - ص ٦٧ ، ٧٩

جيش بن الصمصامة - ص ١٣٢ ،

١٢٩ ، ٢٤٢

(ح)

أبو الحارث أرسلان البساسيري -

ص ١٥١ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٥

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩

الحافظ (الخليفة الفاطمي) - ص

٢٢ (٥) ، ٢٢ ، ٤٦ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ،

الحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمي) -

أبو بكر البافلاني - ١٧٤

بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي -

ص ٢٢٥

ابن بلدكوز - ص ١٥٢

بهاء الدولة بن عضد الدولة - ص

١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥

بوهمند النرمندي - ١٥٦

(ت)

تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان -

ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥

أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان

ص ٥٧ ، ١٢٤

تميم بن المعز بن باديس - ٢٢٩

(ث)

ثمال بن صالح بن مرداس - ص ١٤٩

١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،

(ج)

جعفر الحاجب - ص ٧٧ ، ٧٦ ، ٧١

جعفر الصادق - ٥٦ (٥) ، ١٦٣

(٥) ، ٢١٤

جعفر بن فلاح الكتامي (القائم

الفاطمي) - ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،

أبو الحسن ولد ابن حوشب - ص	ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨	٣١ ، ٧٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
حسن بن جعفر الحسني - ص	١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ،
٢٤ ، ٣٧	٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ،
الحسن بن رباح - ص ٢٣٢	أبو حرب طغان - ص ٥٨
الحسن بن سهل - ص ٦٧	حسان بن مفرج بن الجراح الطائي
الحسن بن طاهر (ممنى) - ص ٢٥	- ص ٢٥ ، ٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ،
الحسن الكلي - ص ٢٣٤	١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٤٤ ،
الحسن بن محمد بن أبي خنزير	٢٤٥
الكتامي - ص ٢٣٢	الحسن بن أحمد القرمطي - ص
حسين بن اسماعيل الاصبهاني	٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
- ص ٩٠ ، ٩١	١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
الحسين بن علي بن أبي طالب -	١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
ص ٢٢ ، ٥٥ ، ٥٦ (أ) ، ١٦٣	١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
(أ) ، ١٧٤	الحسن بن الصباح - ص ٩٦ ،
حفص بن راشد - ص ٥٨	٩٨ ، ٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
ابن الحلاج - ص ٥٨	الحسن أبو علي الجنابي - ص ١٢٤
الحلواني - (الداعي) - ص ٧٠	الحسن بن عبد الله بن حمدان =
حمدان بن الأشعث (قرمط) -	ناصر الدولة بن حمدان
ص ٤١ (أ)	الحسن بن عبيد الله بن طنج
حمزة بن وحاش بن أبي الطيب	الأخشيد - ص ٢١ ، ٤٩ ، ١١٦ ،
داود - ص ٢٧	١١٨
حميد بن مصال - ص ٢٢٠	الحسن بن علي بن أبي طالب -
أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي	ص ١٩ ، ٥٦ (أ) ، ١٦٣ (أ)
الصليحي - ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١	١٧٤ ، ٢٢٠
	حسن بن علي الزيدى - ص ١٦٨

أبو ركوة - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤
 روجر بن تنكرد النرمندي -
 ص ٢٣٦
 رومانوس (أمبراطور الروم)
 - ص ٢٠
 ريان الخادم (والي دمشق) -
 ص ١٣٤

(ز)

زريع بن أبي الفتح - ص ٩١
 ١٠٤ ،
 زكريا بن عبد الملك الأزدي -
 ص ٦١
 زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب
 - ص ٢٣١

زيد بن علي زين العابدين - ص ٦٨
 (س)

سابور بن أبي طاهر - ص ٤٨
 سبأ بن أحمد الصليحي - ص ٩٠
 ٩٢ ، ٩١
 ست الملك - ص ٢٤٣
 سعادة بن حيان المغربي - ص
 ١٢٦ ، ١٣١
 سعد الدولة أبو المعالي بن سيف
 الدولة الحمداني - ص ١٢١ ، ١٣٥
 ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥

حنا زيمسكيس - ص ٢٣٩ ، ٢٥١
 أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد
 - ص ١٨٠ ، ١٨١ (هـ)
 ابن حوشب - ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢
 ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧

(خ)

خمار تكين الطغرائي - ص ٢٠٦
 (د)

داود بن عيسى بن فليته - ص ٣٧
 أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع
 ابن المقلد العقيلي - ص ١٧٣

(ر)

الراضي بن المقتدر - ص ٢٠ ،
 ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٦٦ (هـ)
 أبو ربيع سليمان بن الأمير الزواحي
 - ص ٨٨

ربيعة أبو المكارم هبة الله - ص ٢٢٤
 ابن رحيم - ص ٧٨
 رستم بن الحسين بن حوشب -
 ص ٥٥ ، ٦٩

ابن رشد - ص ٦٠

رضوان بن تنش - ص ١٥٥ ، ١٥٦
 ركن الدولة الحسن بن بويه -
 ص ١٦٦ (هـ)

بدران العقيلي - ص ١٥٠
 الشريف أبو أحمد الموسوي - ص
 ١٧٥ ، ١٧٦
 الشريف أبو طالب الحسن - ص
 ٢٩ ، ٣٠
 شكر بن أبي الفتوح الحسن - ص
 ٢٧
 شمس الدولة توران شاه - ص ١٠٦

(ص)

صالح بن مرداس أمير بني كلاب -
 ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٨
 صدر الدين عبيد الله بن مرداس
 الشافعي (قاضي القضاة) - ص
 ٢١٦
 صدقة بن يوسف الفلاح - ص
 ١٨٢
 صلاح الدين يوسف بن أيوب -
 ص ١٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٤٧

(ط)

أبو طاهر سليمان الجنابي القرمطي -
 ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
 ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ١٢٨
 ١٦٤ ، ١٦٥

سعيد الأحول بن نجاح - ص ٨١
 ٨٤ ، ٨٥
 سعيد الدولة أبو الفضائل الحمداني -
 ص ٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 ٢٤٠
 أبو سفيان (الداعي) - ص ٧٠
 سفيان بن الأمير أرتق - ص ١٥٦
 ١٥٧

سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن
 ابن علي بن أبي طالب - ص ١٩
 سليمان بن عامر الزواحي - ص ٩٠
 سنان بن عليان (أمير الكلبيين) -

ص ١٤١

السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن
 جعفر بن موسى الصليحي
 (صاحبة العين) - ص ٢٢
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 ١٠٤ ، ١٠٥

سيف الدولة مبارك بن منقذ - ص
 ١٠٦ ، ١١٥

(ش)

شرف الدولة مسلم بن قریش بن

(ع)

العاقد بالله (آخر الخلفاء الفاطميين)

- ص ٣٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٥١

عامر بن عبد الله الزواحي ص ٧٦ ،

٨٠

ابن عباس الشاوري - ص ٧٦

العباس (بن عبد المطلب) - ص

١٩٥

العباس بن عمرو الغنوي - ص ٤٢

العباس بن المكرم الهمداني -

ص ١٠٣ ، ١٠٤

عبد الرحمن الناصر - ص ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢١

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي

طالب - ص ٥٥

أبو عبد الله الدامغاني - ص ٢٠٦

عبد الله بن عباس الشاوري -

ص ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٧

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن

زكريا المعروف بالشيخي -

ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

عبد الله بن علي العلوي - ص ٦١ ،

٦٢

عبد الله بن عمر بن الخطاب -

ص ٣٠

طاهر بن مسلم - ص ٢١

الطائع لله (الخليفة العباسي) - ص

٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠

٣١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ١١٩ ، ١٢٦ ،

١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧١ ،

١٧٢ ، ١٨٥

طغرل بك السلجوقي - ص ٣٠ ،

١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،

١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٦

ابن الطفيل - ص ٨٧

طلائع بن رزيك - ص ٣٢ ، ٣٣ ،

٢٥٠

أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن

عبد الله دارد - ٣٧

(ظ)

ظالم بن موهوب العقيلي - ص ١٢٠

١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

الظاهر لإعزاز دين الله (الخليفة

الفاطمي) - ص ٢٧ ، ١٢٦ ،

١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ،

١٨٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ،

٢٤٥ ، ٢٤٩

- عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر -
ص ٧٨ ، ٧٩
أبو عبد الله القضاعى - ص ٢٤٦
أبو عبد المأمون البطائحي - ص ٩٧ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ٢١٢
عبد الله بن محمد الأخضر - ص ٥٥
أبو عبد الله بن ناصر الدولة بن
حمدان - ص ١٤٩
عبد المجيد بن محمد بن المستنصر
(الحافظ لدين الله) ص ٣٢ (هـ)
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٢
عبد المؤمن بن علي (أمير دولة
الموحدين) - ص ٢٢٩ ، ٢٣٠
عبد النبي بن مهدي - ص ١٠٦
عبد الوهاب بن أحمد بن مروان
(أمير عمان) ص ٥٧ ، ٥٨
عبيد الله المهدي (الخليفة الفاطمي)
- ص ٢٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٧ ،
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
٧٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨١
(هـ) ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
عز الدولة بنختيار (أمير بني بويه) -
ص ١٢٣ ، ١٤٤
العزیز بالله (الخليفة الفاطمي) -
ص ٢٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦
- ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
عزیز الملك فاتك الحمداني (أمير
الأمراء) - ص ١٤٨
عضد الدولة بن ركن الدولة البويهی
- ص ٢٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٢
عضد الدين أبو الحسن جوهر
المستنصری - ص ٨٧
علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة -
ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)
- ص ١٩ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٥٥ ،
٥٦ (هـ) ، ١٦٣ (هـ) ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢١٤
أبو علي أحمد بن الأفضل - ص ٣٢
(هـ) ٧٢ ، ١٠٢ ، ٢١٤
علي بن بويه (عماد الدولة) -
ص ١٦٦ (هـ)
علي بن أبي تغلب بن ناصر الدولة
بن حمدان - ص ١٢٤
علي بن جعفر بن فلاح - ص ١٤١
أبو علي الحسن بن ملهم (مكين
الدولة) - ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٨
علي سبأ بن أبي السعود بن ذريع -
ص ١٠٤
علي بن السلار - ص ٢١٦

(غ)

أبو الغارات بن مسعود - ص ١٠٤

(ف)

فائق (غلام ملهم) - ص ١١٨
فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) - ص ١٧٨ ، ٢١٢
أبو الفتح عثمان بن سعيد الكلابي - ص ١١٣

أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني
(أمير مكة) - ص ٢٥ ، ٢٦
٢٧ ، ٢٧ ، ٦٠ ، ١٤٠ ، ٢١٥
أبو الفرج عبد الله بن محمد الهابلي
(الوزير) - ص ٢٠٣

الفضل بن عبد الله - ص ٢٢٤
أبو الفوارس - ص ١٧٧
أبو الفهم الخراساني - ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

فبروز - ص ٧٢ ، ٧٣

(ق)

القادر بالله (الخليفة العباسي) - ص ٤٥ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ١٤٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٠٠ ، ١٨٨
(م ١٨ - الفاطميين)

علي بن عيسى (وزير الخليفة المقتدر)

بالله - ص ١٦٥ ، ١٦٦

علي بن الفضل اليماني - ص ٥٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

٧٦ ، ٧٩

علي بن عبد الله بن حمدان (سيف

الدولة) - ص ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤

علي بن عمر البلوي - ص ٢٢٢

علي بن أبي الفوارس - ص ٢٣٢

علي بن محمد الصليحي - ص ٢٨ ، ٦١

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧

علي بن هطال - ص ٥٩ ، ٦٠

عمارة النبي - ص ٢٢ ، ٣٣

عمر بن الخطاب - ص ١٦٣ (هـ)

عمر بن نهران الطائي - ص ٥٨

عميد الملك الكندي (وزير السلطان

طغرل بك) - ص ١٩٥ ، ١٩٦

٢٠٥

عيسى بن جعفر (أمير مكة) - ص ٢٥ ، ٢٧

عيسى بن فليته (الأمير) - ص ٢٣

عيسى بن نسطورس - ص ١٤٦

٢٤١ ، ٢٥١

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦
قتلش و ابن عم طغرل بك ، - ص
١٩٤
قرعويه - ص ١٢١
قرواش بن المفلد أمير بني عقيل -
ص ١٧٣ ، ١٧٥
قريش بن بدران - ص ١٨٦ ، ١٩٤
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
٢٠٥
قسطنطين السابع و إمبراطور الدولة
البيزنطية - ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
٢٣٤
قسطنطين التاسع - ص ٢٤٥
قسطنطين الثامن - ص ٢٤٣

(ك)

كافور الاخشيدى - ص ٢١ ، ١١٥
١١٨
أبو كاليجار (أمير بني بويه) - ص
٦٠ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤

(ل)

ملك بن مالك - ص ٨٤

أبو القاسم بن أبي يعلى العباسى -
١٢٠
أبو القاسم أحمد (المستعلى بالله) -
ص ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢١١ ،
٢١٤
أبو القاسم حسن بن على المغربي -
ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
أبو القاسم الطيب - ص ٢١ ، ٢٢ ،
(٥) ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
أبو القاسم على بن المسلمة (رئيس
الرؤساء) - ص ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
أبو القاسم على بن ناصر الدولة
الحسين بن مكرم (أمير عمان) -
ص ٥٩
قاسم بن محمد بن جعفر الحسنى - ص
٣١ ، ٣٧
القاسم بن هاشم بن قليته - ص ٢٣ ،
٢٧
القائم بأمر الله و الخليفة العباسى -
ص ٧٧ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

محمد بن سبا الزريعي - ص ١٠٤ ،

١٠٥

محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن -

ص ٢٧

محمد بن طعج الأخشيد - ص ٢٠ ،

١١١ ، ١١٤ ، ١١٥

محمد بن القاسم - ص ٥٦

محمد المنتظر - ص ١٢٤

أبو محمود بن جعفر بن فلاح -

ص ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

محمود بن صالح بن مرداس - ص ١٥٢

محمود بن محمد بن ملكشاه (السلطان

السلجوقي) - ص ٢١٥

محمود بن نصر بن صالح بن مرداس -

ص ١٤٩ ، ١٥٠

عبي الدين مهارش بن المجلى العقيلي -

ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

مرداويج بن زيار الديلمي - ص ١٦٦

(٥) ، ١٦٨ (٥)

مرزبان بن اسحق بن مرزبان -

ص ٦٣ ، ٦٤

المسترشد بالله (الخليفة العباسي) -

٣١ ، ٣٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٥

المستضيء بالله (الخليفة العباسي)

ص ١٠٦ ، ٢٠٢

أؤاؤ الخادم - ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

(م)

الإمام مالك بن أنس - ص ٢٢٧

المأمون العباسي - ص ٦٧ ، ١٦٣ ،

٢٣١

مانويل (القائد البيزنطي) - ص ٢٢٥ ،

٢٤٧

المتقي بالله (الخليفة العباسي)

- ص ٥٧

محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم)

- ص ٥٦ (٥) ، ١٠١ ، ١٦٣ (٥)

١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٣

محمد بن إبراهيم الزبادي - ص ٦٧

محمد الأخضر - ص ٥٥

محمد بن جعفر (أمير مكة) - ص ٢٨ ،

٢٩ ، ٣٠ ، ٢٠٨

محمد الحبيب (إمام الإسماعيلية)

- ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣

أبو محمد الحسن البازوري - ص ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨

محمد بن خلف النيرماني - ص ١٦٤

محمد بن رائق الخزري - ص ١١١ ،

١١٢ ، ٢١٩

٥٨٠٥٧ ، ١٣٤ (٥) ١٦١ (٥) ،

١٦٩

المعز بن باديس الصنهاجي - ص ٢٢٧

٢٢٨ ، ٢٢٦

المعز لدين الله (الخليفة الفاطمي) -

ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ١١٧ ،

١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩

مفرج بن دغفل بن الجراح -

ص ٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠

المفضل بن أبي البركات بن الوليد

الحيري - ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٤

المقتدر بالله (الخليفة العباسي) -

ص ١٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ١١٢ ،

١٦٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٢

المقتدى بأمر الله (الخليفة العباسي) -

ص ٣٠ ، ٥٢ ، ٢٠٧ ،

المقتنى لأمر الله (الخليفة العباسي) -

ص ٣٢ ، ٢٢٩

المكتفي بالله (الخليفة العباسي) -

ص ٧٠ ، ٧١ ، ١١٢

المستكفي بالله (الخليفة العباسي) -

ص ١١٢ ، ١١٣

المستنجد بالله (الخليفة العباسي) -

ص ٢٢ ، ٢٣

المستنصر بالله (معد أبو تميم)

(الخليفة الفاطمي) - ص ٢٧ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٦٣ ،

٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ،

١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

مسعود بن المكرم الحمداني -

ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢١٥

مصاله بن حبوس - ص ٢١٩

المظفر بن عبد الله - ص ٥٨

المطيع لله (الخليفة العباسي) -

ص ٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٣٠

معاوية بن أبي سفيان - ص ٢١١

معز الدولة أحمد بن بويه - ص ٢١ ،

- مكث بن عيسى بن فليته - ص ٢٧
المكرم أحمد بن محمد الصليحي -
ص ٦١، ٦٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦،
٨٧، ١٠٣، ١٠٤
مكنين الدولة الحسن بن ملهم -
ص ٢٤٦
ملكشاه (سلطان السلاجقة) -
ص ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ٢٠٧،
٢٠٨
الملك الرحيم البويهى - ص ١٨٧،
١٨٨
أبو المنجا القرمطى - ص ١٣٢،
١٣٣
منجوتكين التركى - ص ١٤٥،
١٤٦، ٢٤١
المنصور (الخليفة الفاطمى) -
ص ٢٣٣
المنصور بن أبى عامر - ص ٢٢٣
أبو منصور عبد القاهر البغدادى -
ص ١٧٢
منصور بن لؤلؤ الخادم - ص ٦٠،
١٤٧، ١٧٥
منصور بن المفضل بن أبى البركات -
ص ١٥
ابن منيع الخفاجى - ص ٢٠٦
- موسى بن أبى العافية - ص ٢٢٠
الموفق بن الخياط - ص ٩٩
مؤنس الخادم - ص ٤٤
المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى -
ص ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١،
١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥،
١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،
٢٠٠
ميخائيل الرابع (الإمبراطور
البيزنطى) - ص ٢٣١، ٢٤٥
(ن)
- ناصر الدولة الحسين بن حمدان
التغلبى - ص ٨٦، ١١٣، ١٤٩،
١٥٠، ٢١٠، ٢١١
ناصر خسرو - ص ٣٦
نجاح - ص ٨٠، ٨١
أبو النجم المستنصرى - ص ٦٢
نزار بن المستنصر بالله الفاطمى -
ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦،
٩٨، ١٥٥، ٢١١
نصر الحاجب - ص ١٨٣
نصر الدولة أحمد بن مروان -
ص ١٩٢

- | | |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>هشام بن عبد الملك بن مروان -
ص ٢٢٣
(ي)
ياسر بن بلال - ص ١٠٥ ، ١٠٦
يونس العزيزي - ص ٢٢١
يحيى بن القاسم الرسو (الملقب بالهادي)
- ص ٦٨
أبو يزيد بن خالد بن كبداد - ص ١٦٧ (هـ)
٢٢٣ ،
يعقوب بن كلس - ص ١٣٦ ، ١٤٣
يوسف بن الأسد - ص ٧٨ ، ٧٩
يوسف بن أحمد بن أبي الساج -
ص ١٦٤ ، ١٦٥
يوسف بن وجيه (أمير عمان) -
ص ٥٧</p> | <p>نصر بن صالح بن مرداس -
ص ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣
نصير الدولة باديس (الأمير) -
ص ٢٢٦
نقفور فوكاس (الإمبراطور
البيزنطي) - ص ١٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣
نور الدولة ديبس بن مزبد -
ص ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٦
نور الدين محمود - ص ٢٤٧ ، ٢٤٩
(هـ)
هاشم بن فليته (أمير ككة) - ص ٣٢
أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد
(تاج المولى) - ص ٣٧
ابن هبير - ص ٢١٥
هشام المؤيد بالله - ص ٢٢٢</p> |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

فهرس الأمم والقبائل والعشائر والطوائف

(أ)

١٠٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٠، ٢٠٨،

٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٢،

٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧،

الأعراب - ص ٤١، ١٨٥، ١٩٣،

الأكراد - ص ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤،

الأممية - ص ٢١٢،

الأمويون - ص ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠،

٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩،

الأندلسيون - ص ٢١٩،

(ب)

البربر - ص ٢١٠، ٢٢٥، ١٢٨،

بنو الأغلب - ٢٣٢،

بنو الأخيضر - ٥٦، ٥٥،

بنو الأصفر - ص ١٣٠،

بنو البريدي - ص ٥٧،

البريديون - ص ١١٣،

بنو بويه - ص ٢١، ٤٧، ٤٩، ٥٠،

٥١، ٥٩، ٦٠، ٦١، ١٢٣،

١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢،

١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢،

١٨٥، ١٨٦، ٢٠٧،

بنو ثعلب - ص ٥١، ٥٢،

آل البيت - ص ٧١، ١٧٨، ١٩٤،

آل زريع - ص ١٠٣، ١٠٤،

١٠٥

آل الزواحي - ص ٨٩، ٩١،

آل الصليحيين - ص ٨٢، ٨٨،

٨٩، ٩١، ٩٣، ١٠٥، ١٠٧،

الأتراك - ص ٣٠، ٤٦، ٤٧، ٥٥،

١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٤٤، ١٥٢،

١٥٩، ١٦٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٤،

١٨٥، ١٨٦، ١٩٣، ٩٤، ١٩٩،

٢١٠، ٢١١، ٢٢٢،

الأتراك البغداديون - ص ١٩٦،

الاثنا عشرية - ص ١٦٦،

الأخشيديون - ص ٢١، ٢٢، ٤٩،

١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧،

١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣،

١٢٤، ١٢٧،

الإسماعيليون - ص ٢٢ (أ)، ٤٧،

٥٥، ٥٦، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٧٠،

٧٢، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠،

٨٢، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٣،

- بنو الجراح - ص ٢٧ ، ١٠٩ ،
 ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٤٠ ، ١٥١
 بنو جعفر بن أبي طالب - ٢٣
 بنو الحسن بن علي بن أبي طالب -
 ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦
 بنو الحسين بن علي بن أبي طالب -
 ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٥٦
 (٥) ، ١٦٣ (٥)
 بنو حمدان - ص ١١٣ ، ١٤٨
 ١٧٣ (٥)
 بنو زياد - ص ٨٠ ، ١٠٣
 بنو زيري - ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 بنو سليمان - ص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩
 بنو طي - ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠
 ١٤١
 بنو عامر بن عوف بن عامر بن
 عقيل - ص ٥١ ، ٥٢ ، ١٧٣
 (٥) ، ١٩٦ ، ٢٠٠
 بنو العباس - ص ١٩ ، ٣٢ ، ٢٤
 ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ١٢٨
 ١٢٩ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
 بنو قرّة - ص ٢٢٣
 بنو كلاب - ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤
 ١٤٨ ، ١٧٣ (٥) ، ١٩٣
- بنو مرداس - ص ١٥٠ ، ١٥١
 بنو معن بن زائدة - ص ١٠٣
 بنو نمير - ص ١٧٣ (٥)
 بنو هلال - ص ٢٢٨ ، ٢٢٩
 بنو يعفر - ص ٦٩
 البغداديون - ص ٨٦ ، ١٨٩ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧
 البيزنطيون - ص ١٢١ ، ١٧٠ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥١
 التركمان - ص ١٥٢ ، ٢٠٠
 تغلب - ص ١١٢
 (ح)
 الحمدانيون - ص ٢٤ ، ١٠٩ ، ١١٢
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
 ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٧٣ (٥)
 (خ)
 الخوارج - ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢
 ١٧٥
 الخولانيون - ص ٩٧

(د)	(ز)
الدولة الأموية - ص ٢٢٠	زناته - ص ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٩
الدولة البيزنطية - ص ٢٣٧ ، ١٢١	الزنج - ص ٤٨
٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦	الزبدية - ص ١٦٨
الدولة الزيادية - ص ٦٩	الزبريون - ص ٢١٧ ، ٢٢٥
دولة السليمانيين - ص ١٩	(س)
الدولة العباسية - ص ١٥٢ ، ٤٢	السلاجقة - ص ٣٤ ، ١٥٠ ، ١٥١
١٧٧	١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦
الدولة الفاطمية - ص ٨٦ ، ٦٤	١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٠
٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥
٢٤٤	١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
دولة القرامطة - ص ٤٣ ، ٤٤	٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣
٤٧ ، ٤٨ ، ١٦٥ (أ)	٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٦
دولة الموحدين - ص ٢٢٩	السنينون - ص ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٦
الديلم - ص ١٦٨ ، ١٤٤ ، ٦٠	١٧٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٤
١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦	(ش)
(ر)	الشيعة - ص ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٦ (أ)
الرافضة - ص ١٦٦	٩٧ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٦٨
الروم - ص ١٢١ ، ١١٧ ، ٤٦	١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥
١٢٥ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٥	٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٤
١٤٦ ، ١٥٢ ، ٢١٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢	٢١٥ ، ٢٢٧
٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨	

العلويون - ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٢٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٢٦ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

(غ)

الغز - ص ١٥١

الغلمان الحمدانية - ص ٢٢٤

(ف)

الفاطميون - ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٣ ،

٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ،

٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ،

٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٣ ،

٦٥ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٩٢ ،

٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،

١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

(ص)

الصليبيون ص ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠

(ع)

العباسيون - ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ،

٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٢ ،

١٠٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ،

١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢٢٨ ،

العرب - ص ٢١ ، ٤٢ ، ٥٦ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،

١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ،

المعقليون ص ١٢٤ ، ١٧٣ (هـ)

١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٠٩

(ك)

الكافورية - ص ١٢٧
الكلايون - ص ١١٣
الكليون - ص ١٤١ ، ١٩٤

(م)

المجوسية - ص ١٦٩ (أ)
المرادسيون - ص ١٠٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠
المصريون - ص ١١٥ ، ١٢٧ ،
١٤٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
المغاربة - ص ٩٤ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ،
١٤٦ ، ٢٢٢

(ن)

النزارية - ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٥٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣

(هـ)

الهواشم - ص ٢٠ ، ٢١

١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

الفرس - ص ١٨١

الفرنج - ص ١٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨

(ق)

قبائل كتامة - ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

قبائل خولان - ص ٩٧

قبيلة سليم - ص ٢٦

قبيلة عوف بن عامر - ص ٢٦

قبيلة مغراوة - ٢١٩

قبائل بني هلال - ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

القرامطة - ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ،

٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٩

فهرس البلاد والمدن والمواضع والأنهار

٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ١٥٩

٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٢

أنطوطوس - ص ١٤٦ ، ٢٤٠

الأمواز - ص ١٦٦ ، ٥٧ (أ)

١٩٥ ، ١٧٩

(ب)

باب البصرة - ص ٥١

باب عسقلان - ص ١٣٧

بابل - ص ٤٦

بالس - ص ١٩٦

بخارى - ص ١٥١

برقة - ص ٤٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦

٢٣٠ ، ٢٢٨

البصرة - ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ١٧٧

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٥

بعلبك - ص ١٣٥ ، ٢٣٩

بغداد - ص ١٢ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٤٤

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١١١

١١٣ ، ١٢٣ ، ١٥١ ، ١٦١

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨

١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣

(١)

الأحساء - ص ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥

٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٢ ، ١٢٠

١٣٢ ، ١٢٧

أذربيجان - ص ١٥١

أرجان - ص ١٦٦ (أ)

أرض الطباله - ص ٢٠٣

أرمينية - ص ١٤٢ ، ٢٤٣

الاسكندرية - ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

٩٥ ، ١٥٥ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٤

٢٥٠ ، ٢٤٩

أصهبان - ص ١٧٩

أفاميه - ص ٢٤٤

إفريقية - ص ٥٢ ، ٨٣ ، ٢٢٥

الموت - ص ٢١٢

أمانى - ص ٢٤٩

الأنبار - ص ١٧٣ ، ١٨٦

الأندلس - ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

أنطاكية - ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧

١٥٢ ، ١٥٢ ، ١٥٢ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٦

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٨

٢١٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧

بلاد الصعيد - ص ١٥٣

بلاد العراق - ص ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٣

١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٧

١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٤

بلاد الفرس - ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨١

١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١١

بلاد الكرج - ص ١٦٦ (أ)

بلاد ما وراء النهر - ص ١٩٨

بلاد المشرق - ص ٩٦ ، ٩٩ ، ١٦٧ ، ١٦٧

١٨٣ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٦

بلاد المغرب - ص ٢٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٦

٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧١

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٦٤ ، ١٦٤

١٦٥ (أ) ، ١٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦

بلاد المغرب الأقصى - ص ٢٢٠ ، ٢٢٠

٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢

البلاد المصرية - ص ٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٦

١٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٩

بلاد اليمن - ص ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٥

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٤

١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٥

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٨٩

١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٩

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٣

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٨

٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٥

بلاد البحرين - ص ١٩ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤١

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٠

٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١١٦ ، ١١٦

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٥

١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٦٥

بلاد الجزيرة - ص ١٥٥

بلاد الجبل - ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٨

بلاد الحجاز - ص ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢١

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣١

٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٨٠ ، ٨٠

٨٤ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ، ١٩٥ ، ١٩٥

بلاد الديلم - ص ١١٦ (أ) ، ١٦٨ ، ١٦٨

بلاد السواد - ص ١٦٣

بلاد الشام - ص ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٤٨

٤٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٦

١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٣

١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٣

٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٨

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥١

الجزيرة - ص ١٧٣ (٥) ، ٢٣٢ ،

٢٣٦ ، ٢٣٥

جزيرة أوال - ص ٤٨ ، ٤٩

جزيرة الروضة - ص ٢١٣

جزيرة صقلية - ص ٢١٧ ، ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤

جزيرة العرب - ص ٢٤ ، ٤١ ،

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٦٤ ، ١٦٥ (٥) ، ١٦٨ ،

٢٠٩

جناب - ص ١٨٣

جنوه - ص ٢٥٠

(ح)

الحجاز - ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ،

٢٩ ، ٢١٣

الحرم المكي - ص ٢٣

الحرمان الشريفان - ص ٢٤ ، ٢٦ ،

٣٠ ، ١٧٥

حصن شيزر - ص ١٤٥ ، ٢٤١

حصن مسار - ص ٨٠

حضر موت - ص ٦٧

الحضرة - ص ٥٥

حلب - ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٦٨ ، ٢١١

بالبيس - ص ١٤٧ ، ٢١٢ ، ٢٤١

بلم - ص ٢٣١

البندقية - ص ٢٥١

بيت المقدس - ص ١٥٢ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٤ ،

٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠

بيروت - ص ٢٤٠

بيزا - ص ٢٤٩ ، ٢٥٠

(ت)

تاهرت - ص ٢١٩ ، ٢٢٠

تدمر - ص ١٢٠

تركستان - ص ١٥١

تعز - ص ١٠٦

تنيس - ص ١٢٧

تهامة - ص ١٢٧

النهايم - ص ٦٧ ، ٨٢

تونس - ص ٢٣٠

(ج)

جرجان - ص ١٠١

الجزائر - ص ٢٢٠

١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣،

٢١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤،

١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٣،

١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣،

١٥٥، ١٥٦، ١٩٤، ٢٠٨، ٢١٠،

٢٢٩، ٢٤١، ٢٤٧،

دمياط - ص ٢١٠، ٢٤٧، ٢٤٩،

الدلتا - ص ١٥٣،

دهلك - ص ٨٥، ٩٧،

ديار بكر - ص ١١٣، ١٩٢،

ديار ربيعة - ص ١١٣، ١١٣،

ديار كنده - ص ٦٧،

(ر)

الرجبة - ص ١٢٤، ١٤٩، ١٨٧،

١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٠،

١٩٧

الرها - ص ١٥٤، ١٥٦،

الري - ص ١٦٦، ١٧٩، ١٨٨،

٢٠٠

(ز)

زيد - ص ٢٣، ٦٧، ٦٨، ٧٩،

٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١٠٣،

١٠٦

١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨،

١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢،

١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٩١،

١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،

٢٠٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤،

٢٤٧

حلة بني مزبد - ص ١٨٧،

حلوان - ص ١٩٧،

حماة - ص ١٤٥، ١٤٩، ١٥٧،

حصص - ص ٧٠، ١١٢، ١٣٥،

١٢٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥،

١٥٤، ١٥٧، ١٩١، ٢٣٦،

٢٤١

حوران - ص ١٢٠،

حيدران - ص ١٢٩،

الحيرة - ص ١٧١،

(خ)

خراسان - ص ١٥٢، ١٧٩، ١٩٨،

خوزستان - ص ١٨٤،

(د)

الدكة - ص ١٢٥،

دمشق ص ٤٩، ٥٠، ١١٤، ١١٥،

(ص)	(س)
صحار - ص ٥٨	ساحل الشام - ص ١٥٤ ، ٢٤١
صعدة - ص ٦٨	سبته - ص ٢٢٢
صنعاء - ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٤	سجستان - ص ٨٠ ، ٢٠
صيدا - ص ٢٤٠	سجلماسه - ص ٢٢٢
	سرقوسة - ص ٢٣١
(ط)	سليمية - ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢
الطائف - ص ٤٣	١٦٣ ، ١٦٤
طبرستان - ص ١٥١	سنجار -- ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١٩٨
طبرية - ص ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥	السند - ص ٥٦
طرابلس - ص ١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١	سورية - ص ١٢١ ، ١٤٢ ، ٢٢٩
	(ش)
طرميس - ص ١٢١	الشام - ص ٢١ ، ٢٨ ، ٢٣ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ (أ) ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١
طنجة - ص ٢٢٢	شمال إفريقية - ص ٢٣٠
(ع)	شيراز - ص ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، (أ) ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٤٤
حانة - ص ١٤١	
العراق - ص ٢٤ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٢٣ ، ١٣٤ (أ) ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٩	

(ق)	١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨١، ١٨٠
القاهرة - ص ٢٢، ٢٢، ٢٣، ٧٨، ٥٠	١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠
١٢٦، ١١٩، ١١٧، ١٠٠، ٩٩، ٩٧	٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١
١٥٣، ١٤٦، ١٣٧، ١٣٢، ١٢٧	٢١٥
٢٠٣، ٢٠٢، ١٨٩، ١٨٢، ١٦٧	العريش - ص ١١١
٢٤٢، ٢٤٠، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠	عدن - ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦
٢٤٣	عسقلان - ص ١٢٧، ١٥٨
قبة زمزم - ص ٤٥	عمان - ص ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨
قسطنطينية - ص ١٤٥، ١٤٦، ٢٤٠	٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٨
٢٤٦، ٢٤٣، ٢٤١	٩٢
قصريانة - ص ٢٣١	عين شمس - ص ١٢٦
قسطنانية - ص ٢٣١	(غ)
القطيف - ص ٤٣	غزة - ص ١٥٣
قلعة أفامية - ص ١٥٤	(ف)
قلعة طبرمين - ص ٢٣٤	فارس - ص ١٥٥، ١٧٩، ١٨٠
قلعة عرقة - ص ١٥٤	١٨٤، ٢٢٠
قلعة الموت - ص ٩٨	فاس - ص ٢٢٠، ٢٢٢
قلنسرين - ص ١١٤، ١١٥	القسطاط - ص ١٨٨، ٢١٠
القيروان - ص ٤٥، ٤٦، ١٦٧، (٥)	فلسطين - ص ٩، ١١٨، ١٢١
٢٢٩	١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٥١
قيسارية - ص ٢٣٩	القيوم - ص ١٠٠، ٢٤٤

المسجد الأموي بدمشق - ص ١١٤،

١١٩

مسينا - ص ٢٣١

مراكش - ص ٢٣٠

مرو - ص ١٥١

مصر - ص ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤،

٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤،

٣٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٦،

٦١، ٦٢، ٦٣، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٩٥، ٩٦،

٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥،

١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥،

١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤،

١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٢،

١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٩، ١٥٠،

١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦،

١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٥،

١٧٧، ١٨٢، ١٨٧، ١٩١، ١٩٤،

١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥،

٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،

٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٠،

٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٣،

٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١

معرة النعمان - ص ١٥٧

(ك)

كرمان - ص ١٥١، ١٧٩، ١٨٣،

الكعبة - ص ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٤٥،

٤٧

كنيسة القيامة - ص ٢٤٤، ٢٤٧،

الكوفة - ص ٤٤، ٥٠، ١٢٤، ١٦٤،

١٧٣، ٢٠٥، ٢٠٦،

(ل)

لحج - ص ٦٧

(م)

المجاز (خليج يفصل بين صقلية

وايطاليا) - ص ٢٣٥

المدائن - ص ١٧٣

المدن الإيطالية - ص ٢٣٧، ٢٣٩،

٢٤٩

المنصورية - ص ٢٦٧

المدينة المنورة - ص ٢٠، ٢١، ٢٣،

٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ١٦٨،

المرية - ص ٢٢٠

المسجد الأقصى - ص ١٥٨

النهر وان - ص ٢٠٥	مغراوة - ص ٢٢٢
نيسابور - ص ١٥١	المغرب - ص ٤٤، ٥٦، ١١٧، ١٢٥،
(أ)	١٧٥، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠،
	٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨،
هجر - ص ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦	المقس - ١٢٦، ٢٤١
همدان - ص ٨٠، ١٦٦، (أ) ١٩٦،	مكناسة - ص ٢٢٢
١٩٧، ١٩٩، ٢١٥	مكة - ص ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤،
الهند - ص ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٩٢	٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١،
(و)	٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٥،
واسط - ص ٥٧، ٥٨، ١٦٤، ١٧٧،	٤٦، ٤٨، ٥٦، ٧٠، ٨٤، ١٣٩،
١٩٦	١٤٠، ١٦٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٩١،
(ى)	٢٠٨
يازور - ص ١٨٩ (أ)	المهدية - ص ١٦٧، ٢٢٩، ٢٣٠،
يافا - ص ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠،	الموصل - ص ١١٣، ١٢٤، ١٥٠،
الليانة - ص ٤٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦	١٧٣ (أ)، ١٧٤، ١٨٦، ١٩٥،
البن - ص ٢٨، ٣٢، ٦١، ٦٣،	١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،
٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٠، ٨٧، ٨٨،	مياقارقين - ص ١٩٢
٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٤،	(ن)
١٠٥، ٢٠٩، ٢١٣	نصيبين - ص ١١٢، ١٩٩،
	نهر العاصي - ١١٤، ١٩١، ٢٤١،
	نهر الفرات - ص ٥١، ١١٣، ١٤١،
	١٤٣، ١٩٤

دار المناهل للطباعة
٧ ش يوسف البندارى - أرض اللواء
سوراق الدكرور

